

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

ان وقارئة الفنجان

مرة اخرى يقف قادة الفكر وحملة الراى والمسئولية بيننا مشلولى الارادة محتارين أمام حدث مصيرى خطير من تلك التحديات التى ظلت تواجه امتنا العربية في تاريخها القديم والحديث ، فلا يجدون لها تاويلا او تفسيرا . لا يركنون الى تفسير حتى تنهمر عليهم آلاف البدائل من السِنة متعددة بلا أدمغة ، ولا يرتاحون الى راى حتى يدهمهم حدث جديد مدهش ياتيهم من حيث لا يحتسبون ، يفتح امامهم ابواب آلاف التاويلات من آلاف الافواه المتعطشة للكلام وابداء الراى في الذى يعرفون والذى لا يعرفون؟ ••

وليست هذه هي المرة الاولى التي يقف فيها العقل العربي الحديث حائرا مندهشا في تفسير الاحداث الخطيرة التي تشكل مصيره وتنتزع منه عضوا اثر عضو ..

كذلك كان حالنا من الدهشة حين تحولت وعود الحلفاء سرابا وهزءا ، تلك التي صدقناها في طيبة وبراءة وسذاجة ، فاصبحت بلادنا نهبا مقسما بعد الحرب العالمية الاولى . ولم نتعلم من ذلك الدرس شيئا ، فلا نزال نصدق الوعود تقطع لنا ولا نزال نؤخذ بمعسول الكلام ، ذلك لاننا لا نفرق بين تعامل الشعوب ، والتي نصوغها وتكيفها عوامل مادية محسوسة ومحسوبة بقدر وحساب لا تدخل فيها اعتبارات العواطف ، وبين تعامل الافراد ..

وكذلك كان حالنا من الدهشة حين وقفنا غير عابئين نرقب مؤتمرات الصهاينة تعقد في وضح النهار ، وتخطط علنا وفي كل آن . والوعود بارضنا تمنح بكل جسارة والخطوات العملية تنفذ امام اعيننا ، ونحن عن ذلك كله لاهون منهولون حتى اذا تحول كل ذلك الى واقع مخز اليم ، وقفنا نحمل امتعتنا فوق ظهورنا حائرين لا نصدق الذى حدث لنا .. لا نصدق اننا يمكن ان نخرج من دورنا هكذا وبهذه البساطة .. لا نصدق أن العالم يمكن أن يسكت عن هذا الظلم .. لا نصدق ان جيوش العرب بفضها وفضيضها تعجز عن اعادتنا بعد ليلة او ليلتين نعود بعدها الى ديارنا وكان شيئا لم يكن . حتى ان الفرد منا ليحمل مفتاح بيته ظنا حسنا بان الذى يحدث ليس الا سحابة صيف عن قريب تقشع ، تماما كما فعل آخرون بعد ثلاثين عاما حين تركوا دورهم في لبنان قبل اربعة عشر شهرا - غير مأمونة وغير محروسة لفترة ظنوها لن تطول اسبوعا واحدا أو اسبوعين يعودون بعدها لمزاولة حياتهم ونهوهم وتجارتهم بعد أن تهدا الاحوال ..

وكذلك كانت دهشتنا حين تحول تهديد احتلال القنال في عام ٥٦ الى حقيقة واقعة ، واستل الاستعمار خنجرا كنا نراه رأى العين ، وكنا في بكارة حماسنا ، نظن انه لن يجرؤ ابدا علينا رهبة او حياءا او خوف دمار يلحق به من حماتنا . وعندما فعل فعلته ثم ارتدعنا لم نستفد من ذلك درسا نعيه نحن ونعلمه شعبنا عن حقيقة الصراعات الدولية ومعنى توازن القوى . صورنا كل الذى حدث قوة ذاتية رادعة عملت بمعزل عن كل شيء ورسخنا بذلك وهما ظل يتضخم ويكبر وكان تبديده بعد ذلك اليما وكانت الحيرة والدهشة قاتلة ومرعبة حين منينا بنكسة النكسات ولم يكن مستغربا في اطار ذلك الذى حدث لنا ذات صباح ان يتحول بعض أخطر المسئولين الى السحرة وضاربى الرمل ومحضرى الارواح يستكشفون خبيايا عالم المفروض انهم هم صانعوه ..

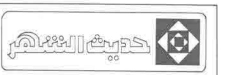
وظللنا نندهش في كل مرة لاننا نرفض ان نربط بين الاحداث ونرفض ان نتعلم من الحدث أو نحلل اسبابه وابعاده ونربط بين اطرافه .

تمر اضخم الاحداث بنا فتثير نارا حامية الوطيس تنطلق فيها الشائعات واتهامات الخيانة والغدر وتصنيف الافراد والجماعات في اطار اكليشيهات محفوظة مجها الناس من كثرة ما ترددت ، تمحوها بعد فترة زمنية قصيرة مصالحة كلامية يتحول فيها كل ما قيل الى ضده وقديما قال اجدادنا ، من مدحك بما ليس فيك وهو راض عنك ، ذمك بما ليس فيك وهو غاضب عليك .. ويمر الحدث في طي النسيان لا تختزنه الذاكرة ولا يعيه الوجدان الا بعد ان يتكرر أو ياتى حدث مماثل فتنطلق نار السباب ليعقبها برد القبلات والعناق ..

وهكذا مرت بنا احداث خطيرة - احداث لبنان عام ١٩٥٨ واحداث الاردن في سبتمبر (ايلول) عام ١٩٧٠ وستمر احداث غيرها .. ولو أننا درسنا هذه الاحداث .. اسبابها ومسبباتها وتعمقنا ادوار ابطالها وربطنا بين مختلف الامور قديمها وحديثها وخلفياتها ، لو اننا فقط ندرس التاريخ ونتعرف على اسراره ونعى دروسه ، لو اننا نصمت لحظة عن التأويل والتفسير لنفكر ، لتعلمنا الكثير والكثير . ولكننا في مجالس السمر الطويلة نرى الفهم السياسى والتحليل الدياسى فك الغاز فيلم بوليسى شيق وتوزيع ادوار البطولة والخيانة على الناس .

ولقد اصبنا بمرض الدهشة فلم تفارقنا حتى عندما انتصرنا في عام ١٩٧٣ وابى بعضنا من فرط الدهشة ان يصدق أن الامر يمكن ان يحدث دون تدبير صهيونى امريكى عربى متفق عليه مسبقا ..

ونحن ندهش لاننا طيبون صديقون نصدق كل الذى يقال لنا حتى اذا جاءت الاحداث بغير ما صدر لنا اصبنا بدوار الحيرة ، ولاننا ضعيفو الذاكرة فنحن نعود من جديد نصدق الذى يقال لنا لكى ندهش من جديد ..



العمل العربي يركض وراء المواقع المتغيرة

ونحن ندهش لاننا مجاملون عاطفيون نخفي اخطر مشاكلنا تحت ركام من كلمات المجاملة التي نهبها بغير حساب ، وعواطف الاشقاء ، ومظاهر الود والاخاء ، وعفى الله عما سلف ، نظن اننا بالكلمات نحل مشاكل معقدة ومزمنة ، حتى اذا احتقنت هذه المشاكل في مخبئها وانفجرت بركانا ساخنا اطاح بكلمات المجاملة وقفنا محتارين مندهشين ..

ونحن ندهش لان الحقائق المؤلمة تخفى عنا حتى اذا عشنا تحت ظلال الوهم الكاذب زمنا ، وادلهم خطب جلل عرى ذاتيتنا وكشف المخبأ عنا عقدت الدهشة السنتنا وعقولنا ، ولاننا نفسر الاحداث من واقع عاطفة وقتية متقلبة فان عقولنا في كل حدث ستظل تركض حائرة مندهشة وراء المواقع المتغيرة دوما ، فلا صديق الامس صديق اليوم ولا خصم اليوم خصم الغد وقبل ان نحدد موقفنا نكتشف ان اعداء معركة الصباح هم انفسهم احلاف معركة المساء .

ونحن ندهش دائما لاننا نستبدل الحقيقة بالوهم ونقيم وزنا كبيرا لمظاهر الاشياء دون حقيقتها ولاننا نقوّم تصرفاتنا من منطلق هذا الوهم فنحن دائما مندهشون حين تفجؤنا حقائق تصرفات الاخرين ..

ولهذا لم يكن غريبا او جديدا ان نصاب بالدهشة حين بدات احداث لبنان المخيفة ، تطل بوجهها البشع وتاخذ بخناق بعضها البعض ..

فنحن مندهشون منذ ان بدات هذه الاحداث وحتى هذه اللحظة ..

نحن مندهشون لان بلدا آمنا نسهر فيه ونمتع النفس ، ونأتمنه على اموالنا ، يمكن ان يتحول هكذا وفي لمح البصر ـ هكذا نظن ـ الى خراب ونار وموت ودمار .

ونحن مندهشون لان الامر قد طال اكثر مما قدرنا له ان يطول !..

ونحن مندهشون لان سوريا تدخلت !..

ونحن مندهشون لان مصر لم تتدخل !..

ونحن مندهشون لان فرنسا ـ وهي صديقة العرب ـ تهدد بالتدخل !..

ونحن مندهشون لان اساطيل امريكا وروسيا تجوبان السواحل القريبة ولا تتدخل !..

ونحن مندهشون لان اسرائيل تبدو غير مكترثة ولا منزعجة !.. الى آخر قائمة الدهشة والعجب .

وكالعادة نشطت مجالس الكلام لحل هذا اللغز الجديد :

يقولون ان الذى يحدث عقاب مقدر لما اغترفته بيروت في ملاهيها وحاناتها ومضارباتها التجارية ، واعمالها غير المشروعة ، ولم تكن بيروت ـ ان يصدق كل هذا الذى يقال عنها في الذى تفعله ويفعله القاطنون فيها والمقيمون والعابرون ـ اكثر من مجرد متنفس لاولئك الذين لم يكن الخلق الذى يدعونه الا مظهرا خارجيا يخفي وراءه رغبات مكبوتة لا تكشر عن انيابها الا فوق ارض بيروت ، ولم تكن في الذى تكتبه وتنشره صحفها الا متنفسا لاولئك الذين يريدون التعبير عن انفسهم فلا يجدون الوسيلة لذلك متيسرة ، ولاولئك الذين يريدون افحام خصومهم او نقل معاركهم الكلامية الى حيث يصدقهم الناس فيجدون في حوانيت صحافة بيروت ما يشفي غليلهم ، كانت بيروت تؤجر شققها وصحفها للاخرين ثم تمد لسانها وتضحك عليهم اجمعين .

نعم ما كانت بيروت في جانبها المظلم ـ ولها جانبها المضيء الذى لا يابه له زائروها من الاخوة الاشقاء ـ الا مرضا خارجيا لما يموج في داخل الوطن العربي من ازدواج وتناقض وامراض عارضة ومزمنة ، واذا بدا لنا وجه بيروت مشوها فلنذكر دائما انها لم تكن الا مرآة نرى فيها وجوهنا ..

ويقولون ان الذى يجرى في لبنان من قصف وتدمير وتخريب ليس اكثر من صراع داخلي محلي نابع من واقع الوضع في لبنان ، فهو صراع شخصي نفعي محض ، او طائفي محض او عقائدي محض او طبقي محض او خليط من كل ذلك لا يصلح حاله ولا يحل اشكاله الا اللبنانيون انفسهم وهم ادرى بحالهم ..

الذي يحدث في لبنان ليس وليد الصدفة

ويقولون وبنفس واحد دون التفات لتناقض ان الذى يجرى في لبنان لا صلة له بلبنان او اللبنانيين ، ولبنان ان هي الا ساحة حرب بين قوى متصارعة عالمية وعربية وجدت مناخا طيبا فتحولت من الهمس الداخلى الى صرخات البارود في شوارع بيروت ..

ويعمد العالمون ببواطن الامور والضالعون في علم الاسرار الى نبش بعض الاحن المذهبية السالفة التى مضى عليها الزمن وكانت شغل الاباء والاجداد يفسرون بها معارك الابناء والاحفاد على ارض لبنان ..

وبعض الذين يقولون من تخريجات ، ممتع ومفيد ان يكون سيناريو لقصة مثيرة منه تفسيرا جادا لحدث سياسى خطير ..

ويقولون .. ويقولون .. والناس يموتون في الشوارع .. آباء يبحثون عن خبز لاولادهم ، صبية يلعبون ، اطفال .. وامهات . لا القاتل يعرف لماذا يقتل ولا المقتول يعرف لماذا قتل والكل يتحركون في اطار لغز رهيب تتلقفه افواه ملايين عديدة تبلغ في آخر تعدادلها مائة وخمسين مليونا او يزيدون ..

اما دهاقنة الكلام فقد هداهم ذكاؤهم الى حل اللغز وتوصلوا الى الاكتشاف المضمون والمعروف بان الامر لا يعدو ان يكون مؤامرة استعمارية اشترك في حبكها الامريكان والانجليز والفرنسيين والصهاينة وفي تحليل ذلك اختلفت اهواؤهم فهى تغطية لاتفاق سيناء تارة وتارة أخرى جزء من مخططات عدة تتناقلها المجالس فهنالك مخطط لانهاء المقاومة وهنالك مخطط لخلق دولة الهلال الخصيب وهنالك مخطط لخلق دولة فلسطينية مسالمة وهنالك مخطط لانشاء سوريا الكبرى وهنالك مخطط لبنان الصغرى وهنالك مخطط لتوريط سوريا الى غير ذلك مما لا يمكن أن يحصيه عد مما يجعل من المستحيل ان نحبط مساعى عدو لم نتفق على الذى يريده منا وبنا .

وجميل ان يبلغ الوعى بنا ان ندرك ان الاستعمار وراء هذا الذى يحدث في لبنان لكن معرفة ذلك على الاطلاق لا تعنى شيئا كثيرا ، فتآمر الاستعمار قديما وحديثا امر معروف وحقيقة بديهية . والدول العربية ليست بحال من الاحوال هى الهدف الوحيد لهذه المخططات وعلى هذا فان تآمر الاستعمار ليس هو القضية بقدر ما هو توفر المناخ للعوامل المساعدة على نجاح مخططاته ـ ان الذى يحتاج الى اهتمامنا هو ادراك الثغرات في صفوفنا ، وتبين الجوانب الرخوة التى ينفذ منها الاستعمار في سهولة ويسر والتى يعرفها اعداؤنا جيدا ونجهلها نحن اولا نريد ان نعرفها ..

والاكتفاء في تحليلنا السياسى بان الاستعمار وراء هذه الكارثة او تلك يتضمن مفهوما خاطئا بان كل ما يخطط له الاستعمار مؤكد الوقوع ومؤكد النجاح ، وليس الامر كذلك ، بل لقد اثبتت تجارب الشعوب في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ان مخططات الاستعمار لا تنجح الا ازاء الشعوب المستضعفة المستكينة المليئة بالثغرات ، وان الشعوب مهما صغرت قادرة على ان تصفع الاستعمار ومخططاته مادام وجدانها حيا وعيونها مفتوحة وما دامت مصرة الا تكون فريسة طيعة سهلة ..

وفي مجالس الكلام يطول الحديث ويمتد ويتشعب ولكنه يبدا عادة قبل ان يدخل في متاهات التاويل وضرب الرمل والحدس والتخمين بضرب الكف وصرخات الدهشة « والله ان الذى يحدث في لبنان غريب وعجيب وغير معقول وغير مفهوم » ..

والذى يحدث في لبنان ليس كارثة جاءت هكذا مصادفة بلا حساب . كل الذى حدث من قبل ويحدث من بعد متوقع ومفهوم لو كنا فقط نستقرىء التاريخ ونحلل الاحداث التى تمر بنا واغلبها لا يحتاج الى كبير ذكاء ولن نفعل ما دمنا منغلقين على ذواتنا رافضين ان نتعلم من مصائبنا وكوارثنا وفيها كل معالم الطريق لو كنا نعتبر ..

وحين نفكر تفكيرا علميا وموضوعيا .. حين نتعلم كيف ننمى في داخلنا العقلية العلمية العصرية سنتبين ان احداث الحياة لا تاتى من لا شيء وان هنالك خيطاً واحداً يربط بين الاشياء لابد ان نهتدى اليه بعقلنا وبصيرتنا حينئذ فقط سنتوقف عن الدهشة كلما دهمنا خطب وحينئذ فقط ندرك اننا لا نحل معضلات الحياة بالكلام ...

محمد ابراهيم الشوش



عودة الى الواحة

د. يحيى الجمل

« كتبت هذا المقال بعد خروجى من الوزارة وعودتى الى مكتبتى الخاصة والى عملى الاصلى في الجامعة » ••

ى• ج•

طال شوقي لها ، ومر وقت طويل وأنا انظر اليها ولا استطيع أن أتفيأ ظلالها ، وكنت اكتفي معها بالنظر المتلصص من بعيد ، وكل ما كنت استطيعه ـ حفاظا للود وابقاءا على العهد ـ أن اودع فيها بين وقت وآخر ثمرة من ثمار الفكر الانسانى تضاف الى ثمار قبلها دون ان تفض أو أن تذاق •

واخيرا شاءت الظروف أن اعود الى الواحة من جديد لاعودة اقامة ـ فان ذلك فيما يبدو أصبح مستحيلا ـ ولكن عودة زائر متمهل يملك وقته بعض الشيء ويستطيع أن يمد يده الى ثمارها ليتذوقها ويمتع نفسه وقلبه وذهنه جميعا •

وقد بدأت مع هذه الواحة منذ الصبا الباكر أغرس غرسا هنا واضيف ثمرة هناك ، واتاحت لى أسفارى العديدة واقامتى في اوروبا وقتا غير قصير أن اطعمها بألوان جديدة ومتنوعة من الثمار والغراس ، وعندما بدأت ظلالها تورف وقطافها تدنو انتزعتنى ظروف الحياة انتزاعا لكي لا اراها الا رؤية العابر من بعيد •

وفي أول مرة اعود اليها اخيرا عودة المتمهل المستأنى انتابنى العديد من المشاعر والاحاسيس ، انتابنى اولا شعور براحة داخلية عميقة وبسكون نفس وهدوء مريح • انتابني ذلك الشعور الذى يحس به طفل أبعد عن أمه قسرا ثم عاد اليها ليجد عندها اعمق مشاعر الحنان بغير جلبة ولا زخرف ولا تزويق ، ذلك الشعور الدافق الصافي الذى لا يخالطه من قريب أو من بعيد أى معنى من معانى النفاق الاجتماعى ، واحسست ايضا انني كالجالس على حافة غدير ماء هادىء يترقرق ، يبعث في النفس السكينة والهدوء ويبعث احساسا بالامن والراحة ، ويهيء له أنه يسمع أنغاما عذبة تنبعث من مجهول بعيد صوته أشبه بذلك الناى الذى صحت آذاننا عليه نحن أبناء الريف العابر العظيم •

وما ان قمت من مقعدى لالقى نظرة على ثمار تلك الواحة وأمد يدى الى بعضها لاقلب صفحاته ، حتى تغيرت المشاعر لاحس بنوع من الرهبة والاغتراب •

كل هذه الثروة قاب قوسين أو أدنى مني وأنا منها محروم أو كالمحروم !!

ولعل القارىء يدرك الان ان تلك الواحة ما هى الا مكتبتى التى عدت اليها الى بعد أمد من الهجران غير قصير •

وقد تحدثت ذات مرة في الاذاعة المصرية حديثا طويلا من تلك المكتبة وكيف كونتها وعن فروع المعرفة المتعددة التى تضمها « رفوفها » •

واذكر حادثة مرت في حياتى تفسر الى حد بعيد طريقة تكوين المكتبة وتعدد ما فيها من انواع المعارف الانسانية تعددا قد يبدو غريبا بعض الشيء •

كان ذلك بعد الحصول على الثانوية العامة والتى كانت تسمى على ايامنا « بالتوجيهية » وكنت من الناجحين في القسم الادبى ، وكان تفكيرى يدور بين كليتى الاداب والحقوق •

وعندما كنت أفكر في كلية الاداب كان يتنازعنى قسم الفلسفة من ناحية وقسم اللغة العربية وآدابها من ناحية أخرى •• وكان هواى في ذلك الاتجاه •

وحسمت الاختيار بأن قلت لنفسى ليكن الادب هو الهواية وليكن القانون هو الحرفة ، والقانون في حقيقته

نوع من المنطق والفلسفة الاجتماعية ، وهكذا اصطلحت مع نفسى على دخول كلية الحقوق ٠

ولست أنسى اياما كثيرة كنت اتردد فيها على كليـــة الاداب ـ منتهزا فرصة وقت خال من المحاضرة أو اعتذار استاذ ـ على ندرة تلك الظاهرة في تلك الايام ـ لاستمع الى اساتذة الفلسفة أو اساتذة الادب العربى وأمتع نفسى ووجدانى بمتعة اخرى غير المتعة العقلية التى يحس بهـا دارس الحقوق عندما لا يأخذ الامور مأخذ القشور ٠

وكنت حريصا على ان اشبع هوايتى وميلى نحو قـراءة الادب والفلسفة حرصا لم أجد انه في وقت من الاوقات حائلا دون اجادة الدراسة القانونية ٠

وتاثرت في تلك الفترة تأثرا واضحا بالاستاذ « العقاد » وكنت من الذين يترددون على ندوته العامة يوم الجمعـــة من كل اسبوع ، ولكن تاثرى بالعقاد لم يحل بين مكتبتى وبين أن تضم كل كتاب ظهر لطه حسين أو مصـــطفى صادق الرافعى ـ رحمهما الله ـ أو توفيق الحكيم أو زكى نجيب محمود اطال الله عمرهما ، وما اظن ان كتابا واحدا من كتبهم جميعا لم أقرأه قراءة جادة متأنية ولم يكن مثار نقاش بينى وبين جيلنا من الشباب آنذاك ٠

وما اكثر ما استعدت قراءة بعض كتب هؤلاء الرواد العظام ، وأنا من الذين تنتابهم نزلات البرد بصفة توشك أن تكون منتظمة على مدار العام وفي كل مرة كانت تضطرني





نزلة البرد الى الاعتكاف كنت أقرأ كتابا معينا بذاتـه لا أمل من قراءته واعادة قراءته قط وأجد لذة جديدة في كل مرة أقرأه ٠ ذلك هو كتاب « في بيتى » للعقـــاد وهو العدد الثانى ـ على ما اذكر ـ الذى صدر في مجموعـة « اقرأ » ٠ وقد انتهى الامر بذلك الكتاب الصغير ليحول لونه وليصبح مجموعة من الاوراق لكثرة ما قرأته مرات ومرات بغير حصر ، وبحثت عن نسخة جديدة أقتنيهـــا ثم أغنانا « عامر العقاد » عندما أعاد طبع « في بيتى » مع « أنا » في كتاب واحد طبعته مطابع بيروت ، ورغم كل ايمانى بالعروبة وبالقضية القومية فانتى لا املك نفسى من الالم وأنا اقرأ كتبنا مردودة الينا من بيروت ٠ وعـلى كل حال ليس هذا هو وقت هذا الحديث ٠

واذكر أن الفترة التى كنت أعمل فيها وكيلا للنائب العام في أوائل الخمسينات كانت هى الفترة التى أعـدت فيها قراءة كل ماكتبه توفيق الحكيم الذى كنت أجد في كتاباته الاولى كثيرا من بذور حيرتى بين الادب والقانون ، ولكن الحكيم حسم الحيرة لصالح الفن وحسمتها لصالح القانون حرفة لا تحول بينى وبين شغفى العميق بالاداب والفنون ٠

وما زلت حتى الان اعتقد ان من أحسن ما كتب الحكيم في حياته ـ ان لم يكن أحسنها قط عندى ـ هو كتابه « زهرة العمر » الذى هو عبارة عن مجموعة رسائل كتبها لصـديق فرنسى له عبر فيها فيما عبر عن تلك الحيرة أعمق تعبير ، وقد بلغ من تأثرى بذلك الكتاب أننى وأنا أدرس في باريس أخذته معي وقرأته مرات ، بل اننى أذكر اننى بحثت عن الشارع الذى كان يسكنه الحكيم والذى كتب منه اغـلب تلك الرسائل وحاولت أن ارتاد كل الاماكن التى اشار اليها فيها ٠

ولعلى أعود مرة اخرى الى « زهرة العمر » لتكون موضوع حديث خاص ٠

ومضت الايام وانخرطت في سلك التدريس في كليـــة الحقوق بجامعة القاهرة وعشت فيها بين كتبى ـ في القانون أو المذاهب السياسية او في الادب أو في الفلسفة ـ وبـين

لمـاذا يقطعونها ؟!

● يقول الشاعر الفارسى سعدى ان رجلا وجـدوه يقطع شجرة وكانه يقتلها ٠

سألوه : لمـاذا ؟ اجاب بانه وجد الى جوارهـــا فاسا ٠ سألوه الم يكن من الممكن ان تحفـر قنـاة تاتى لها بالماء ٠ قال : كان ممكنا ٠ قالوا له : ألم يكن من الافضل ان تقطع الاعشاب التى تحتها او تحفر في الارض مكانا لشجرة أخرى ٠٠ الم يخطـــر على بالك أنها الشجرة الوحيدة هنا ٠٠ والدنيا حر وأنت في حاجة الى ظل ٠

وقع الرجل هامدا كان الشجرة هى التى قطعته و... ٠٠ وقال : كيف لم يخطر لى انه كان في الاه ان عمل شيء اخر غير الذى فعلت ٠

طلبتي فترة من امتع فترات الحياة ، وأنا أقـول دائما ان اروع مافي العمل الجامعي أنه العمل الوحيد في الدنيا الذى يؤجر فيه الانسان على تثقيف نفسه لكي يثقف بعد ذلك أجيالا واجيالا من بني وطنه وبني أوطان اخرى .

وليت أساتذة الجامعة يعون ذلك ويدركون حقيقته وهم يمدون ابصارهم الى خارج الجامعة ـ ان الجامعة برغم كل مافيها وانا بما فيها عليم ـ هي أفضل الاماكن لمن يريد ان يزداد غنى في الفكر ومن يعنيه أن يثقف نفسه وأن يثقف غيره وان يشارك مشاركة حقيقية في صنع الانسان ومن ثم في تشكيل الاوطان .

وتقلبت بي الايام بعد ذلك وباعدت بيني وبين واحتي تلك التي أعود اليها اليوم على شوق شديد .

ووقفت أمام كتبي كالعابد في محرابه أقلب النظـر واسترجع الخواطر والمشاعر ، كم من كتاب أوشـكت صفحاته أن تبلى من كثرة ما قرأت فيه ، وكم من كتـاب قرأت صفحاته الاولى بتأمل وتمهل ثم عبرته بعد ذلـك عبورا في غير مهل ولا أناة .. وكم ..وكم . وغـابة متشابكة من المشاعر والاحاسيس .

ووقع نظري على صندوق جئت به من باريس بعـد انتهاء عملي فيها كمستشار ثقافي فاذا به ملىء بأحـدث ما انتجه الفكر الغربي عامة والفكر الفرنسي خاصـة

ومددت يدى اليه أخرج منه كتابا وراء كتاب لاضعه حيث يجب ان يوضع على رفوف المكتبة .. ووقفت أتأمل تلك الكتب القيمة .. هذا كتاب في التاريخ النقدى للفكـر الانساني في اجزاء اربع تحكي قصة العقل وكيف تطور مرحلة بعد مرحلة وكأنها معارك خاضها عقل الانسان ، وهذه دائرة معارف خاصة بالفنون من ستة اجزاء تبـدأ من فنون ما قبل التاريخ لتنتهي بمدارس الفن المعاصر بكل ما فيها من متعة أو من هم وغم وغموض ، وهذان كتابانعن العالم الثالث ومشاكله السياسية والاقتصـادية والاجتماعية كتب أحدهما رجل من رجال الدين المتفتحين على الحياة وكتب الاخر أستاذ جامعي جليل ـ ولعلنـا نعود قريبا الى العالم الثالث ومشاكله فقد كثر الحديث عنه هنا وهناك ، وذلك كتاب في كذا .. وهذا اخـر عن كذا .. وبحر زاخر يبدو بغير قرار .

ومضت ساعات لم احس بمرورها ولـكني أحسست أثناءها أنني وجدت نفسي من جديد . وخطر في ذهـني خاطر وجرى بيني وبين صديق لي حديث .. ولعـلني استطيع أن أقدم لقراء « الدوحة » بين الحين والحـين ثمرة من ثمرات تلك الواحة أو تيارا من تيارات المعرفة الانسانية المعاصرة أو كتابا من كتب المحدثين أو الاقدمين .

وقل عسى أن تأذن بذلك شواغل الحياة .

- الرجل المعقول هو الذى يلائم بين نفسه وبين الدنيا . والرجل غير المعقول هو الذى يحـاول ان يلائم بين الدنيا وبين نفسه . وكل تقدم في العالم يتوقف على مجهودات الرجل غير المعقول .

« ج. برنارد شو »

- اؤمن بوحي السماء واثق ان التماس النـاس السعادة الدنيوية دون الايمان بهذا الوحي ضرب من المحال .

(تولستوى)

- النضج الانساني عظمة نفسيـة لا يبلغها الا القليلون فاذا رأيت انسانا لا تفقد فيـه الانسانية حقيقة من حقائقها ولا يصيب فيـه الجبروت باطلا من اباطيله .. فهذا هو النضج الانساني في الانسان .

- كل المراحل التي قطعتها البشرية في سـبيل التقدم كانت بفضل افراد من الافذاذ جعلوا من صدورهم لها مقدسا يبدد الظلمات وينير الطريق للسائرين .

- ليس شيئا ان تكون زاهدة في صومعة . ولكن العظمة كلها ان تكون زاهدا والدنيـا تحت قدميك .

- الحرية في أصدق تعريف لها هي تحرير الانسان من الخوف والحاجة . فانت تطلب المحال من شخص حين تطالبه بان يكون حر الرأى وهـو يرسف في عبودية الحاجة .

- في بعض المواقف يكون الغباء خيرا وبركة لانه على الاقل يكون وقاية لصاحبه من الجنون .

خواطر وابتسامات

محمد عفيفي

● بقدر ما يكون جهاز الراديو عند الرجل عاليا ، بقدر ما يكون هو عكس ذلك ..

★★★

● يا أيها الصارخون في مكبرات الصوت ، آه لو تعلمون كم تحتاج اصواتكم الى مصغرات ..

★★★

● سر على الارض هونا ، فقد عاشت هذه الارض بدونك ملايين السنين ، واغلب الظن انها سوف تفعل ذلك مرة اخرى ..

★★★

● اذا رايت عشرة اشخاص يتجادلون بصوت مرتفع ويتكلمون في وقت واحد ، فيمكنك ان ان تستنتج اشياء كثيرة على راسها انهم جميعا مخطئون ..

★●★

● بقدر ما احب الرجل الذي يكسب عيشه بعرق جبينه ، بقدر ما أكره الرجل الآخر الذي يكسبه بعرق جبيني ..

★●★

● لا يزعجني ان ارى رجلا دخله اكبر من دخلي ، بقدر ما يزعجني ان أرى رجلا دخله اكبر من دخله ..

★●★

● وسط كل ما حولي من العبوات الناقصة لن أعجب اذا اشتريت منبها جديدا فطلعت ساعته خمسين دقيقة ..

★●★

● لن تجد مني اية معارضة لأن تستمتع بحياتك ، مادام لا يدخل في باب ذلك أن تستمتع بحياتي ..

★●★

● كل ما استطيع ان اقوله عن اخلاق ذلك الرجل انك اذا اقرضته نابا فيجدر بك عند استرداده أن تعد ثقوبه ..

● لن نفيد الاخرين في التخلص من عيوبهم اذا نحن بدانا بامتداحها ..

★★★

● من الفروق الهامة بين الحيوان والانسان ، ان الحيوان لا ينكسف ، اما الانسان فينكسف دون ان يمنعه ذلك من ان يعملها ..

★★★

● كل الحيوانات تقتل بانفعال ، ولكن الانسان هو الوحيد الذي يقتل ببرود ..

★★★

● قد تصرخ ساعة في وجهي فلا تقنعني ، وقد تهمس همسة واحدة في اذني فتفعل ..

★★★

● طبعا ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، يجب ان يكون بجانبه شيء من اللحم والخضروات .

★★★

● اذا كان عندك رأي جاهز في كل موضوع فاكون شاكرا لو احتفظت به لنفسك ..

من الطريقة التي يتصرف بها بعض حملة الشهادات العليا يبدو بوضوح انهم ينوءون بحملها جدا ..

★●★

● ليس كل ما يغني مطربا ولا كل من تغني مطربة ، وبالنسبة لبعض من يمارسون الغناء اعتقد انه من الواجب ان نبتكر اصطلاحا جديدا هو مستطرب ومستطربة ..

★★★

● قارن بين التصفيق الذي يعقب الاغنية العادية ، والاخر الذي يعقب الموسيقى السيمفونية تدرك ان هناك تصفيقا مثقفا ..

★★★

● اذا استمر عرض الفيلم اكثر من عشرة اسابيع فهذا دليل على احد امرين : اما انه جيد جدا واما انه رديء جدا .

نزار قباني يتحدث عن نزار قباني

وظيفة الشاعر هي أن يغير نظام الاشياء من حوله

لا شعر حقيقي .. إلا في الخروج على القانون

●● الشعر هو الغاية .. هو الشوط الاخير الذي نصل اليه . وانني حين أتأمل قاعدتي الجماهيرية في العالم العربي .. أشعر أني نجحت الى حد ما في أن أوصل صوت الحقيقة الى الناس .. كل الناس .

●● وظيفة الشاعر هي أن يغير نظام الاشياء من حوله . وظيفته أن يكون قنبلة موقوتة توضع تحت سرير أهل الكهف ، وتحت أسرة المتخلفين والانكشارية .

نحن ولدنا ، لنجد عالما عربيا من حولنا كل قوانينه جاهزة .. وكل افكاره حجرية . ولو كان دورنا ان ننحنى لهذه القوانين .. لكانت كتابة الشعر شيئا بسيطا للغاية . الشعر في الحقيقة .. هو غضب وهو مواجهة .. وهو تحد .

يقولون ان شعرى خروج على القانون ؟ وعلى أى قانون أنا خارج ؟

ـ لا شعر حقيقى الا في الخروج على القانون . والقانون الذى أخرج عليه ، هو القانون البالى .. القانون الخطأ .. القانون الذى يحاول أن يبقى الانسان العربى واحدا من أهل الكهف . مستسلما للغيبوبة . وهذا يرفضه الشعر .

●● ليس مطلوبا من الشعر ـ بالطبع ـ أن يحدث تأثيرات فورية . ان القصائد ليست فرقة مظلات تأتي الى مدينة وتحتلها في خمس دقائق .

انني اكتب الشعر منذ ثلاثين عاما .. وشعورى انني استطعت أن أوجد تحولات كثيرة في المنطقة العربية .

ومن الطبيعي أن تكون هناك مقاومة كبيرة لشعري . لاننا موجودون في منطقة لها قوانينها الجاهزة ، ولها طقوسها واحتفالاتها . وحين نحاول أن نغير شيئا من المفهوم العام ، أو أن نخرج على النظام ، فرأسا نواجه أهل الكهف . معارضة أولئك الذين لا يريدون للحياة العربية أن تتطور . لذلك .. فالشعر من وجهة نظرى صراع وتحد . أنا لا أناقش ـ في الحقيقة ـ هل أنا وصلت أو لم أصل . لكنى فقط أدرك أنه لا شيء يضيع في هذه الدنيا . يعنى كل كلمة مكتوبة لابد أن تصل . ولا بد أن تشعل حرائق . ولا بد أن تغير التركيب الاساسى للانسان العربى .

●● جدوى الشعر الان أنه يحرق كل الاوثان . وجدواه أنه يقتلع الخرافات من جذورها . وجدواه أنه يفضح التمثيلية الزائفة ، ويفضح الممثلين . ربما

نزار قباني

مشكلة الشعر العربي هي ازدواجية اللغة

يكون هذا رأيا خطيرا • أو ربما يكون رأيا متطرفا • ولكني اعتقد أن الشعر ينبغي أن يكون كذلك • لا شعر بدون التغيير للنظام العام لان عالمنا العربي الان عالم متقاتل متنافر متذابح • ووظيفة الشعر هي الكشف عن هذا الخطأ الحاصل • الكشف عن عقلية ملوك الطوائف ، وفكرهم ، وسلوكهم •

لذلك •• أنا مستمر في القتال ، وارجو من بقية الشعراء زملائي أن يستمروا في القتال ، لانه لابد للكلمة من أن تربح في نهاية الشوط •

●● هناك شاعر يقول الحقيقة • وهناك غيره يلتف حولها أو يهرب منها • وأنا أعتقد أن الشعب العربي هو من أرقى الشعوب العربية استماعا للشعر • هذا ميراثنا ، وهذا في دمنا • لانه لا يمكن للانسان العربي أن يهرب من الشعر ، كما لا يستطيع أن يهرب من لون جلده •

ان الشعب العربي حين يتقدم الشاعر اليه بقصيدة تستوعبه أو تستقطب همومه ، فانه وبصورة تلقائية ـ يتمسك بالقصيدة وبصاحب القصيدة •

انني أعتقد ان سر القاعدة الجماهيرية الكبيرة التي كونتها في العالم العربي هو انني لم ازيف نفسي في يوم من الايام • ولا أحاول أن اخدع الشعب العربي •

●● في كثير من الاحيان اكون قاسيا ••

مثلا في قصيدتي « هوامش على دفتر النكسة » كنت أكوى الشعب العربي • وكذلك في قصيدة « حشيش وخبز وقمر » ، لكن هذا الكي ناشيء عن الحب • والحبيب الموجوع لا يعالج بالامنيات والادعية فقط • وانما يفعل شيء لينقذه ، ولو كان ذلك عن طريق الكي • وقديما كانوا يقولون : ان الكي هو اخر الدواء •

●● قبل ثلاثين عاما كنت أغني وارسم •

لم يكن صوتي جميلا • ولكن كل انسان يتصور أن صوته جميل • كنت أشعر ذاك الحين أنه يمكن التعبير بالموسيقى عن النفس الانسانية • وحاولت بالفعل أن أتعلم الموسيقى لكن ثبت لي ـ بعدين ـ أني سأكون موسيقيا فاشلا • وأنا لا اقبل أنصاف الحلول • فانتقلت الى الرسم •

غرقت في الالوان والاصبغة واللوحات • وكنت أرسم حتى حيطان البيت •

●● بعد عامين من الرسم بالالوان والاصباغ •• بعدهما كنت في الخامس عشر من عمرى •• ثبت لي أن اللون أخرس • يعني ليس له لسان ، مثلما الموسيقى يجب أن تتابعها بالادراك النفسي وليس باللمس •

عندئذ اكتشفت ان الكلمة هي مبتغاي • شعرت أن الكلمة هي الاقدر على أن تعبر عن عواطفنا لانها هي لغة الانسان للانسان • وهي لغة مباشرة ، ليست لغة محدودة مثل الموسيقى أو الرسم •

وهكذا انتقلت الى الشعر •

●● في البداية كنت أغني شعرى • أدندن به • كان لدى في الحقيقة حالة سيولة من الموسيقى ، تدفعني الى أن أحول الكلمة دائما الى شيء ملحن • انني أكتب شعرى دائما على خلفية موسيقية • أما الرسم •• فان غلافات كتبي كلها ـ تقريبا ـ أرسمها • آخر غلاف ديوان لي رسمته •• كان ديوان « قصائد متوحشة » •

● لم يستطع الطالب كتابة درس الاملاء التحريري جيدا • فكتب ملحوظة في نهاية الورق قال فيها : « لقد خلعت اسناني أمس • ولهذا لم أستطع نطق الكلمات كما يجب » !

● أرادت الزوجة التي يزداد وزنها باستمرار ، ان تشجع نفسها على عدم تناول الطعام بين حين واخر ، فالصقت على باب الثلاجة صورة حسناء نحيلة القوام في ثياب الاستحمام •

ونجحت الحيلة ، وفقدت السيدة حوالى ثلاثة كيلو جرامات في اسبوع • ولكن زوجها لم يستطع الابتعاد عن الثلاجة بسبب الصورة ، فزاد وزنه ثلاثة كيلوجرامات في نفس المدة !

●● عندما غنت لي أم كلثوم .. وغنى لي عبد الحليم حافظ .. وفايزة احمد ونجاة الصغيرة .. نقلوا الى حد كبير احساسي بالكلمة . وذلك لان الذين تولوا تلحين قصائدي كانوا من الطليعة الموسيقية في العالم العربي ، وعلى رأسهم الاستاذ محمد عبد الوهاب . الاستاذ عبد الوهاب قارىء شعر من الطراز الاول . وربما صحبته لامير الشعراء احمد شوقي أعطته هذه الخميرة وهذا الاستعداد . في نظري أن الاستاذ عبد الوهاب هو خير من قرأ الشعر من الموسيقيين . والتجربة مع محمد الموجي كانت جيدة جدا . يعني محمد الموجي في تلحينه لاغنيتي أو لقصيدتي « رسالة من تحت الماء » استطاع أن يعطي الشعور بالشعر فيه ، لان القصيدة صعبة . وكذلك القصيدة الاخيرة « قارئة الفنجان » . اللحن متطور جدا .. وغريب جدا .. وجديد جدا . وأنا اعتقد أن محمد الموجي وعبد الحليم حافظ في هذه القصيدة اشتغلوا كثير جدا . لقد ظلت قصيدة « قارئة الفنجان » بين يدي محمد الموجي وعبد الحليم ثلاث سنوات . انها في الحقيقة ليست القصيدة المكتوبة في ديوان الشعر . لاننا غيرنا فيها شوية .

●● انني على خلاف مع الذين يقولون ان الثورة يجب أن تبدأ اقتصادية أو اجتماعية . أنا رأيي أن الثورة ينبغي أن تبدأ بتحريرنا لانفسنا ولاجسادنا . يعني .. المرأة مثلا نعرف جميعا مضت عليها عصور وهي محبوسة في زجاجة ، ومختوم عليها بالشمع الاحمر . يعني ممنوعة من الكلام ، ومن التصرف . وهكذا حاولت في شعري أن أنقذها من هذه الورطة . من هذه الزنزانة الانفرادية . فأنا أعتقد ان المرأة مخلوق يعادلنا ذهنا وعقلا وأحاسيس وشعورا . وأن المجتمع العربي لا يمكن أن ينهض ولا يمكن أن يتحرر الا اذا تحررت المرأة فيه . وانني أعتقد أن المرأة ليست هذا اللغز الكبير الذي لا يستطيع أحد كشفه . انها موجودة في حياتنا اليومية في صورة الام ، والشقيقة ، والاخت ، والحبيبة . وانني بكل فخر أقول انني استطعت أن اتولى ترجمة عواطفها ، وترجمة ما تريد أن تقول . فيه كاتبات في الوطن العربي استطعن التعبير نوعا ما عما يختلج في ذات المرأة . لكن أنا أعتقد انه لا زال المجتمع العربي في حاجة الى مزيد من الكاتبات ليعبرن عن هذا العالم الكبير والضروري التعبير عنه . وهو عالم المرأة والى أن تأتي هذه الكاتبة الكبيرة العربية التي تستطيع أن تطرح أوراقها بقوة وشجاعة على المائدة ، فاني اتولى الدفاع ـ حتى الان ـ عن المرأة . ومع ذلك فأنا أرفض التحديد بأنني شاعر المرأة فقط . وانما شاعر الانسان كله .

●● لست الشاعر الوحيد في عائلة « قباني » . انني ـ فقط ـ شاعر الذكور منهم . لكن هناك شاعرة هي ابنة أخي الدكتور صباح قباني ، وهو سفير الجمهورية العربية السورية في واشنطن ، ولها من العمر ١٧ عاما . وهي تكتب الشعر بالانجليزية مع الاسف . الا أن شعرها جيد .

●● الشعر لا يثير لي أية مشكلة في بيتي . فلقد تزوجت من امرأة تفهمني جدا . ومتحضرة جدا في نظرتها للشعر . وهي تعتبر أن شعري هو اضافة لها . هو شريك لها في الحياة الزوجية . حتى أنها سئلت مرة : ما بتغاري من معجبات نزار قباني . فأجابت ـ على ما أذكر ـ بقولها : لأ . لقد تزوجت نزارا وأنا أعرف جميع معارفه ، وأعرف أن له معجبات . ويوم لا يصبح لنزار معجبات .. فلن يبقى نزار .

ومع ذلك فأنا أعتقد أن الزواج من شاعر يعتبر عملية انتحارية . يعني أعتقد ان المرأة التي ترضى أن تتزوج من شاعر أو من فنان بصورة خاصة ، فان عليها ان تضع نصب عينيها انها تتزوج من البرق أو الريح أو العاصفة أو الزلزال .

انني ـ مثلا ـ لا اطلع زوجتي السيدة « بلقيس » على أشعاري قبل نشرها ، أو قبل القائها على الجمهور . أحب أن تظل قصيدتي « سرا » الى ان تصبح سرا علنيا .

● قال الطبيب لزميله في بهو المستشفى :

ـ انني أخذ عادة قرصين من الاسبرين بعد كل أربعة أو خمسة من المرضى !

● سئلت السيدة العجوز التي يفيض وجهها بشرا وحيوية : أي مواد التجميل تستعملين ؟ . فقالت :

ـ « استخدم لشفتي الحق ، ولصوتي الصلاة ، ولعيني الرحمة والشفقة ، وليدي الاحسان ، ولقوامي الاستقامة ، ولقلبي الحب » .

نزار قباني

●● كل مدينة كان لها مذاق في حياتي • وكل مدينة كانت أشبه بكتاب اقرؤه • قرأت لندن •• وأسبانيا •• والاندلس •• والصين • وكل مدينة من هذه المدن أعطتني شيئا • ومن مجموع هذه القراءات في وجوه المدن •• تكون شعرى • يعنى أنا في لندن كتبت شعرا له صبغة وفي مدريد كتبت شعر اله صبغة • وفي دمشق •• وفي بيروت • يعنى حين استعرض كتبي أجد جغرافية العالم كلها فيها •

●● مشكلة الشعر العربي ، او مشكلة اللغة العربية •• هي مشكلة الازدواجية • ويبدو أن الازدواجية تلاحقنا تحديا ولغويا • يعنى نحن نتمنى أن نصل الى لغة واحدة ، وهي التي اسميتها اللغة الثالثة • نحن ممزقون بين لغتين • الطفل في البيت وفي الشارع يتكلم لغة • وفي المدرسة يتكلم لغة • ونحن كذلك •• في المقهى نتكلم لغة •• وفي الجامعة نتكلم لغة • وحين نقف في مكان ما كخطباء نتكلم لغة اخرى •

انني أعتقد أننا حين نصل الى اللغة الثالثة فسيكون عندنا شعر جيد • وسوف تزول غربتنا • وسوف ينكسر هذا الجدار السميك القائم بين اللغتين •

واللغة الثالثة التي اقصدها هي اللغة التي نستطيع بها أن ننقل الممارسة اليومية ، وأشياءنا اليومية ، وبالتالي تعكس حياتنا •

●● انني كشاعر ما غيرت نفسي أبدا ••

فان حقيقتي الاولى – مثلا – هي أن أكتب عن المرأة واحررها • ثم •• بدأ حجم المرأة يكبر بالنسبة لي حتى صارت بحجم الوطن كله • يعني أنا الان لا أقيم فواصل ابدا بين شعري القديم ، وشعري الذي كتب بعد ٦٧ • بمعنى أن الشاعر ينبغي ان يبقى دائما مستعدا كذئب الغابة ، لا يستسلم للطمأنينة • وعلى استعداد لان يشعل الكبريت ، ويضيء من حوله • ويمكن هذا هو السبب الذي جعلني كشاعر أستمر على المسرح الشعري ثلاثين سنة • لانني شخصيا لا اقف في مكان • أنا مثل الموجة •• آخذ كل يوم حجما وبعدا • والشاعر الذي يتحول الى شجرة مزروعة في التراب ، يموت متخشبا •

●● ان الوطن العربي بالرغم من كونه وطن الشعر •• الا انه لا يتسامح مع الشعر • يعني نحن في عالم عربي مفروض أن يكون عالما واحدا يستطيع الانسان أن يتنقل فيه من مكان الى مكان اخر • ومن مدينة الى مدينة •• وتستطيع الكلمة أن تذهب الى حيث تريد • ولكن مع الاسف ، فان الواقع العربي ، يختلف تماما عن هذا الحلم الذي نتحدث عنه • وقد كتبت في هذا قصيدة بعنوان : الحاكم والعصفور •

الذين يقولون ان نزار قباني استطاع أن ينتقل من شاعر الدانتيل المرفه ، الى شاعر السكين المرهف •• لا يدركون حركة التطور التاريخية ، ولا حركة تطور الانسان •

ليس هناك شاعر ينبت من العدم •

نحن لنا ثقافة ولنا بيئة ولنا وراثة • هناك ملايين العوامل التي تلعب دورا في تكوين الشعر • وانا نتيجة تراكمات ماضية • ودائما اعتقد ان قصيدتي ليست من كتابتي وحدي ، وانما اشتركت في كتابتها كل العصور • يعني أنا قرأت قراءات كثيرة وبلغات متعددة • ومن ثم كونت أرضية ثقافية لنفسي ، ولكن حينما أجلس للكتابة أفضل أن أكون بلا ذاكرة • أفضل أن انسى كل ما قرأت •• انسى المتنبي وأبو تمام وابن الرومي والشريف الرضي وعمر ابن ابي ربيعه وشكسبير واللورد بايرون ولوركا وكل شعراء العالم •• وأن أبدأ صوتي • يعني أبدأ من جديد ، وأن اغني بصوتي الخاص •

واخيرا ••

عندما اصعد الى خشبة المسرح ، لالقى شعري •• أحس بنوع من الكبرياء والغرور ، لان أناسا كثيرين يستمعون الى شعري •

لكن : من أنا ؟ والى أين أصل ؟ وأين أضع نفسي هو أنني شاعر استطاع أن يلتحم مع أعصاب الامة العربية ، ومع شريانها ، ودمها ، ونبضها •• وما أزال •

اذا حرمت نفسك من كل شيء باعتبار ان القرش الابيض ينفع في اليوم الاسود فقد جعلت ايامك كلها سوداء • فانت غني بقدر ما تنفق لا بقدر ما تملك ••

أدبــاء ومــواقف

رجــــاء النقــــاش



الانسان نهرو والابنة انديرا



نهرو

من اجمل الكتب التى قراتها فى مطلع الصبا كتاب الزعيم الهندى العظيم « نهرو » الذى جعل عنوانه « رسائل الى انديرا » وقد اثار هذا الكتاب الجميل فى نفسى منذ قراءتى الاولى له مجموعة من الخواطر التى ما زالت تعيش فى وجدانى حتى اليوم ٠

كنت اسأل نفسى : كيف استطاع نهـــرو ان يكتب هذا الكتاب الجميل وهو فى السجن ؟ هل كان السجن مريحا الى هذا الحد ؟ وهل استطاع نهرو ان يحصل على الكتب والمراجع الكثيرة أم انه اعتمد على ذاكرته التى زاد السجن من صفائها الرائع ؟٠٠

اى سجن هذا الذى كان نهرو يعيش فيه ؟ انه سجن جميل ولا شك ٠٠ انه معبد من معابد الفكر والتامل ٠ هل كان السجن الذى دخله « نهرو » مناسبا للكتابة والتفكير على هذا المستوى الرفيع ؟ ام ان المسالة كلها هى ان نهرو كان اكبر من هذا السجن ٠٠ ومن اى سجن ٠

ان المعنى الكبير الذى يقدمه لنا نهـــرو من خلال كتابه هو ان العقل الخصب والروح الغنية الاصيلة تصبح القيود معها عديمة المعنى ، عديمة القيمة ، فكتاب نهرو هو رحلة فى تاريخ الانسانية منذ اقدم العصور حتى عصرنا الحاضر ٠ رحلة مع المصاعب المختلفة التى تواجهه ٠ رحلة من اجل تحقيق السعادة البشرية ، التى لم تتحقـــق حتى الان ٠ كان نهرو فى سجنه يخترق الجدران بعقله الكبير ووجدانه وعاطفته العميقـــــة ٠٠ وهكذا لم تستطع جدران السجن ان تحـــد من انطلاق هذا العقل الكبير ٠٠ عقل نهرو النبيـــل العظيم ٠

والخاطر الذى خطر على بالى وانا اقرا هـذا الكتاب ، وما زال هذا الخاطر يعيش فى وجدانى الى اليوم هو خاطر يتصل بمعنى « الانســـان العظيم » ٠٠ من هو الانسان العظيم ؟٠٠ فى كتاب نهرو اجابة غير مباشرة على هذا السؤال : فالعظيم هو الذى يفكر فى الانسان وفى العالم فى الوقت الذى يفكر فيه فى نفسه وفى اهلة او قبل ان يفكر فى نفسه وفى اهله ٠ وفى هذا الكتاب الذى الفــة نهرو نجد انه كان يفكر فى ابنته « انديـــرا » ، وهذا شعور طبيعى فى قلب اب مفكر حســـاس مثل نهرو ٠٠ هو مسجون لا يرى ابنته الغـــالية الحبيبة ولا تراه ، فهو مشغول عليها ، وقلبه ملء باللهفة والشوق ٠

هذا هو الانسان الطبيعى العـــادى الذى يحب ابناءه كما يحب كل اب ابناءه ٠

ولكن الانسان العظيم يختلف عن الانســـان العادى فى طريقة الحب ٠ لقد فـــكر نهرو كيف يجعل حبه لابنته شعورا مثمرا بالنسبة للانسانية لا بالنسبة لابنته فقط. فكر فى ان يمـــزج بين مشاعره الخاصة والمشاعر العامة ٠ ومن هنـــا كانت فكرة الكتاب الذى الفه نهرو فى السجن ٠ انه لم يكتب الى ابنته انديرا ، التى كانت صبية صغيرة فى ذلك الحين ٠٠ لم يكتب اليها مشاعر حب عادية ، ولكنه كتب اليها « تاريخ الانســـانية » كلها ٠٠ كل رسالة من رسائل الكتاب تتحدث عن فترة من تاريخ الانسان ، بحيث تستطيع « انديرا » ان تخرج من هذه الرســـائل بمعـــرفة اولية ولكنها معرفة اساسية بتاريخ الحضارة الانسانية ٠

كان نهرو يحب ابنته كل الحب فاختار لهـــا الهدية التى تناسبه كانسان عظيم ٠٠ اختار لها ان يحدثها عن تاريخ البشر ، وعن آلامهم وهمومهـــم وجهـــودهم الكبـــيرة فى ســـبيل التطـــور ٠٠ اراد لابنته ان تفكر فى التاريخ وفى الاخرين ٠ اراد لها ان تنشا وعندها « احساس عميق » بأنها جزء من عالم كبير ٠٠ اراد لها ان تتعود كيف تنشـــغل بالغير لا بنفسها فقط ٠ اراد لها أن تتحرر من



انديـــرا

السجن الحقيقي الكبير ، وهو سجن « الذات » ٠٠ فالمسجون في ذاته هو المسجون الحقيقي ، امـــا المسجون بين اربعة جدران فهو حر طليق خاصة اذا ما كان مثل نهرو ممثلا لقضية عادلـــة ٠ ان المسجون في ذاته اناني ، لا يســتطيع ان يعطى الدنيا شيئا لانه لا يراها ولا يفكر فيهـا ٠٠ انه لا يفكر الا في نفسه ولا يرى الا نفسة ٠

لقد كان نهرو يكتب رسائله الى ابنته كانـة يروى لها مجموعة من قصص « الف ليـــلة » ، كان يريد أن يسليها ، ولكنه وهو يسليها كـان يعلمها ويزرع فيها احساسا عميقا بالمســئولية ، لا نحو نفسها وأسرتها فقط ، ولكن أولا وقبل كل شيء نحو العالم والانسان ٠

هذا الاحساس بالمسئولية هو هدية عظيمة من انسان عظيم لابنته ٠٠ وهذه الهدية هي في رايي السر الاكبر وراء شخصية انديرا غاندى منــــذ ظهورها في الحياة العامة حتى اليوم ٠٠ لقد خرجت انديرا من صفحات هذا الكتاب ، وقامت بدورها في الحياة بعد أن تحول هذا الكتاب الى دم نـــقى يجرى في عروقها ٠

كان نهرو وهو يفكر في هذا الكتاب يفكـــر في ابنته ، ومن خلالها كان يفكر في كل بنات هـذا العالم ، وفي كل ابنائه ٠٠ كان يمـــلك قلب « الاب العالمي » الملىء بالحب والحنان نحو كل البنات والابناء الطيبين فوق هذه الارض ، وخاصـــة هؤلاء البنات والابناء الذين ينتسبون الى شـــعوب مثل شعب الهند ٠٠ شعوب عانت وتعبت من اجـل حريتها وكرامتها ، وما زالت تبذل جهدها من أجـل الحرية والكرامة ٠

وهكذا كان حب نهرو لابنته حبا لكل ابناء العالم الطيبين ٠

على أن كتاب نهرو الجميل « رسائل الى انديرا » يثير في النفس خاطرا اخر حول : الزعيم المثقف ٠

هل يمكن ان يؤدى الزعيم دوره بالنسبة لشعبه وبالنسبة للانسانية اذا كان محدود الثقافة ؟ ٠٠ بالقطع لا يمكن ٠

الثقافة ، والثقافة الشاملة الرفيعة وحدها هى التى تخلق الزعيم العظيم ٠

الثقافة هي التى تعطيه القدرة على فهم المشاكل وحلها حلا صحيحا ٠

الثقافة هى التى تهذب روحه وترتقى بهـــا ، وتمنحه الجاذبية والتواضع والقدرة على محبـــة الناس والعمل من أجلهم ٠

الثقافة هى التى تحول بينه وبين القسوة ٠ لان « القسوة » فى السياسة هى الطريق السهل الذى يلجا اليه من لا يفكرون ومن لم ينالوا من الثقافة حظـا كافيا والقسوة ليست هى القوة على الاطلاق ٠ فالقاسى ضعيف مهما تظاهر بغير ذلك الونهرو هو نموذج للحاكم كما كان يتصوره افلاطون ٠٠ انه « الحاكم الفيلسوف » ، الحـــاكم المثقف الممتلىء القـوى الممتلىء بروح العلم ٠

وكتاب نهرو « رسائل الى انديرا » يكشف الى اى مدى كان نهرو مثقفا والى اى مـــدى كان موهف الاحساس واسع الصدر بعيدا عن العنف والقسوة كل البعد ٠

على أن كتاب نهرو يثير خاطرا أخيرا هو اهم هذه الخواطر التى اثارها هذا الكتاب في نفسى ٠ انـــنى اتمنى ان أرى في المكتبة العربية كتابا مثل كتـــاب نهرو ٠ كتابا يروى لابنتى « لميس » ولكل بنات العرب وابنائهم قصة الحضارة العربية منذ أقدم العصور الى اليوم ٠٠ كتابا يحكي لابنتى ولجيلها كلـــه في بلادنا بل وفي العالم : قصة العرب وما اضافوه الى هذه الدنيا من قيم حضارية وانسانية كبيرة ٠٠ في الشعر ٠٠ في العلم ٠٠ في العمارة ٠٠ في القانون ٠٠ في الاخلاق ٠

ادبـاء ومـواقف

في لحظات الحلم والغرور اتمنى ان اكتب كتابا يتضمن رسائل لابنتي عن حضارة العرب ·

وهو غرور لا شك فيه ·· وعندما اضبط نفسي وانا غارق في هذا الغرور الحالم فانني انهر نفسي على الفور واقول لها : عيب ·· فلا انا نهـرو ·· ولا ابنتي انديرا ·

ولكنني مع ذلك ارى ان غروري له ما يبرره الى حد كبير ·

فانا وابنتي ننتسب الى الحضارة العـربية ، والحضارة العربية تستحق منا ان نعتز بها ·· وهذا وحده هو الذي يمكن ان يسمح لي بالحلم الجميل ·· بل بالحلم المغرور ·

اني اتمنى ان ارى هذا الكتاب يوما في المكتبة العـربية !

اتمنى ان اكتبه انا ·· أو يكتبه غيري ممن هم اقدر مني على ان « يعزفوا » لحن الحضارة العـربية ويرددوا موسيقاها الجميلة على اسماع الدنيا ·

المهم ·· ان يظهـر الكتاب ·· وان يتحقق الحـلم ···

بين احمد بهاء الدين والطيب صالح

في حديث ممتع ادلى به الكاتب العـربي الكبير احمد بهاء الدين الى جريدة « السياسة » الكويتية تحدث بهاء عن الطيب صالح فقال ، وهذا هو نص كلماته :

« اخشى ان يكون الطيب صالح من هذا النوع من الكتاب الذين اشتهروا برواية واحدة ، مثل برناردين سان بيير ، مؤلف رواية « ماجدولين » ، ويقـال عنهم الدجاجة التي تبيض بيضـة واحدة · لان رواية الطيب صالح « موسم الهجرة الى الشـمال » تستطيع ان تعدها واحدة من أعـظم ثلاث روايات ظهرت في تاريخ الرواية العربية · ولكـن الطيب صالح لم يكتب شيئا بعدها » ·



احمـد بها الدين

وانا اختلف مع احمـد بها الدين في هذا الرأي حول الطيب صالح ·

وهناك منذ البداية حقيقة ادبية تقول ان الطيب صالح لم يكتب رواية واحدة وانما كتب اربـع روايات ومجموعة من القصص القصيرة ·

والروايات الاربع التي كتبها الطيب صالح هي بترتيب ظهورها : "عرس الزين"، "موسم الهجرة الى الشمال"، "ضـو البيت"، "مريـود" ·

والرواية الاخيرة لم تظهر بعد ، ولكنها نشرت او نشر معظمها في الصحف العربية ، وقد نشـرت جريدة « الفجر » التي تصدر في ـ أبو ظبي ـ بعض فصول هذه الرواية الجديدة عندما كان يشرف على تحريرها صديقنا الكاتب الموهوب اللامع محمـود السعدني ـ رد الله غربته وغربة جميع المثقفـين المصريين ·· آمين يارب العالمين ، كما نشرت مجلة « الاسبوع العربي » في لبنان بعض فصول اخـرى من هذه الرواية ·

اما المجموعة القصصية التي كتبها الطيب صـالح فهي « دومة ود حامد » ، وقصة ـ دومة ود حامد ـ بالذات من بين هذه المجموعة تعتبر من ارقى القصص القصيرة في الادب العربي بل وفي الادب العـالمي ايضـا ·

فالطيب صالح لم يكتب رواية واحدة اذن كمـا يقول بهاء ، وانما كتب اربع روايات ·

قد يقول قائل : ان الطيب صالح لم يبدع شيئا في مستوى « موسم الهجرة الى الشمال » وان رواياته

الاخرى اقل ـ فنا وفكرا ـ من رواية « موسم الهجرة » •

وقد يكون هذا هو معنى كلام بهاء ، وان كان بهاء لم يقل ذلك صراحة •

وهنا اقول ، وهذا رأيي :

ان الروايات التي كتبها الطيب صالح جميعا في مستوى فني رفيع بالنسبة لادبنا الروائي العربي المعاصر ، بل واضيف الى ذلك دون اي مبالغة : ان روايات الطيب صالح تستحق ان تكون روايات عالمية ، واننا يمكن ان نقدمها كنموذج انساني انجزه الاديب العربي ويستطيع اي قارىء في اي مكان من العالم ان يجد فيها فكرا ومتعة فنية راقية •



الطيب صالح

وقد يختلف النقاد والدارسون حول هذه الروايات فيفضل ناقد هذه الرواية ، ويفضل ناقد اخر رواية اخرى •• كل ذلك حسب المقاييس التي يضعها الناقد ويحكم بها على العمل الفني •

واذكر ان صديقي الشاعر الكبير صلاح عبد الصبور كان يقول لي : ان احب روايات الطيب الى قلبي هي « عرس الزين » • وكان ابي رحمه الله ـ وكان شاعرا قارئا متذوقا ـ يعتبر « عرس الزين » اغنية من اروع اغاني الصفو والفرح والايمان بالانسان ، وانه لا مثيل لعذوبتها وصدقها قط • وقد اختار الدكتور علي الراعي ـ الناقد الكبير ـ ان يكتب عن « عرس الزين » قبل غيرها من اعمال الطيب ، وكتب مقاله عنها تحت عنوان « عرس الزين زغرودة طويلة للحياة » ، مما يوحي أن الدكتور الراعي ـ وارجو الا اكون مخطئا في الاستنتاج ـ يفضل « عرس الزين » على غيرها من الاعمال • اما الطيب صالح نفسه فيرى ان « ضو البيت » هي اقرب اعماله الى قلبه واكثرها تعبيرا عن روحه وفنه •

وفي رايي ان الروايات الاربع للطيب اشبه بسيمفونية واحدة من اربع حركات ، فهذه حركة الفرح • في عرس الزين ـ وهذه حركة الصراع ومحاولة اكتشاف الذات الخاصة والذات الحضارية في « موسم الهجرة » ، وهذه حركة الميلاد الثاني والبعث والتجديد والحوار بين الماضي والحاضر والمستقبل بحثا عن الانتماء الصحيح في «ضو البيت»، وهذه هي حركة الحضرة الصوفية الكاملة التي تقدم فرحا روحيا اخر بالحياة الخفية لا الحياة الظاهرة في « مريود » •• اربع حركات في السيمفونية الواحدة تتنوع وتختلف ولكنها في اخر الامر تتلاحق وتتواصل ولا تنقطع •

وهي سيمفونية لم تتم بعد فما زال للحركات بقية ، موضوعها الانسان العاشق والانسان المتسلط، كما يبدو واضحا من التمهيد لذلك في « مريود » ،وكما يرى الطيب نفسه عندما يتحدث عن مريود وما بعدها •

المهم •• أن تفضيل رواية على اخرى في ادب الطيب صالح شيء ، والقول بان الانجاز الادبي الوحيد للطيب صالح هو « موسم الهجرة » شيء آخر ، فالحقيقة ان انجاز الطيب صالح الادبي اوسع واعمق من الوقوف عند حدود هذه الرواية العظيمة التي كان حظها من الاهتمام النقدي والاعلامي اكبر من حظ غيرها من روايات الطيب صالح •

ومن ناحية اخرى فاننا اذا قسنا انتاج الطيب صالح بالمقاييس الزمنية فاننا نجد انه قدم اربع روايات ومجموعة قصصية في حوالي عشر سنوات اي انه يقدم عملا جديدا كل سنتين • وهذا في رايي انجاز مناسب ، اذا كنا نريد من الكاتب ان يقدم عملا فنيا له قيمته الجوهرية ، وله قدرته الحقيقية على الاضافة الفكرية والفنية الى ادبنا ، دون ان يكرر وان يمشي في الطرق المألوفة للتعبير الادبي • ونحن نجد كثيرا من كتابنا الذين نالوا حظا واسعا من الشهرة ـ لسبب او لاخر ـ يتابعون احداث الحياة اليومية ، ويكتبون عنها قصصا طويلة وقصيرة ، فهذه قصة عن حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، وهذه اخرى عن نضال بورسعيد ، وهذه ثالثة عن النكسة ، وهذه رابعة عن نضال الجزائر ، وهذه اخرى عن انتصار اكتوبر •

ما قيمة مثـــل هذا الادب ؟ وماذا يضيف الى الوجدان العربى والعقل العربي ؟ لا شيء عـــلى الاطلاق • بل ان مثل هذا الانتاج الادبى الـــذى لا يمس اعماق النفس العربية انما يمثل عبثا على تاريخنا الادبى ، لانه يضيف الى هذا التاريخ ما يسيء الى الذوق والعقل وما يسيء الى نفس القضية التى يعالجها وما يعطى صورة مشوهة لحركتنا الحضارية ، وما يسد الطريق امام التطور الفنى الصـــحيح ، القائم على التجربة الصادقة والمعاناة الحقيقيـــة والثقافية والتفكير المخلص في واقع المجتمع العربى وما يحتاجه من الوان التعبير الفنى والفكرى •

لسنا بحاجة على الاطلاق الى غزارة الكميـــة في الانتاج الادبى ، بل نحن بحاجة الى المستوى الرفيع الذى يعبر عنا بصدق وامانة وكفاءة وموهبة خالصة مخلصة • وانا واثق ان احمد بهاء الدين يؤمـــن ـ مثلما نؤمن ـ بهذا الراى ، ويرى هذه الرؤية •

ويمكننا مع ذلك ان ناخذ على الطيب صالح بطاه النسبى في الانتاج الادبى ، ونطالبه بان يعطى لادبه في حياته نسبة اكثر من الاهتمام والوقت ، فليس في كل يوم نجد اديبا في صفاء موهبة الطيب صالح •• فكرا ووجدانا وتجديدا في بناء الرواية العـــربية على هذا المستوى الرفيع •

يمكننا ـ بل يجب علينا ـ ان نطـالب الطيب صالح بان يعطي لادبه اكثر مما يعطيه ، رغم انـنى ادرك الصعوبات التى يعانيها الطيب ، بعـــد ان تعرفت عليه منذ سنوات قليـــلة ، فقد ادركت ان الطيب يعانى مشكلتين خطيرتين :

الاولى انه رجل شديد الامانة في اى عمل يمارسه ، والمجتمع العربى لم يستطع حتى الان ، ولن يستطع الى وقت طويل ان يتيح للاديب والمفكر ان يعيـــش من ادبه وفكره وقلمه ، ولذلك فمن الصعب بل من المستحيل ان يتفرغ الكاتب العربى تفرغا كامـــلا لكتابته ، لابد ان يعمل بالصحافة او الجامعة ، او الاذاعة ، او اى عمل اخر بحيث يكون انتاجه الادبى في وضع ثانوى • والطيب صالح من هذه النمـــاذج الانسانية الممتازة التى تعطى دائما ما عليها للاخرين قبل ان تفكر في نفسها • ولذلك فالطيب مســـتغرق الى حد كبير جدا في واجبه سواء كان ذلك عندمـــا كان يعمل في اذاعة لندن العربية ، او عندما انتقـــل للعمل في وزارة الاعلام القطرية •

هذا الاستغراق العملى عائق لا شك فيـــه مـــن عوائق الانتاج الادبى الصحيح • واذكر ان توفيـــق الحكيم ـ على سبيل المثال ـ كان يحل هذه المشكلة بعدم الاهتمام باعماله الرسمية ، حتى بلغ الامـــر بوزير المعارف المصرى ان يطلب من مجلس الوزراء سنة ١٩٥٢ باتخاذ قرار بفصل توفيق الحكيم مـــن عمله كمدير لدار الكتب ، لانه لم يكن يؤدى عملة على وجه سليم •• بل لم يكن يؤدى اى عمل عـــلى الاطلاق • ولكن مجلس الوزراء رفض اصدار هذا القرار ، واستطاع وزير اخر ان يفصل الشـــاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجى لنفس السبب وبنفس الحجـــة •

كان « الحكيم » وكان « ناجى » مثله ياخـذان العمل الوظيفى على انه عمل هامشى ولا يبذلان فيه اى جهد •• ليتفرغا للفن •

وليس هكذا الطيب صالح ، فهو مخلص في عمله الى حد التصوف •• وهذه مشكلته الاولى او محنته •

أما المشكلة الثانية او المحنة الثانية فهى موقف الطيب صالح من الناس • انه من ذلك النوع الذى يحمل مسئولية الاخرين ويحمل همهم الى حد كبير • ومن هنا فهو غارق بمنتهى الرضا وعدم الشكوى او السخط في مشاكل الاخرين •

وهو موقف انسانى يستحق الطيب من اجلـه كل التقدير •• ولكنه ـ عمليا ـ عائق من عوائـــق الانتاج الفنى •• وعائق كبير •

ـ هذه هي الحقيقة وقد تكون مؤلمة ٠

وأذكر على سبيل المثال ان العقاد ، وهـــو أديب كبير غزير الانتاج ، كان يعيش ـ حياة عسكرية ـ على التقريب ٠ لا يمكن زيارته الا في مواعيـــد معينة ، ولا يمكن التحدث اليه تليفونيا بعد مواعيد معينة ٠ وكانت معظم أيام الاسبوع بالنسبة له خالية من اى ارتباط على الاطلاق ٠٠ لانه كان يعتبر نفسه في عمل دائم أصلى هو الفكر والانتاج الفكرى ، ومعظم الذين يرون العقاد انما كانوا يرونـــه في ندوته الاسبوعية يوم الجمعة من الساعة التاسعة صباحا حتى الثانية عشرة ظهرا ٠٠ وبعدهـــا يقف العقاد وينصرف الضيوف ولا يستطيع احد ان يراه بعد ذلك الا في الاسبوع التالى ٠

والطيب يعيش حياة اخرى مزدحمة أشد الازدحام وهذه مشكلة ثانية ٠



العقاد

على ان هذا كله لم يكن عبئا دائما على ادب الطيب بل كان في جانب اخر نبعا من ينابيع الشـــاعرية والحنان ، والرحمة والفهم العميق للانســـان والتعاطف معه في أدب الطيب ٠

وهناك نقطة اخيرة اود ان اشير اليها في هذا التعليق السريع على ما كتبه احمد بهاء الدين عن الطيب صالح ٠

هذه النقطة هي : أن المغزى الادبى والفنى للطيب صالح ليس في كمية انتاجه ولكن في نوعية انتاجه ٠ انه يكتب بطريقة جديدة تماما على الرواية العربية ، قد تكون لها مقدمات هنا وهناك ، ولكنها مقدمات مبعثرة وغير مؤثرة ، اما الطيب صالح فهو فجـــر جديد في الرواية العربية ٠٠ انه يجسد المحاولة الناجحة لتجديد الرواية العربية بعد نجيب محفوظ وجيله ، ويجعل من احلام التجديد ومحاولات التجديد السابقة على ظهوره حقيقة ادبية ٠٠ معترفا بها من الجماهير والنقاد ٠ ولولا الطيب صالح لظلت الرواية العربية أسيرة في حدود مدرستها العظيمـــة الاولى ، مدرسة نجيب محفوظ ، ولظلت محاولات التجديد التي اعتمدت على التراث الروحى والتجارب الحضارية الواسعة للعرب مثل الاساطير الشعبية ، والعالم الباطنى للانسان العربى ، والصراع الحاد بينه وبين الحضارة الغربية ، وموقفنا من التراث القديم ، هذه المنابع التى انطلق منها بناء التجديد الروائى عند الطيب صالح ، كانت كلها ضبابا في ضباب ، وكانت نوعا من التجارب المحـــدودة « المعملية » التى لا جمهور لها الا بضعة من النقاد والمثقفين ، كانت تجارب التجديد في الرواية العربية مجرد تمثال جامد ٠ فجاء من بعث فيها الحياة فاذا بالتمثال فاتنة تجرى بين الناس وتنشر عطرهـــا عن يمين وشمال ٠

هذه هي الاهمية الاساسية للطيب صالح وقد حقق الطيب الكثير ـ في هذا المجال ـ من خلال رواياته الاربع الرائعة مهما اختلف النقـــاد في ترتيبها ، وان لم يختلفوا في قيمتها وعمقها وما فيها من متعة فنية وفكرية وروحية عميقة ٠

ولكن المسالة على كل حال تحتاج الى مزيد مـن الانتاج من الطيب صالح ومزيد من دراســـات النقاد ٠

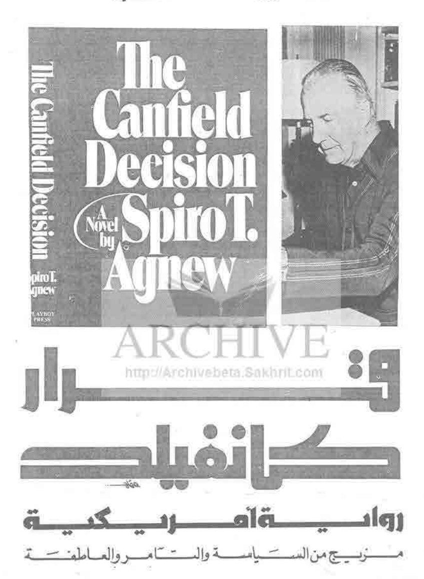
واخيرا ٠٠ تحياتي الى الكاتب الكبير احمـــد بهاء الدين الذى اعلم تمام العلم انه يحب الطيب صالح ويقدره كما يحبه كاتب هذه السطور ويقدره ٠٠ ولينتظر مني بهاء رسالة فيها ـ مع كل الود والتقدير ـ رائعة الطيب صالح « عرس الزين » ، وتجربته الفريدة « ضو البيت » و «حضـــرته الصوفية » العالية « مريود » ومجموعته القصصية القصيرة « دومة ود حامد » ٠٠ وحبى لبهـــاء ودعواتي له بالصحة والتوفيق الذى يستحقه ٠

وليثق بهاء أن الطيب صالح ليس من كتـــاب الرواية الوحيدة ٠٠ ولكنه فجر كامل لعصر جديد في الرواية العربية ٠

ولنصبر على روعة الفجر ٠ فبعد الفجر تطلع الشمس ويأتى الصباح ٠

رجاء النقاش

مـــــــرسى ســــــعدالـــــــدين



قرار كانفيلد

روايـــــة أمـــــريكيـــة

مـــــزيـــج من الســــياســـة والـــتآمـــر والعـــاطفــــة

صدرت اخيرا رواية بقلم سبيرو آجنيو ، نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة السابق بعنوان « قرار كانفيلد » وبمجرد صدور الرواية حدث رد فعل قوى في امريكـا ، وتناثرت عدة تساؤلات حول ما جاء فيها • ولعـــل من أسباب هذا ان سياسيا مثل اجنيو تولى مناصب عديـــدة آخرها نائب رئيس جمهورية يتحول الى كتابة الرواية ، بالاضافة الى ان الخلفية الواقعية للرواية وما بها من وصف لطقوس السياسة الامريكية وما يدور في البيت الابيـض جعلت عددا من النقاد يحاولون التعرف على الشخصيات التى تظهر فيها ، وعلى دور كل من هذه الشخصيات •

والرواية مزيج من السياسة والتآمر والعاطفة وهى مليئ بصراعات متعددة ، صراعات عاطفيـة في داخـــل نفسية البطل « بورتر كانفيلد » وصراعات سياســية في

داخل المجتمع الامريكي ، وصراعات دولية في العالم ·

وعرض هذه الرواية ليس بالشيء السهل ، اذ يجد المرء نفسه في حيرة من أين يبدأ وأى جانب يؤكده أكثر من الجوانب الاخرى · ولعل ما يهمنا هنا ، في العالم العربي ما جاء في الرواية حول اسرائيل ومشكلة الشرق الاوسط عامة · بل لعلنا لا نكون مخطئين اذا قلنا ان هذه المشكلة هي الخط الاساسي للرواية ·

النفوذ الصهيوني في امريكا

هي رواية حول محاولات نائب رئيس جمهورية يعبر صراحة عن أن مستقبل الولايات المتحدة مربوط باسرائيل ، وبسبب تغلغل النفوذ الصهيوني في الصحافة الامريكية نجد انها تحاول « تلميعه » لتمده لمنصب رئيس الجمهورية· ويرى القارىء في كل صفحة من صفحات الرواية بل في كل سطر مدى قوة التاثير الصهيوني في أمريكا ومدى تعاون « جماعات الضغط » الصهيونية مع بعض الرسميين في الدولة ·

كانفيلد في الثامنة والاربعين

تدور احداث الرواية في عام ١٩٨٣ ولعل الكاتب اراد ان يبتعد عن الحقبة التى يعيشها والتى عمل فيها نائبا لرئيس الجمهورية ، وفي نفس الوقت يخرج ما في داخله وما شاهده عن كثب ولم يستطع في ذلك الوقت أن يفصح عنه · وتبدأ الرواية ونائب رئيس الجمهورية في طائرة خاصة أثناء قيامه بزيارات لانحاء الولايات المتحدة اعدادا للحملة الانتخابية وتأييدا لمرشحي الحزب الذى ينتمى اليه· ويصحب كانفيلد في رحلته المجموعة المعروفة من ضباط أمن ومستشارين له ورجال الصحافة ومن أهم المستشارين الذين يصحبونه د· ميللر وهو يهودى معروف بميوله الصهيونية · وكانفيلد رجل في الثامنة والاربعين من عمره على قدر كبير من الذكاء والجاذبية ، لا يقف في وجه طموحه شيء · ونعرف من المناقشات التى تدور في الطائرة ان « كانفيلد » يعمل على انتزاع السلطة من رئيس مهيض الجناح ضعيف الشخصية يؤثر السلامة على أى شيء اخر · ونرى خلال هذه الرحلة كيف يعمل السياسيون الامريكان ودور الصحافة وأجهزة الاعلام في « نفخ » من يريدون واعدادهم للمناصب الكبرى ، ونرى كيف يهتم السياسيون بالصحافة بسبب ذلك « التهديد » الذى تمارسه · وفي خلال هذه الرحلة نعرف أن نائب رئيس الجمهورية من المطالبين بمد اسرائيل بالصواريخ « ذات المدى البعيد » وانه في هذا يعارض رئيس الجمهورية الذى يركز اهتمامه على الوصول الى اتفاق مع الاتحاد السوفييتى من شأنه أن يضمن السلام العالمي وينجح الصحفيون المرافقون لكانفيلد في الحصول على تصريح منه بهذا المعنى ·

في صميم الادارة الامريكية

وبعد ان تنتهى هذه الرحلة ندخل مع المؤلف في صميم الادارة الامريكية ونرى كيف تسير الامور في داخل الحزب وفي البرلمان · ويحاول « آجنيو » أن يشرح كيف يجرى السياسيون وراء التأييد الشعبي ، ويعطينا نموذجا في داخل مجلس الشيوخ الامريكي حيث تدور مناقشات حول مشروع تعميم الخدمات الصحية المجانية وهو مشروع قدمته وزيرة الصحة وهى شابة جميلة يميل اليها كانفيلد ميلا خاصا · ويجلس في أثناء المناقشة مجموعة من الطلبة في الشرفة جاءوا ليشاهدوا عن كثب ممارسة الحكم · وحين يقف رئيس الاغلبية « جراى » لينتقد هذا المشروع يبدأ الطلبة في ابداء استياءهم والشوشرة على ما يقوله وحينئذ يطلب من رئيس الجلسة وهو « كانفيلد » أن يخلى الشرفة · ويرى كانفيلد امامه الفرصة للتقرب من الشباب ويعطينا المؤلف ما يدور في ذهنه :

● لقد وجد « كانفيلد » نفسه في موقف حرج · انه يريد ان يتقرب الى الشباب ويجعله يحس انه يتفهم مشاكله · وعلى الرغم من عدم قيمة هذا الا انه يمكن استعماله ليقيم نفسه معبودا للشباب ، على استعداد دائم للوقوف بجانبهم ضد ضغط الدولة مضحيا بمصالحه الخاصة ، ولا شك ان الصحافة ستنشر هذا بطريقة تجعله خيرا ، و « جراى » شريرا وبسرعة اتخذ قراره وبدأ يقول « اني لا اجد حاجة الى اخلاء الشرفة وأرى أنه ليس من العدل ان نعاقب هؤلاء الشباب الذين جاءوا الينا ليتعلموا الممارسة الديمقراطية بسبب خطأ احدهم · علينا ان نحمد الله انهم يهتمون ببلادهم بدرجة تجعلهم ياتون الينا » ·

> ● اثبتت المرأة العاملة انها ليست بأي حال من الأحوال أقل قدرة من الرجل على اساءة عملها ·
>
> ● لا شك ان السفور قد اضر بالكثير من النساء ، ففي ظل الحجاب كل النساء جميلات ·
>
> ★★★
>
> ● لا تجادل امرأة غاضبة ، فانت بذلك تضيع وقتك · ولا تجادل امرأة راضية ، فانت بذلك تضيع وقتها ·





و ٠٠ الصحافة الامريكية

ثم ينتقل بنا الكاتب بعد هذا الى داخل الصحافة الامريكية ، فنرى كانفيلد مدعوا في قصر اومارا وهو صاحب سلسلة من الجرائد والمجلات ٠ وهناك نرى مدى ضغط الصحافة على السياسيين ونرى كيف تخطط سياسة البلاد ٠ وهناك تدور مناقشات حول ارسال السلاح الى امرائيل :

ـ سيادة نائب الرئيس ، لماذا تعتقد أن اسرائيل يجب أن تحصل على الصواريخ بعيدة المدى ؟ الا ترى في هذا تحديا للاتحاد السوفييتي ؟

● **لقد فكرت كثيرا في هذا الموضوع ودرسته دراسة جادة لقد اثبت التاريخ ان القيادة الاسرائيلية قيادة مسئولة ومحافظة ٠ انهم لا يفكرون الا في الدفاع ٠ ان معارضي لا يتفقون معي في هذا وهم يشيرون الى الاراضي التى تحتلها اسرائيل منذ حرب ١٩٦٧ انهم يطلقون على هذا اسم اعتداء وهنا لا اتفق معهم ٠ ان هذه الهجمات كانت اساسا رد فعل ، ان اسرائيل تستمر في الاحتفاظ بهذه الاراضي على طول حدودها بسبب تهديد الغزو ٠ انه استعمال للجغرافيا لحماية نفسك ٠**

ـ ولكن لماذا تريد ارسال صواريخ لهم ٠ ان الاسرائيليين يستخدمون السلاح الذى ارسلناه اليهم استعمالا حسنا ٠

● **لان المعلومات التى وصلتنى تشير الى ان الاتحاد السوفييتي يقدم الى الدول العربية المقاتلة اسلحة هجومية متقدمة ٠**

ـ ماهى هذه الاسلحة ؟

● **انا لست في حل ان اعطي التفصيلات ، ولكنني استطيع القول انها اسلحة ذات امكانيات مخيفة ٠ ومما يجعلنى اصدق هذا ان المخابرات الاسرائيلية تؤكده وهى من انشط مخابرات العالم ٠**

ثم ينتقل الحديث الى خلافاته مع رئيس الجمهورية حول المساعدات لامرائيل فيقول :

● **لقد شرحت له اني اريد ان اكون مخلصا له في كل شيء ولكنى لا استطيع أن اتجاهل الخطر الكبير الذى تتعرض له بلادى ٠**

وحينئذ تساله احدى الصحفيات :

ـ أتقول الخطر الكبير يا سيادة النائب ، الا ترى ان هذا قولا مبالغا فيه ٠ وحتى نفرض أن اسرائيل ستمحي من الوجود ، فهل هذا يشكل خطرا كبيرا على الولايات المتحدة ؟

والكاتب يستعمل هذه المناقشات ليبين مدى التغلغل الصهيوني في الحياة السياسية الامريكية ولكنه في نفس الوقت يريد أن يؤكد ان هناك بعض العناصر الصحفية التى تريد اتخاذ موقف عادل ٠ ومن المعروف أن « سبيرو أجنيو » من الساسة الامريكان الذين ينادون بضرورة اتخاذ موقف متوسط ٠ وهو في هذه الرواية يعطي نماذج من الضغط الصهيوني ٠ ولعل اهم نموذج هو جماعة « امرائيل الان والى الابد » التى يرأسها « يورام هالفى » وهى جماعة ارهابية في امريكا تجمع ، على حد قول المؤلف :

« شباب اقل من الثلاثين ، ولن يستطيع انسان ، حتى ولو كان من الاخصائيين في الذاكرة ان يتعرف على واحد منهم بعد ذلك ، فكلهم صورة باهتة متكررة ، الجينز الباهتة والصنادل التى تظهر منها أصابع متسخة ، يجلسون جميعا فيما يعتقدون انه وحدة ذهنية ، وفي المقدمة جلس من القادة الذين يقاسون من عقد فشل سابق امامهم يجلس المستشارون الذين ولدوا للاستشارة بدون الذكاء اللازم، والذين يتمنون ان يعترف بهم المجتمع ولكن المجتمع يلفظهم ويرفضهم ٠

الجماعات المؤيدة لاسرائيل

من هذا نرى رأى « أجنيو » في الجماعات المؤيدة لاسرائيل ، وهو في روايته يعكس الوجه القبيح لهذه الجماعة، فنراها تغتال « أومارا » وتترك ورقة مكتوبا عليها « حركة الدفاع عن القومية العربية » حتى تثير الرأى العام الامريكي ضد العرب وتكسبه الى جانب اسرائيل ويشرح طريقة هذه الجماعة لضمان تأييد نائب رئيس الجمهورية لها ، فأولا تجتمع هذه الجماعة لتصدر قرارا بتأييده ، ثم يزوره رئيس الجماعة هالفى لنجد ان هذا الاغتيال ليس من جانب هذه الجماعة ٠ ويحاول المؤلف

منا ان يعطي « الاختيار » اللازم للسياسي الذى سيرشح نفسه لرئاسة الجمهورية ·

ـ يورام · انى سعيد بتأييدكم لى ·

ـ سيادة النائب · ان لدينا اثنين اخرين بالاضافة الى آومارا لابد من القضاء عليهما ·

ـ ماذا تعنى ؟

ـ لقد تناقشنا في هذا من قبل ، وقررنا ان نستعمل اية وسيلة لدينا لمنع تحول الصحافة الى العرب · لقد قتلنا آومارا والان جاء دور الباقين ·

وشعر نائب الرئيس باحساس « قرف » لا يمكن ان يكون هذا صحيحا ·

ـ ولكن اومارا اغتالته حركة الدفاع عن القومية العربية ، بعض الارهابيين العرب ·

ـ لقد قتلته جماعتنا · واستعملنا هذا الاسم للتورية ·

ويشعر كانفليد بالرعب ويحاول طرد « هالفي » ، وحينئذ يبدأ « هالفي » في التهديد ·

● آه يا عـزيزتي ، لن تعرفي ابدا كم يطربني صوتك وانت صامتة ··

★★★

● لا تحزن اذا فاتك قطار الزواج ، فلان يفوتك القطار خير من ان يدهسك ··

★★★

● هناك اسباب كثيرة لبكاء العروس ليلة الزفاف ، فراقها لأهلها في بعض الاحيان وهيبتها للتجربة الجديدة ، واسفها دائما على انها لم تجد عريسا أحسن ··

★★★

● افترض في زوجتك المقبلة كافة عيوب الدنيا ، وكل عيب تفتقده هو كسب اكيد لك ··

★★★

● لا تلم زوجتك على رداءة ذوقها ، أليست هي التي اختارتك ذات يوم ؟!·

ـ اجلس يا سيادة النائب · أنت في هذا حتى رأسك · انك وافقت على ان « أومارا » يجب أن يزاح عن الطريق · اجلس وكن عاقلا · دعني اشرح لك الامور ببساطة · لقد قتلت اومارا بايعاز منك يا بورتر · لقد خنقته وانت مسئولا عن الجريمة بقدر مسئوليتى انا ·

ـانت مجنون · ان القتل لم يكن في تصورى وحين قلت بأية وسيلة انما كنت اقصد الوسائل المشروعة · انى لم اتحدث أو أفكر في قتل اى شخص · ان أحدا لن يصدق هذا ·

ـ سيصدقه أصدقاء « أومارا » في الصحافة والملايين من اعدائك السياسيين الذين اغضبتهم أثناء وجودك في هذه الوظيفة · ولا تنسى أنك مرتبط بجماعتنا ، لقد اصدرنا بيانات تؤيدك وجمعنا النقود لحملاتك الانتخابية أحيانا بوسائل غير مشروعة وأنت عبرت عن تأييدك لنا علانية بل ودافعت عنا أمام هجوم الاخرين · اجلس يا بورتر وانصت الى · انت تعرف انى سجلت لك ما قلت وهذا هو الشريط ولكن عندى نسخة منه ستظهر اذا ما اختفيت انا بصورة غامضة ·

وبطبيعة الحال لا يجد نائب الرئيس مفرا ويضطر الى التعاون مع الجماعة وحين يشعر ان مستشاره المقرب اليه « زاك ميللر » لا يتفق معه في بعض الامور ويريد ان يبلغ البوليس عن قاتلي أومارا يطلب من هالفى أن يقنع « ميللر » وهو يعرف تماما أن هذا الاقناع سينتهى بالقتل · وفعلا يقتل هالفى ميللر وخطيبته وتستمر عمليات الاغتيالات ·

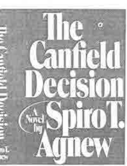
ويوجد خط عاطفى في الرواية ، وهو العلاقة بين نائب الرئيس ووزيرة الصحة « مريديث لورد » ، وتستمر هذه العلاقة حتى تصبح معروفة لدى الجميع وحين يريد كانفيلد ان يرسل الى هالفى رسالة بخصوص د· ميللر فانه لا يجد مريديث التى تحملها · وبعد ان ينتهى هالفى من قتل ميللر يتصل بمريديث تليفونيا لتبليغها بطريقة غير مباشرة

ـ ابلغى النائب اننا اوقفنا العملية ، ولا يوجد حذف من آية دماية · اخبريه انه لا يوجد اى حذف من مشاكل اخرى ·

● وهل ستتصل اللجنة (تقصد ميللر) بنائب الرئيس بعد ايام للاجتماع ·

ـ لن يكون هناك اجتماع · لقد انحلت اللجنة ·





وحينئذ تعرف مريديث ان هالفى قتل ميللر ، وكان هذا ايذانا بانتهاء حياتها أيضا اذ أن « هالفي » لن يسمح لاحد بأن يعرف جرائمه • ويرتب هالفى عملية اغتيال مريديث اثناء وجودها في استوديو تليفزيون تسجل حديثا ويكون كانفيلد يشاهد البرنامج ، وتظهر مريديث على الشاشة :

وينظر كانفيلد بتركيز واهتمام شديد • ان اول ما يلقى نظره عليها يشعر برعشة تسرع في جسمه • ثم ظهرت • بالجمالها الطبيعي ورشاقتها • لقد شعر بالفخر لانه يمتلكها •

ثم وقع الحدث • وفي دقيقة صارت مريديث والمذيع اشلاء متناثرة وظهر الرعب الذى احس به كانفيلد والذى اصابه وكاد يودى بعقله وتصاعد من داخله نحيب وهو يرى أشلاء المراة التى احبها • وتعثر في خطواته وهو يتجه الى الحمام وبدا يصرخ « يا الهى •• يا الهى » ، وينهار انهيارا تاما •

في اطار التجسس

وهناك خطوط اخرى في الرواية تدخل في اطار التجسس •• هناك جمعية ايرانية معادية للشيوعية تتعاون مع هالفى وتنسق معه ، وهناك زيارات للشرق الاقصى ومقابلات مع رؤساء الدول ، هناك الكثير في الرواية ولكن محورها هو الشرق الاوسط • وتعد هذه اول رواية سياسية أمريكية تظهر فيها اسرائيل بصورة المجرم ، ولهذا السبب فقد اهتمت بها العناصر اليهودية الموالية لاسرائيل والصهيونية وقدمته باربرا ولترز مثلا في برنامج اليوم على شبكة كولومبيا وحاولت النيل من اجنيو بطريقة التهكم

وسالته عن سبب هجوم شخصيات القصة المتكررة على « العصابة اليهودية » وجماعة الضغط الصهيوني في امريكا

اجاب أجنيو :

نعم انني اشعر بالفعل بان النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة يجر البلاد في اتجاه فوضوى تجاه مشكلة الشرق الاوسط ، واشعر مثلا اننا لا نتبع سياسة متكافئة او متوازنة في الشرق الاوسط ، وليس أدنى شك بأن هناك قرارا من الامبريالية الاسرائيلية يمارس في العالم ، فهناك الغزو الذى تم للضفة الغربية ، ويتحدث البرلمان الاسرائيلي عن اقامة ، المستعمرات في مرتفعات الجولان وفي قطاع غزة ، حتى اليوم في صحيفة

نيويورك تايمز نقرأ ذلك وانني أشعر انه لسبب النفوذ الصهيوني في امريكا، فان امور العدوان هذه تتم وتتقبل بطريقة روتينية حتى يسهل قبولها •

وأكد أجنيو عدة مرات وجود نفوذ صهيوني في الصحف ووسائل الاعلام ذات النفوذ الشامل الذى يغطى انحاء الولايات المتحدة •

العدالة •• وأشواك القنفذ

● الانسان يميل بفطرته الى العدالة اكثر من ميله الى التعدى •

وانه لا يطلب العدالة لذاتها • لكنه يطلبها لانه يدرك النتائج التى تحل بالمجتمع اذا اطلق كل فرد عنانه في اعمال التعدى •

وقد شبه شوبنهور ـ الفليسوف الالماني ـ المجتمع البشرى بجماعة من القنافذ اقتربت بعضها من بعض طلبا للدفء فكان لابد ان تخز أشواك القنفذ الواحد جسم جاره •

ولكن اذا جعلت لكل شوكة غمدا من اللباد • امكنها ان تقترب من بعضها البعض من غير ان يخز احدها الاخر •

وغمد اللباد هذا بمثابة « القوانين » التى تمنع الاحتكاك الذى يحدثه اجتماع الناس •• وانطلاقهم في تنفيذ رغباتهم وشهواتهم من غير رادع أو وازع •

وجه في الزحام

●● على الرغم من الزحام الهائل في صباح ذلك اليوم •• كان وجهه ــ دونا عن كل وجوه الحاضرين ــ هو الذي خطف انتباهي • وجه متغضن ، ترسم التجاعيد فيه لوحتها الشهيرة تحت عنوان •• الكهولة • في عينيه بريق حاد ينم عن تحديه لتلك التجاعيد • لكن قامته المقوسة قليلا على الرغم من عناده في أن يبدو معتدل القامة •• كانت تنبيء عن نوع المجهود المضني الذي بذله خلال سنوات عمره الماضية !

كانت المناسبة : عيد العلم • وكان المكان : المدرسة الثانوية التي يتلقى فيها « ولدي » دراسته • لكنني ما زلت مشغولا بالوجه الملفت لنظري • هذا الوجه أعرفه ــ لكنني متى رأيته •• وفي أي مكان وزمان ؟ تلك كانت علامات الاستفهام التي بدأت تحتل رأسي ، وتبحث في ذاكرتي عن •• اجابة لها !

لم أرفع عيني عن وجهه • وبينما الذاكرة تتصفح أوراق الذكريات •• هزني ولدي من يدي ، يطلب مني أن أشاركه تقديم التحية لاستاذه •• وخطونا وسط الزحام المنظم • وكم كانت سعادتي لا حدود لها ، حين وجدت ابني يتوقف بي أمام نفس الرجل •• أمام صاحب الوجه الذي لم ارفع عيني عنه • صافحته بحرارة • وعندما كان ابني يصافحه •• كانت عينا ــ الاستاذ ــ ما تزالان على وجهي • يتفرسني ببريقهما اللامع • لقد وقع هو الآخر في حالة الفضول • لكن ذاكرته كانت أقوى من ذاكرتي • أعاد مصافحته مرة أخرى ــ وبأبوة شديدة هذه المرة ــ قائلا :

ــ لم تكبر كثيرا رغم أن لك ابنا في المرحلة الثانوية •

عندئذ فقط •• تذكرته • وهكذا وجدتني أعانقه من جديد • أعانق • أستاذي • في مادة • اللغة العربية • حين كنت طالبا في المرحلة الابتدائية •• يبدو أن تغير المكان هو الذي ضلل ذاكرتي • لو أن اللقاء كان مقاما في نفس ــ مدرستي القديمة ــ لكنت تذكرته على الفور • لكن ــ ولدهشتي ــ هو الذي بدأ مبادرة التذكر •

وعندما أجلسني بجواره •• وعندما تعاقب « الخطباء » متحدثين ومتقين في مآثر ــ المعلم ــ •• لم يكن يبدو على وجه « أستاذي » قديما ، و « أستاذ » ابني حديثا ، انه مشغول بما يقال •

ان الكلمات ــ هكذا أحسست من صمته بجواري ــ مهما كانت بلاغتها ، ومهما جاءت مفرداتها غنية بالتعبير والفصاحة ، والكنايات ، والاستعارات •• لا تستطيع ان تعبر عن تلك الحقيقة الهائلة التي تكمن في أعماق « المعلم » •• أي « معلم » ذلك الذي يعطي من بصره ، وصحته ، وعقله ، وسنوات عمره العلمية ، في صمت ، ودون ضجيج •• لكي يفتح أعيننا على المعرفة • ولكي يضيء ادراكنا على مختلف طرقات الحياة • وربما تكون هذه هي المتعة الحقيقية التي يستشعرها أي « معلم » وكل « معلم » ان يخرج للوطن أجيالا وأجيالا يتحركون في كل مكان •• ويتقلدون مختلف المناصب •• بينما هو ــ ما يزال ــ يقوم بتحضير دروسه في المساء •• ليعلم أبناءه في الصباح !••

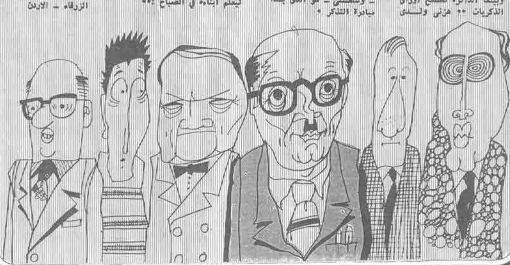
ومع ذلك •• مع كل الجهود النبيلة التي يبذلها « المعلم » في كل فصل من فصول الدراسة ، وفي كل المدارس العربية ما يزال المعلم مغبونا • لا يلقى من التكريم الحقيقي ما يلقاه أفراد من بعض الفئات الأخرى •

لماذا •• لا أدري ؟!••

ومع ذلك •• كان « عيد المعلم » في ذلك الصباح •• فرحته لاستعادة الذكريات الحبيبة في حياتنا •• وفرحته لان التقي بهذا النموذج الخالد في كل الدنيا •• نموذج « الاستاذ » الذي يعمل في صمت وكأنما كل متع الحياة لديه •• ان يصنع للوطن أجياله •• ومستقبله من الشباب •

وهكذا أحببت ان اقدم لقراء « الدوحة » تجربتي الشخصية مع أستاذي •• وأستاذ ابني •• وأبناء الآخرين •• الى ان يقضي الله أمرا كان مفعولا •

محمد رمضان حرز الله
معرض كرافيل ــ شارع فيصل
الزرقاء ــ الاردن



د. عبد المحسن صالح



رحلة في عالم التوائم والإخصاب
سيدة تلد ٦٩ طفلا!



عائلة رايموندو كارنوبا وزوجته جو سيمار • وتتكـــون من ٢٤ بنتا و ١٤ ولدا ـ اى ان السيدة لم تنقطع عن الحمل والولادة سنة واحـدة •

في القرن المـاضي ، أثارت سيلة من عامة الشعب فضول الامبراطور « الكساندر الثاني » قيصر روسيا ، وتاقت نفسه لرؤيتها •• لكن ذلك لم يكن بدافع التطلع الى احسن أو جمال تتمتع به السيلة ، ولا لكونها قد قامت باعمـال بطولية خالدة ، بل كان ذلك بسبب خصوبتها الفائقة التى أصبحت حديث الناس في كل مكان !••

وللامبراطور حق في فضوله واشتياقه ، فلقـد انجبت هذه السيدة ٦٩ طفلا ، رغم انها لم تحمل الا ٢٧ مرة ، والارقام ـ لا شك ـ غريبة ، فلقد حطمت كل المعايير التى نتخذها في الاحصائيات العلمية أو البيولوجية لنؤسس عليها نظرياتنا وتوقعاتنا •

ان السيدة الروسية ، وفي المرات السبعة والعشرين التى حملت فيها وولدت ، لم تنجب طفلا واحدا مطلقا ، بل كانت تلد مثنى وثلاث ورباع !•• ولقد كان بيان ذلك كالاتى : ١٦ حالة ولدت فيها ٣٢ طفلا ، بمعدل توأمين في كل مرة ، وفي سبع حالات وضعت ٢١ طفلا بمعـدل ثلاثة توائم في كل ولادة ، ثم ١٦ طفلا على اربع دفعات ، في كل دفعة أربعة توائم ، وحصيلة هذا الانتاج العظيم ٦٩ مولودا بالتمام والكمال •

والسيدة الروسية التى دعاها الامبراطور الى بلاطـه ماتت في القرن الماضى عن ٥٦ عاما (١٨١٦ ـ ١٨٧٢) ، وكانت متزوجة من مزارع يسكن في ضواحي موسـكو ، ويدعى « فيودور فاسيليت » ، والواقع أن ظاهرة الخصوبة الزائدة قد تكرر في وقتنا الحاضر مع سيدة تدعى جوسيمار لا زالت تعيش مع زوجها « رايموندوكازنوبا » في البرازيل •• صحيح أن عدد المواليد في حالتنا الراهنة أقل منها في الحالة الماضية ، وصحيح ان السيدة البرازيلية لم تضع توائم على الاطلاق ، لكنها رغم ذلك أنجبت ٣٨ مولـودا (٢٤ بنتا ، ١٤ ولدا) ، وهذا يعنى ان جوسيمار ـ لم تتخلف عن الحمل لا شهرا ولا سنة ، فاذا افرغت حملها في شهر سابق ، بدأ الحمل في الشهر اللاحق • وعندما كان الناس يتحدثون اليها عن العبء الثقيل الذى تحملته نتيجة لهذا العدد الهائل من الذرية ، كانت تقول « صـحيح ان أولادى وبناتي قد اجهدونى اجهادا لا مزيد عليه ، الا انهم مع ذلك يستحقون هذه التضحيات ! » •

●● ●●

ولا شك أن ظاهرة ولادة التوائم من الامور الـتى تستحق التساؤل والدراسة ، ومن أجل هذا ينظر اليهـا

في اربع مرات متتالية يرزق الوالدان دائما بتوأمين •• عدا الصف الاخير فيفصل بين ولادتهما عام واحد •

توأمان متطابقان في كل الصفات •• وهذا يعني انهما قد تكونا من بويضة واحدة ، لم انفصلت الى توأمين « بسبيكة » ورائية موحدة



توأمان •• لكنهما غير متطابقين ، وهـذا يعني انهما نتيجة منويين •• تلقيح بويضتين بحيوانين

علماء الحياة على انها تجربة طبيعية أصيلة يدرسون مـن خلالها العوامل الفيزيائية والبيئية والكيميائية والوراثية والاجتماعية التى قد تتداخل ـ بطريقة أو بأخرى ـ في تحديد سلوك البشر بيولوجيا وسيكولوجيا ، وفي الوقت نفسه قد تؤثر ـ أى هذه العوامل ، أو بعضها ، في تحديد ما يحدث في عمليات الاخصاب ، وما يتبع ذلك من أحداث قد تؤدى الى تكرار ظاهرة ولادة التوائم •• لكـن هذه الدراسات تستلزم تحصيل أكبر قـدر من المعـلومات والمشاهدات ، فتتجمع في خيـوط مـن الاستنتاجات والنظريات ، لتدخل في نسيج من المعرفة ، فتؤدى الى علم تحكمه القوانين ، وبه نستطيع تعليل ما يجرى على اساس من علم •• لا على أهواء لا زالت تحمل رائحة الاساطير ، وعفونة الخرافات !

فالذين بدأوا في دراسة توزيع ولادة التوائم في المناطق المختلفة من العالم يشيرون الى أن المناخ يبرز كواحد من العوامل المؤثرة في تكرار حدوث الحمل بالتوائم ، اذ يزيد هذا الاحتمال في المناطق الباردة عنه في المناطق الحارة •• ففى الدول الاسكندنافية يصل معدل ولادة التوائم الى ١٤ حالة بين كل الف ، وفى المانيا ٥ر١٢ في الالف ، وفي فرنسا ٣ر١١ ، وايطاليا ٨ ، واليونان والارجنتين ٥ في الالف ، وهذا يعنى أننا كلما ابتعدنا عن المناطق الشديدة البرودة ، واتجهنا نحو الاقل برودة أو الحارة ، لوجدنا أن نسـبة ولادة التوائم تنقص بالتدريج •

لقد أوضحت الدراسات ايضا أن عمر المرأة من العوامل الهامة التى تدخل في تحديد احتمال ولادة التوائم ، فكلما تقدم بها العمر ، زاد هذا الاحتمال ، فالنسـاء اللاتى تزوجن وأنجبن وهن دون العشرين اقل احتمالا في انجاب التوائم من النساء اللائى ينجبن وهن فوق الثامنة والثلاثين بحوالى ثلاث مرات •• وهناك دراسة اخرى عن المـرأة الامريكية تذكر أنها اذا تزوجت وانجبت بين سن السادسة عشر والتاسعة عشر ، فان معدل أنجاب التوائم يقـع في حدود حالة واحدة من بين كل مائتى حالة (٥ر٠٪) ، في حين ان من ينجبن بين الخامسة والثلاثين والتاسـعة والثلاثين يرتفع المعدل ، وتصبح فرصة انجاب التـوائم واحدة بين كل خمسين فرصة (٢٪) •• أى ان معـدل الزيادة هنا يتضاعف اربع مرات بين السن الصغيرة والسن الكبيرة في النساء !••

لكن العلماء ـ رغم هذه الاحصائيات ـ لم يستطيعوا التوصل الى السر في هذا الاختلاف ، ويقال ان عدم التوازن في افراز الهرمونات بتقدم العمر ، قد يؤدى الى بعـض

اضطرابات في معدل افراز البويضات ، اذ قد لا تفرز بويضة في شهر من الشهور ، ثم اذ بالشهر الذى يليه تفرز بويضتين ـ أو ربما أكثر ـ وتلقحان ، وينتج منهما توأمان •

ويقال أيضا ان عامل الوراثة ـ على مستوى العائلة أو السلالة ـ قد يكون له دخل في زيادة فرص انتاج التوائم. فهناك دراسات أجريت على اناث في عائلات محددة ، وتبين ان ظاهرة انتاج التوائم قد تنتقل من الام الى بناتها في بعض الحالات ، ومن بناتها الى بنات بنات بناتها وهكذا •

ومن الظواهر المعروفة والمسجلة ان الامهات الحاملات للتوائم يضعن مواليدهن قبل الاوان بحوالى أسابيع ثلاثة ، وكلما زاد عدد التوائم في الحمل الواحد ، كلما خرجوا الى الحياة غير مكتملى النمو ، وغالبا ما يموتون ، وسوف يتضح لنا ذلك فيما بعد •

وقد تاتى التوائم متشابهة ومتطابقة تماما ، وقد تاتى غير ذلك ، وأسباب ذلك مدروسة ومعروفة ، فاذا جاءوا مختلفين في الملامح والطباع والصوت وما شابه ذلك ، دل هذا على ان كل واحد منهما قد نتج من بويضة مستقلة لقحها حيوان منوى ، فصارت جنينا مستقلا له صفات وراثية محددة تختلف في تفاصيلها عن الجنين الاخر ، وفي تلك الحالة قد تلد الحامل ولدا وبنتا ، أو خليطا من بنات وأولاد (اذا وضعت من التوائم عددا أكبر) • وفي جميع هذه الحالات كان لابد ان يكون كل وليد قد جاء من بويضة مستقلة عن الاخريات •

واذا جاء التوأمان (أو التوائم) متشابهين تماما ، بحيث لا يمكن التفرقة بينها الا بعلامات اخرى غير وراثية (كأن يكون احدهما أو احداهما أكثر بدانة او نحافة ، أو هناك علامة من جرح أو شامة •• الخ) فذلك دليل على أن كل التوائم المتطابقة قد نتجت من سبيكة وراثية واحدة، أصلها بويضة ملقحة واحدة ، ثم انقسمت البويضة الى اثنتين متماثلتين تماما (أو ربما اكثر) ، ونتج من كل واحدة جنينا ، عندئذ تخرج الاجنة والمواليد متطابقة تماما ، الا ان تلقيح البويضة ثم انقسامها الى اثنتين منفصلتين يكون دائما أقل احتمالا من افراز المبيض (أو المبيضين) لاكثر من بويضة لتتلقح ، ولهذا تجيء التوائم المتطابقة نادرة أو أقل احتمالا من التوائم غير المتطابقة ، ومن الممكن حساب النسبة بين مجيء التوائم متطابقة أو غير متطابقة من طريقة احصائية تعرف باسم طريقة « واينهوج » ، وبأستخدام هذه الطريقة على سكان الولايات المتحدة من البيض يتبين ان ٣٤٫٢٪ من التوائم تأتى متطابقة ، في حين انها في الملونين ٢٨٫٩٪ ، وأجريت الاحصائية نفسها في المانيا ، فتبين انها متقاربة مع الامريكان ، وان كان مجيء التوائم المتطابقة في المدن اكثر احتمالا •

●● ●●

والى هنا يبرز سؤال هام : ما هو اكبر عدد من التوائم ظهر في حالة حمل واحدة ؟ وما تعليل مثل هذه الظاهرة ؟•

في يوم ٢٢ يوليو عام ١٩٧١ أعلن دكتور جينارو مونتانيتو الايطالى أنه أجرى عملية لسيدة حامل من روما كانت تبلغ من العمر ٣٥ عاما ، وانه استطاع أن يزيل من رحمها **١٥ جنينا •• عشرة اجنة كانت اناثا ، والخمسة الاخرى كانت ذكورا** ، وتعتبر هذه الحالة اكبر عدد من التوائم يمكن أن تحمله سيدة حتى الان ، ويرجع ذلك ـ كما يقول دكتور مونتانيتو ـ الى نوع من علاج كانت

الادوية : وباء جديد !

●● نشر عالم امريكى اسمه ايفان اليك ، كتابا تحت هذا العنوان عن صناعة الادوية في العالم وعلى الاخص في الدول المتقدمة •

وقد حذر ايفان في كتابه من الدور (الخطير) الذى تقوم به مؤسسات الادوية في تحطيم صحة الانسان • وقال ان مهمة هذه المؤسسات قد تحولت من رعاية الصحة العامة الى نشر وباء يهدد هذه الصحة اسمه الادوية الحديثة •• وقال مؤلف الكتاب ايضا انه في ظل سطوة شركات الادوية اصبح من واجب الانسان ان يكون مريضا حتى يمكن أن تقدم هذه الشركات الدواء المناسب •

وقال ايضا ان انتشار الادوية والعقاقير بهذه الصورة المخيفة قد حطم الصورة التى كانت معروفة من قبل وهى ان الرجل الغنى اكثر صحة من الرجل الفقير •• فقد وقع الغنى بكل قدراته في براثن هذه الدعايات واصبح همه الوحيد الحصول على اكبر كمية من (الادوية) الحديثة التى تساهم بدورها لا في شفائه بل في تحطيم مقاومته •• للمرض وتركه فريسة للاوهام •

تتعاطاه السيدة لتصبح خصيبة ، وهذا يعني ان الحمل لم يكن طبيعيا ، كما انه ما كان ليدوم مع كل هذا العدد الكبير من الاجنة ، فلا يمكن لرحم ان يستوعب هذا الحمل الثقيل ، اذ لكل شيء طاقة محدودة ·

يحملنا هذا الى التعرض لاكبر عدد من التوائم ولدته سيدة بالفعل ، فنقول انه بالرغم من المبالغات الكثيرة التي لا تخلو من اثارة ، كان لا مناص من تقديم حالات موثوق بصحتها · فاكبر عدد من التوائم كان **تسعة** ، ولم يتكرر هذا الرقم الا مرتين اثنتين فقط منذ عام ١٩٠٠ حتى الان ، ثم تكررت حالات ولادة **ثمانية توائم** منذ ذلك التاريخ حتى وقتنا الحاضر خمس مرات ، **وسبعة توائم** في المدة ذاتها بمعدل ١٩ مرة ، **وستة توائم** بمعدل ٢٥ مرة على الاقل ·· الخ ، وطبيعي أنه كلما قل عدد التوائم الوافدين في حمل واحد ، كلما زاد معدل الحالات التي تسجل في هذا المجال ·

وماذا عن صحة التوائم في مثل هذا العدد الكبير ؟·· وكيف عاشوا ؟·· والى اى حد بلغت اوزانهم ؟·· الخ

الواقع ان معظم التوائم تولد ميتة ، او قد تموت بعد الولادة بساعات أو أيام ، وكلما زاد عدد التوائم تضاءلت ـ تبعا لذلك ـ فرص الحياة ·· فالرحم ـ كما سبق ان ألمحنا ـ ذو سعة محدودة ، وسعته جنين أو جنينان بالكاد ، وكلما زادت التوائم في الارحام ، تضاءلت أوزانها، حتى تصل في النهاية الى أحجام وأوزان كالفئران ، ومن الانسب ـ والحال كذلك ـ أن تودع الحياة !·

ولنقدم أحدث حالة موثوق بها ، وفيها تم ولادة **توائم تسعة** في المستشفى الملكى بسيدنى باستراليا بتاريخ ١٣ يوليو ١٩٧١ ·· اذ وضعت مستر جيرالدين برودريك **واربع بنات** ، لكنهم ماتوا الواحدة تلو الاخرى ، ومع ذلك (٢٩ عاما) **خمسة صبيان** (خرج منهم اثنان ميتان) فقد استطاع ريتشارد الوليد ان يكافح حتى عاش ستة أيام ، وبعدها ودع الحياة ، ولم يبلغ وزنه وقتذاك الا ٣٤٠ جراما ! ·

وتجيء بعد ذلك « سينيورا ماريا تيريزا لوبيزدى سيولفيدا » البالغة من العمر ٢١ عاما والقاطنة بالمكسيك، لتضع في غضون ساعة واحدة **ثمانية توائم** ما بين الساعة السابعة الى الساعة الثامنة مساء ١٠ مارس ١٩٧٦ ، ولقد بلغ وزن المواليد الثمانية اربعة كيلو جرامات وأربعين جراما ، وتراوحت أوزانهم ما بين ٣٩٧ جراما الى ٥٣٩ جراما ،ومع ان المواليد قد ماتوا جميعا في غضون اربعة عشر ساعة ، الا انهم قد سجلوا لهم اسمائهم ، فسمى المواليد الاربعة الذكور بأسم موحد وهو « جوزيه » وسميت الاناث بأسم « جوزيفينا » ·

ومن الحالات السبعة المؤكدة التى تم في كل منها ولادة **سبعة توائم** نذكر سيدة من السويد وضعت هذا العدد في عام ١٩٦٤ ، واخرى من بلجيكا (عام ١٩٦٦) · وثالثة من امريكا (١٩٦٦) ، ورابعة من اثيوبيا (١٩٦٩) . ثم خامسة من السويد مرة اخرى (١٩٦٦) ·· الخ ، لكن السيء المخزن هنا ان جميع من ولدوا قد ودعوا الحياة، اما قبل ان يفدوا الى هذا العالم ، أو بمجرد خروجهم من بطون امهاتهم ، أو بقائهم عدة ساعات ، ثم انتقالهم بعدها الى رحمة الله ·

وتبدأ فرص الحياة بالنسبة لبعض التوائم عندما يولدون على هيئة مجموعات من ستة ، فعلى سبيل المثال نذكر « مسز شيلاآن ثورنز » الانجليزية البالغة من العمر ٣٠ عاما ، فقد انجبت بعملية قيصرية **ستة مواليد** في ٢ اكتوبر عام ١٩٦٨ بمستشفى الولادة ببرمنجهام ، وكان وزن اول المواليد ١٠٨٠ جراما وأسموها « **لين** » ، وماتت بعد عشرين يوما ، « رايان » بوزن قدره ١٢٨٠ جراما ، ومات بعد أيام تسعة ، **وجولى** بوزن قدره ١٣٩٠ جراما ، وسوزان بوزن ١٢١٩ جراما ، **واوجر** ١١٩٠ جراما ، **وجيليان** وماتت بعد ساعة واحدة ، ثم وجدوا جنينا كان لا يزال في شهره الثالث ، وقد تكون بفعل احد العقاقير التى كانت الام تتعاطاها من أجل الاخصاب !

في سطور

- **الشرف هو ثوب أنيق تمزقه الحاجة ·**
- **النفقة هي تعويض يدفعه الرجل عقب الحرب الزوجية ·**
- **الغضب هو ريح قوية تطفيء مصباح العقل ·**
- **الثناء يحصل عليه الاحياء بثمن غال ويحصل عليه الاموات مجانا ·**
- **التجربة هي الاسم الذى يطلقه الجميع على الخطا ·**

قالوا عن ·· المرأة :

- **ان امراتى هى التى جعلتنى من انا**



وقد يعمر واحد من التوائم الستة طويلا ، فمثلا « **اليسيا بالركر** » كانت واحدة من هؤلاء وقد ولدت ضمن اخوتها واخواتها الخمسة في سبتمبر ١٨٦٦ بشيكاغو بالولايات المتحدة ، وتوفيت في مارس ١٩٥٢ عن ٨٥ عاما ، لكن التوائم الخمسة قد عاشوا مددا متفاوتة ، فمنهم من عاش شهرين ، أو ثمانية اشهر ، وثلاثة امتد بهم العمر الى ٦٨ ، ٧٢ ، ٧٣ عاما ٠

●● ●●

على أن اهم حدث يسجله التاريخ الحديث هو ولادة **خمسة توائم** ، ولقد اهتمت بها الدوائر العلمية والطبية اهتماما لم يحظ به مولود من قبل ، وربما من بعد ، ويعرف هذا الخماسي باسم **اخوات دايون** ، ولقد احاط بهن جيش كامل من الاطباء وعلماء البيولوجي والسيكولوجي والوراثة ليدرسوا كل صغيرة وكبيرة اثناء مراحل نموهن ، فما من ايماءة او لفتة أو حركة أو اشارة ، الا وتسجل وترصد بالكلمة والصورة ٠ وبالاختصار فهناك مجلدات فوق مجلدات تحفظ لهن كل ما يمكن ان يطمع فيه العلم ٠ فمن صور فوتوغرافية الى رسومات بيانية الى جداول وارقام ، الى خرائط وأشكال من كل صنف ونوع ٠

ولماذا كل هذا الاهتمام ؟

مشغولون بانفسهم

● ان الناس لا يشغلهم التفكير في زيد أو عمر أكثر من لحظات فهم مشغولون بالتفكير في أنفسهم منذ يفتحون أعينهم على اليوم الجديد ، وحتى يأوون الى مضاجعهم ، وان صداعا خفيفا يلم بأحدهم لهو كفيل بان يلهيه عن أعظم الاخبار واهمها ٠

بين الحب ٠٠ والكراهية

● قال حكيم : ليست الكراهية هي آخر درجات الانى ٠٠ لأن كراهيتك لشخص تحمل في طياتها احترامك له وتقديرك اياه ٠ ولولا انه ذو وزن في اعتبارك ـ مهما خف ذلك الوزن ـ لما خصصته بشيء من عواطفك ٠ والكراهية جزء من تلك العواطف ٠٠ اما ان تهمله وتسقطه من الحساب جملة واحدة ففيه الغاء لوجوده ومحو لكيانه واهدار لادميته كلها ، فلا يظفر منك بحب ولا كراهية ٠

الواقع أن هي المرة الاولى التي يولد فيها **خمسة توائم** ويعشن جميعا ، وهي المرة الاولى التي يخرج فيها **خمسة توائم** متطابقات تماما في الصفات الوراثية ، وما يتبعها من تشابه متقن في الشكل والتقاطيع ، وهذا يعني أنهن جميعا بنات بويضة واحدة ملقحة ، ويعني ايضا ـ وهذا هو الاهم ـ أن البويضة بعد الاخصاب قد تعرضت لعوامل لسنا ندريها تماما ، وكانت النتيجة انها انقسمت وانفلقت وانفصلت الى اجزاء مستقلة من خلايا ، ليعطي كل جزء جنينا طبق الاصل من الاخر ، ولقد اراد العلماء ـ من خلال هذا الخماسي المتطابق ـ ان يتوصلوا الى معرفة بعض نقاط جوهرية ، منها مثلا طريقة نمو الادراك والاحاسيس رغم اختلاف اوزانهن ومتى وكيف تتكون لغاتهن ٠٠ الى اخر هذه الامور التي قد لا تتكرر لاجيال طويلة قادمة ٠

●● ●●

ومن الملاحظ في حالات ولادة التوائم ان البنات يحظين فيها بنصيب الاسد ، ولا احد يدري سر ذلك ، كما ان المواليد تأتي باوزان مختلفة ، ومما يستحق الذكر هنا ان اثقل حالة حمل في العالم لاربعة توائم قد تم تسجيله عام ١٩٧٢ في مستشفى الولادة بليفربول بانجلترا ، اذ وضعت « بيتي ماكفيرسون » ثلاث بنات وولدا واحدا . بلغ وزنهم جميعا تسعة كيلو جرامات ، ٦٦٠ جراما ، لكن هناك حالة سيدة ايرانية يقال انها وضعت ثلاثة توائم تزن في مجموعها ١١ كيلو جراما ، ٩٦٠ (مع ملاحظة ان الحمل العادي لمولود واحد يبلغ في المتوسط ٣ر٣ كيلوجراما) ، ومن الامور المثيرة التي ذكرتها مجلة « **لانسيت** » الطبية في عددها الصادر في ٦ ديسمبر عام ١٨٨٤ أن سيدة قد وضعت توأمين ذكرين ميتين بلغ وزن اولهما سبعة كيلوجرامات ، ٩٤٠ جراما ، وثانيهما ثمانية كيلوجرامات ، ١٦٠ جراما ، وعلى النقيض من ذلك تأتي حالة « **مارجريت وماري** » التوأمتين اللتين ولدتا حيتين وعاشتا بعد ذلك وتزوجت احداهما ، هذا ولقد بلغ وزنهما معا ٩٩٢ جراما ، خص ماري منها ٤٥٣ جراما ، ومارجريت ٥٣٩ جراما ، وتمت هذه الولادة بمعرفة دكتور ماكوالاي بانجلترا في ١٦ اغسطس عام ١٩٣١ ، وهذا يعني أن اثقل توأمين كانا اكبر بحوالى ١٦ مرة اخف توأمين !٠

وحياة التوائم ـ بعد ذلك ـ قد لا تخلو من اثارة ، وهي تجذب اهتمام العلماء في كل آن وحين ، ولقد توصلوا من خلال دراساتهم الطويلة الى امور غريبة تستحق الافاضة والتقديم ، وقد يكون لها مجال غير هذا المجال ٠

ولا شك ان الحياة على هذا الكوكب بمثابة مخزن هائل للمعلومات ، واحيانا ما تفاجئنا بامور قد تطيح بكل حساباتنا وتقديراتنا ، وتجعلنا نلتزم حدودنا في كل ما نفكر فيه من امور الكون والحياة ٠٠ « وما او تيتم من العلم الا قليلا ! » ٠



محمد جابر الأنصاري

الشعر عندما يكون ساخرا

دراسة في شعر عبد الرحمن رفيع

عرف الناس في الخليج عبد الرحمن رفيع على انه شاعر شعبي ساخر . وكان اغلب النقد الذي كتب عنه ينصب على مستوى شعره الشعبي المكتوب باللهجة العامية .. سلبا أو ايجابا . وكانت حقيقة الموقف بالنسبة لشعره العامي هذا تبدو على النحو التالي : جمهرة من الناس تسمع هذا الشعر في اوقات سمرها يلقيه على اسماعها الشاعر بصوته التمثيلي المحبب وحركاته الظريفة وهو في أحسن حالاته انشراحا ، فتضحك له وتتفاعل معه كتسلية ومتعة أدبية خفيفة ظل . ولكن الى جانب هذه الجمهرة المتسامحة من الناس ثمة مجموعة من النقاد ، أغلبهم من الملتزمين الجديين ، كانوا ينظرون الى ظاهرة رفيع وشعره العامي وجمهوره الشعبي نظرة عدم استحسان وكانوا يعتبرون هذه الظاهرة غير لائقة بالشعر والشاعر خاصة في هذه المرحلة التكوينية من تاريخ أدب الخليج الجديد حيث ينعقد الامل على نشوء تيار انساني عميق وملتزم بقضايا الوطن والمستقبل من خلال معاناة جادة وصادقة .

وفي الحقيقة فان أصحاب الادب الجدي الملتزم لم يكونوا ضد شعر رفيع العامي من حيث المبدأ . بل ان اول اطلالة للشاعر على الجمهور الواسع جاءت ضمن أول لقاء شعري لاسرة الادباء والكتاب ـ وهي طليعة أدب الالتزام في الخليج ـ حيث القى الشاعر أفضل قصيدة شعبية نظمها وهي قصيدته المشهورة ذات المطلع الذي أصبح مثلا سائرا في المنطقة حول تغير مقاييس الاشياء ، وموازينها :

والله عجايب يا زمان ..

الشعرى الربعة بثمان ..

و « الشعرى » سمك خليجي كان رخيصا جدا ثم غلا ثمنه فجأة مع ازدياد حدة الغلاء فاتخذه الشاعر مثلا ونموذجا لاختلال الموازين في قيم المجتمع . ثم ضمن القصيدة معاني واشارات ذات دلالة شعرية حسنة في اطار من السخرية الرفيعة الممتعة .

★ بين العامي والفصيح :

ويبدو ان نجاح هذه القصيدة الشعبية نقديا وجماهيريا قد فاجأ الشاعر نفسه الذي لم يحقق شعره الفصيح ـ السابق لهذه القصيدة ـ نجاحا مماثلا فطفق ينظم مسلسلا من الاشعار الشعبية التي أخذت تتزايد كما وتتناقص



كيفا وجودة . وكما يحدث مثلا لمخرج الافلام الذى يحقق فيلمه الاول نجاحا كبيرا فينطلق يقدم للجمهور افلاما متتالية دون اهتمام بالنوعية هكذا حدث لقصائد رفيع الشعبية المتتالية .. فقد كان بامكانه ان يصمت بين وقت وآخر ليقدم قصائد أقل عددا واكثر جودة ، ولكن تصفيق الجمهور غلب على نداء الفن حتى وصلت قصائد رفيع الشعبية الى مستوى من النضوب الفني لا يجوز السكوت عليه بأى مقياس نقدى .

واذكر انني في هذه المرحلة صارحت الشاعر مصارحة تامة وكنت من الذين وقفوا ضده انقاذا لمستواه الشعرى. واعترف ان نقدى لشعره الشعبى كان قاسيا ولاذعا . فما كان من الشاعر الا أن رد التحية بأحسن منها وأخذ يتحف شخصى المتواضع بسلسلة من قصائد الهجاء من طراز هجائيات الحطيئة ونقائض جرير والفرزدق !.. وكان يذيع هذه القصائد ويشيعها في جمهوره حتى سارت بذكرها الركبان ! وها أنذا أتجرأ للمرة الثانية واكتب عنه مقالا نقديا اخر .. وأجرى وأجر القراء على الله .. وان كنت أرجو هذه المرة ان يوفر صديقنا عبد الرحمن رفيع شعره لما هو أفضل من هجاء النقد والنقاد .. اذا لم يعجبه هذا المقال !.

غير أن مقالنا هذا سيكون مختلفا تمام الاختلاف عن مقالنا السابق الذى نشر قبل سنوات بالبحرين واثار تلك الزوبعة من قصائد الهجاء . فنحن هنا في هذه السلسلة من المقالات النقدية بمجلة « الدوحة » نحاول أن ندرس الظواهر الادبية دراسة موضوعية قدر الامكان ونؤرخ لها بحياد قدر الطاقة بعيدا عن نهج النقد الذاتى الانطباعي الذى يتناسب مع جو الصحافة الاسبوعية الجارية اكثر من تلاؤمه مع جو المجلة العلمية التى تتطلب أقصى حد من الموضوعية والدقة .

وهذا لا يعنى ان رأينا قد تغير في شعره العامى الذى نقدناه من قبل ، ولكن لحسن حظ الجميع ، حظنا وحظ الشاعر وحظ القراء ، فان ما سنتعرض له بالدراسة والنقد في هذه المقالة هو الشعر الفصيح المبكر لعبد الرحمن رفيع الذى نظمه قبل اتجاهه للشعر الشعبى ، وجمعه في ديوان « أغانى البحار الاربعة » . ان الفن الشعرى لعبد الرحمن رفيع قد تفتح واتضح في هذه القصائد الفصحى قبل ان يظهر في قصائده الشعبية العتيدة . ومن الظلم لشاعرنا أن ننظر اليه من زاوية شعره الشعبى وحده دون دراسة شعره الفصيح هذا الذى بدأ به حياته الشعرية . واذا



كان هذا الشعر الفصيح لم يحقق شعبية لدى الجمهور فانه قد ينال قبولا أفضل لدى النقاد والقراء المثقفين ذوى التذوق الحسن لفن الشعر يعكس ما حدث لشعره العامى ·

فكيف يبدو رفيع في أغانى البحار الاربعة ؟··

اننى أطلب من القراء الذين يعرفون الشاعر من خلال قصائده الشعبية أن ينسوا انطباعاتهم المسبقة عنه ويصاحبونا في رحلة الاكتشاف هذه مع ـ أغانى البحار الاربعة ـ فلربما كانت هنالك فروق نوعية بين مغنى البحار الاربعة في شعره الفصيح وبين راوية الخليج الشعبى في قصائده العامية ·

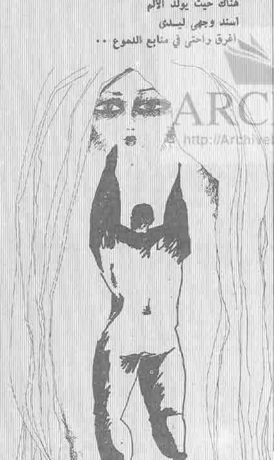
●★●

★ مغيب الرومانسية وشروق الواقعية :

يمثل عبد الرحمن رفيع مرحلة وسطى انتقالية بين ذلك الرعيل الاول من شعراء البحرين كالزايد والعريض والمعاودة وبين الجيل الشاب المعاصر · فلا هو ينتمى زمنيا وموضوعيا لذلك الرعيل الاول الذى سبق جيله ، ولا هو في سرب الشعراء الجدد بثقافتهم الحديثة وشعرهم الحر · انه يجمع بين الثقافة القديمة والحديثة ، وانه ينتقل بين أسلوب الشعر القديم وأسلوب الشعر الجديد ، احتى اهتماماته في موضوعاته الشعرية تجمع بين ما اهتم به الرعيل الاول وما يهتم به الجيل المعاصر من أمور وقضايا · واذا أردنا أن نضعه ضمن مجموعة من الشعراء قريبة الشبه به في موقعه الوسطى الانتقالى هذا فانه اقرب ما يكون الى غازى القصيبى وأحمد محمد الخليفة ، فهؤلاء الشعراء الثلاثة ـ بانضمام رفيع اليهم ـ يمثلون خير تمثيل فترة الخمسينات ومطلع الستينات عندما صمت شعراء الرعيل الاول ، وقبل أن يجرى الشعر على السنة شعراء الجيل المعاصر · واذا كان الشعراء الثلاثة ما زالوا ينظمون الشعر ويسهمون في الحركة الادبية الحالية ، فان خصائصهم الفنية والموضوعية قد تشكلت وتحددت خلال تلك الفترة الانتقالية التى كانت فترتهم التكوينية الحاسمة حيث انطبع شعرهم بختم مؤثراتها التاريخية والادبية ، على ما بين كل واحد منهم من فروق جديرة بالا ننساها ·

تشكل وعى شاعرنا عبد الرحمن رفيع منتصف الخمسينات عندما كان طالبا بجامعة القاهرة · وتلك الفترة كانت سياسيا وادبيا فترة تحول وانتقال · وعلى صعيد الادب كانت اخر غيوم العهد الرومانسى الوردية تذوب في الافق أمام أشعة شمس الواقعية الجديدة في الرواية والشعر الحر · ومن كان يتفاعل مع مؤثرات تلك الفترة ، كان لا مفر له من التارجح بين تأثير الرومانسية وغزو الواقعية · خذ مثلا هذا الغناء الرومانسى الفردى الحزين الذى يعود تاريخه الى عام ١٩٥٨ ·

فيا صديقتى
وانت تحلمين بالهناء ·· فوق مخدع الهناء
تذكرينى ·· اننى حزين ،
أصارع الحنين ،
امضى بلا رفيق
الى ضفاف الشاطىء الغريق ،
في لجة الألم ·
هناك حيث يولد الألم
اسند وجهى ليدى
اغرق راحتى في منابع الدموع ··



هذه الفنائية الرومانسية الحزينة تنتهي بالضياع والهزيمة في جو ذاتي فردي · ولكن الفترة كانت ايضا فترة نهوض وبحث عن الجديد وطلب للتغيير وتمرد على التقليد والجمود · كانت فترة مجابهة للواقع وانغماس فيه من أجل تغييره :

لاننا نقلس الحياة ،
فاننا نريد ان نغوص في احضانها
نغرق حتى الموت من دنانها ·
لكننا واضيعة الشباب
ما بيننا وبين ما نريد الف باب
وعالم يمسـخنا
يمنعنا من اتفه الرغاب !
الى متى نظل في الجحيم
نجتر زهر العمر في مستنقع القديم
وحولنا الحياة الف درب
يقودنا لالف نبع كالرحيق عذب ،
الى متى نظل لا نرى
وحولنـا الذرى
تصيح : يا تائه القفار
يا عاشق النوار والنهار
اصعد فلن تعانق النعيم
وانت في مستنقع القديم

هذه دعوة لممارسة الحياة الجديدة ، والغوص في اعماقها والتمرد على حواجز القديم · انها واقعية متفائلة رغم ما تشير اليه من صعاب قاسية :

ويعكس الشاعر بوضوح طبيعة مرحلته وتفاعله مع تداعياتها القوية عندما يطلق هذا الصوت :

لم لا نرفع صوتا ؟
بينما في كل ساعات الزمان
يشبع الانسان موتا ·
آه ·· يا كل جموع العالم المقهور في كل مكان
ليتني اصنع منكم عاصفة ،
من سناها الف بركان
ومليون انفجـار
ليرى الانسان ميلاد النهار !

وهكذا يمضي الشاعر معبرا عن الافكار التي تتمخض بها فترته التكوينية عاكسا معاناة الشباب بين شعور بالضياع واليأس ، وبين تطلع عنيد الى حياة أفضل من خلال معاناة صريحة للواقع · ولكن سرعان ما يعلو صوت الالم على صوت الامل ، ويتغلب التشاؤم الازلي على الاشراقة الشابة الجديدة · ونلمس شيئا فشيئا حس الانهزام والتراجع يقوى على حساب التفاؤل والصمود والاصرار ·

لن يرى الانسان وجه النور
او ظـل الحقيقة
وغدا حين يواريه الثرى
تنتهي قصة الام قصيرة
تحت اكداس التراب !



الاوروبيون في الخـليج

صفحات هامة من تاريخ منطقة الخـليج يكشف جانبا هاما منها الكـاتب والمؤرخ الاستاذ احمد العناني ·

حيث يكتب للقراء ابتداءا من العـدد القادم سردا تاريخيا ممتعا وهاما لفـترة هامة من التاريخ اذ يتحدث عن الصراع الاوروبي حول هذه المنطقة ··



ان العبث الوجودي يفرض ذاته سريعا مكان الواقعية المتفائلة ، مثلما حلت المؤثرات الوجودية مكان المؤثرات الواقعية في أدب مطلع الستينات في كل مكان من العالم العربي :

نحن عشاق الدياجي ..
تذرع الدرب خطانا اليائسات
حلمنا كان شبابا وانقضى
لم يعد في كفنا الا بقايا من حطام
لبقايا امنيــات
سوف نحيا ..
فاذا ما لفنا صمت الختام
واحتسينا كاسنا حتى الردى .
سيغنينا الصــدى ..
« يا ترى هل تستحق ، بضع افراح قصيرة ، كــل آلام الحياة ! »

لماذا هذا الهرم المبكر . هذه الشيخوخة المعنوية والفكرية في عز الشباب . هل هي أسباب ذاتية أم موضوعية ؟ الارجح انها هذه وتلك مجتمعة .

★ الراوي الساخر :

ويأتي موقف « السخرية » من الحياة ومن الذات ومن الاخرين ليكون الجواب على كآبة الرحلة وخاتمتها الخاطئة الاليمة . ويستقر حس السخرية في شعر رفيــع ليصبح صفته الاكثر بروزا وطابعه الغالب السائد . ان اى موضوع يتناوله الشاعر لابد أن يخترقه بخيــط السخرية والدعابة ويجعله مادة للتصوير « الكاريكاتيرى » اللاذع . وهو أما ان يصور لك شخصية من الشخصيات تصويرا ساخرا يثير الضحك أو الرثاء أو الاستهزاء ، أو يحول لك قصيدته الى قصة قصيرة أو حكاية شعرية ابطالها شخصيات ساخرة ، وحوادثها وقائع مدهشة أو مضحكة . ومع تطور شعره تصبح « الحكاية الشعرية الساخرة » هي اطار البناء المتكرر لقصائده ، و « الظاهرة » المستديمة التي تلفت نظر المدارس لشعره بشكل متواتر . ان موقف « الراوى الساخر » هو الموقف الذى وجد فيه الشــاعر سلوة نفسية وفكرية بعد شقاء رحلة البحث عن العــدالة الضائعة وعن الحقيقة المستحيلة ، ويصـــبح اللجوء الى التعبير الساخر اللاذع « تعويضا » بالمعنى السيكولوجي والفني عن مرارة المعاناة ومرارة التجربة وغالبا ما تكون المرارة الجانب الخفي من الدعابة الساخرة وغالبا ما تكون السخرية الوجه الظاهر لمرارة دفينة .

كما يتضح لنا ذلك ــ مثلا ــ في الادب الساخر لدى كل من طه حسين وابراهيم المازني تأمل مثلا كيف يتهــكم الشاعر من هذا « المصلح » الافلاطوني البيزنطي الــذى « يعاني » الام الفقراء :

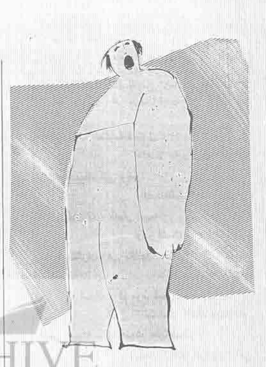
بعد أن يتخم بطنه
بافانين الطعــام
وبكاسات المدام
يرتمي فوق الاريكة
وادعا مثل النحام
ليقول : « آه ما أقسى حياة البائسين !
كم يعاني كبدى من قسوة الدهر عليهم
وجراحات السنين
ليتني ادرك ما سر الشقاء
ليتني .. لكنني في حيرتي
تائه فالسر خاف لا يبين ! » .

(أغاني الرياح الاربعة ص ٥ ــ ٦)

واليك مشهد هذا المتادب المتفلسف الذى يجهل معنى أن يتألم الشاعر ليكتب قصيدة مغموسة بدمه :

امتشق الحســام
وخاض في مجاهل الكلام
ثم استوى وقال :
قصيدة تنقصها .. تنقصها الظلال
يا سيدى قصائدى حروفها
غمستها بدم .
عجنتها بادمــعى ،
ارقت طول الليل لم انم
يا سيدى .. لا اكتب الاشعار صدفة ،
مناجيا اميرة الزمان
ولست « دنجوان »
تذيبه اللفتة من نواظر الحسان
يا سيدى قصائدى في اضلعي نمت
لم يملها وحي ، ولم يصعد بهن جان
يا سيدى .. موضوعي المفضل الانسان !

(أغاني البحار الاربعة ص ٤٤ ــ ٤٥)



في هذه القصيدة نجد السخرية تتمازج بشيء من المرارة ، السخرية من ذاك الذى ينظر بسفطائية الى عالم الشعر من خارج ، والمرارة الناجمة عن معاناة العالم الشعرى في صميمه ° والسطر الثالث قبل الاخير وما بعده يستحق وقفة خاصة حيث صورة القصيدة وهى تنمو في داخل ضلوع الشاعر نموا انسانيا واقعيا صعبا بعيدا كل البعد عن الايحاء الرومانسى الغيبى

وحتى موضوعات الغزل تتحول الى مجال للدعابة على طريقة شعراء المجون في العصر العباسى :

قالوا : تزين صدرها بصليب

قلت : المسيح نبيها وحبيبى

انا ما كرهتك يا صليب ديانة

بل غيرة في صدرها الملهوب !!

(أغانى الرياح الاربعة ص ١٤)

وهذه سخرية أخرى من قيم الناس الذين تشاءموا من الغراب لانه أسود اللون ، ودعوة للتعاطف معه وبالتالى مع كل منبوذ قضت الحياة عليه بالغربة والمطاردة لخطأ في شكله أو في وضعه لا ذنب له فية :

بعثت الى تشكو من غراب

يجيء اليك والدنيا سحاب

وهذى الارض ما ظلمت عليها

من الاحيا ، كما ظلم الغراب

ترفق بالفقير وهبه عطفا

فليس برجله ظفر وناب

جنى لون الدجا ظلما عليه

وهل تجنى على المرء الثياب ؟

رآك بغربة فاتاك يشكو

وان الناس يجمعها المصاب

يقول نعيبه : انى برىء

فتأتيه الحجارة لا الجواب ..!

ويشتغل الشاعر بمهنة التدريس ويعانى منها ما عاناه قبله الشاعر ابراهيم طوقان الذى سخر هو الاخر سخرية مرة من بيت أحمد شوقى المشهور وعارضه :

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم ان يكون رسولا

يسمى عبد الرحمن رفيع حجرة الصف بالمدرسة « رواق أفلاطون » ويسخر من نفسه وتلامذته على النحو التالى :

يصيح بى الطالب : استاذنا

ماذا عنى في قوله القائل ؟

فتعترينى ضحكة مرة

ترج أضلاعى من الداخل

ماذا ؟ أفلاطون في مجده

قام له تلميذه السائل !

يقول والعالم يصغى له

كان منه القدر الفاصل

وبعد هذه السخرية يعود الى مرارة الواقع :

رحماك يا ربى فانى هنا

يلهو بى (المفعول والفاعل)

اجتر احساسى فازرى به

والحس لا يزرى به العاقل



واعمل المحراث في تربة

لا يرتجى من بعدها العامل

فكل صبياني الا فتى

أو مثله في لبه عاطل

يضيق وجه الصبح من جهله

وينتشي من عيه باقل

اظل أرعاه وارخى له

اجنحة الصبر بلا طائل

وارتجى ، اقول عل الفتى

يوما سيصحو عقله الغافل

او ربما قد حال ما بينه

وبين فهمى ، ربما حائل

لكنما الايام تمضى بنا

طعامها النبيه والخامل

والبيت الاخير يوقظنا من جو التهكم والدعابة ليكشف اللاجدوى أمام الايام بين النباهة والخمول .. بقايا من طعم المرارة الاولى ! ولا تقف سخرية رفيع عند حد العبث بنفسه وبتلاميذه .. بل ترقى لتصل الى « المفتش » التربوى الذى يزور الفصول تقويما للمدرسين :

هل المفتش ناعما يتمهل

والشيب ترهقه السنون وتثقل

دخل الفصول عليه الف تحية

فهتفت : جاءك يا شمير المنجل

ويصف جو الرعب المخيم على الصف بعد دخوله وكيف سال واختبر ثم يحدثنا عن « التقرير » الذى كتبه المفتش عنه بعد ذلك :

قال المفتش : بعضكم ، بل كلكم

في عالم التدريس كم مهمل

متطفلون على العلوم وشرنا

في هذه الدنيا الذى يتطفل

ان الصغار قلوبهم مفتوحة

للعلم .. لكن المعلم تنبل !

وفي قصيدة « البدر المحجب » يحلم الشاعر بزائـرة ليلية يخالها حسناء ثم تتكشف عن عجوز شمطاء مرعبة .

(ص ١٢٢ ـ ١٢٦) ، وعندما يجرى تعداد السكان يشترك الشاعر فيه مع فرق الاحصاء ويزور البيوت لاعداد البيانات الاحصائية المطلوبة من الاهالى الى أن يلتقى بتلك الشمطاء التى حلم بها في القصيدة السـابقة .. وجها لوجه :

قالت امبعوث الحكومة قلت لى ؟

اهـلا به وبوجهه البسام

ورايتها شمطاء غير وجهها

ذاك الغضن مخلب الاعوام

عاث الزمان به ، فصار اديمه

وعر المسالك بادى الاورام

تهتز كالسكران وهى مكانها

فكانها وقفت بلا اقدام

وسالت ما اسمك ، ثم مرت لحظة

كانت مثار الشك والاوهام

اسمى سبيكة ـ والحديث حديثها ..

ومحمد الهادى الرسول امامى

والعمر ؟ قالت ذاك لا ادرى به

فولادتي في غابر الايام

لكن احفادى رجال كلهم

وصغيرهم متزوج من عـام

ومضيت اسالها واسمع ردها

حتى ملات صحيفة قدامى

وطويت ما عندى وقلت مودعا

يا جدتى شكرا والف سلام

لكنها اومت ، وقال بنانها

قف يا بنى لكى اتم كلامى :

امى هنا . هلا تريد سؤالها

فالله قد اوصى الناس بالارحام !

★ بذور الشعر العامي :

ذلك نموذج لبناء الحكاية الشعرية الضـاحكة الساخرة لدى الشاعر . ونحن نرى انه فنيا فنيا يقترب من الموضوعات الشعبية والجوانب الهزلية البسـيطة في الحياة . وبعد هذا التدرج في التكنيك والموضوع كان من

الطبيعي أن يلجأ الشاعر الى القصيدة العامية باعتبارها أكثر تطويعا واستعدادا لاستيعاب هذه الحكايات والمواقف الشعبية الصغيرة . وهكذا نرى ان شعره الفصيح نفسه في أطواره المتأخرة يحمل بذور الاتجاه الى الشعر العامي والى اسلوب الحكاية الشعبية الهازلة على وجه التحديد . الا ان الشاعر يعود بين آونة وأخرى الى الموضوعات الجدية في « صحوة » من صحوات النفس كما في قصيدته التي اسماها « صحوة النفس » وفي قصيدته الاخرى « الصوت والصدى » التي يلخص فيها فلسفته اليائسة من صلاح الكون والناس معيدا بذلك ومكررا خلاصة التجربة التي أوصلته الحياة اليها ، بصورة تقرب من شكيات وتشاؤميات أبي العلاء المعري :

ما اكثر الناس ولكنهم

مثلي يثيرون البكا والاسى

وان ما يسحقني ان ارى

ما يضحك الصخر وان اخرسا

اموت قبل الموت في روضة

غناء تهدي عبق النرجسا

لن تنتهي شكواك في عالم

تريد فيه الخير ان يرأسا

قد فصل الظلم على ارضنا

وليس ثوب غيره يكتسي

هذه النظرة التشاؤمية السوداوية تطل علينا بين وقت وآخر لتذكرنا بالخلفية التي تستند اليها سخرية الشاعر الدائمة . ويلاحظ الدارس ان عبد الرحمن رفيع اقل قدرة وتمكنا في شعره الجدي منه في شعره الهازل . ففي هذا النوع الاخير تشعر انه يزاول فنه الطبيعي الذي وهب له ، أما في الشعر الفلسفي أو القومي الجاد فسرعان ما يلهث به جواد الشعر أو يكبو ، بل سرعان ما يداخله الهزل فيقضي على جديته ويخل ببناء القصيدة وجوها . ان شيطان السخرية واقف لرفيع في كل مكان حتى في أعسر لحظات الجد يفسد عليه ما يريد قوله من شعر جاد . في احد المواضع يتساءل الشاعر بحرقة :

آه ما اقسى الحقيقة

آه ما اعظم ان يصلب في كل دقيقة

في دروب المدن الصماء آلاف البشر

يا ترى من ذا الذي يلهو بنا

أهو الدهر ، أم الشيطان ، أم ذاك أنا ؟

ودخول عبارة « أم ذاك أنا ؟ » في هذا الموضع التساؤلي الجدي الخطير ـ مهما قلبتها على أوجه المعاني ـ تحيل الموقف الى مزيج من الجد والسخرية بشكل غير متوازن . وفي موضع اخر يحاول الشاعر أن يكتب « من يوميات فدائي » على ما للموضوع من جدية وخطورة ، فيخونه التعبير منذ الاسطر الاولى عند ما يشبه الفدائي بالذئب وأفراد العدو بالشاة :

اذا ما اطبق الليل

ونام السهل والتل

خرجنا من قواعدنا

وصوت الذئب يؤنسنا

جياع نحن .. نبحث مثل هذا الذئب

عن صيد . وهذا الذئب قد يشبع .

وجوع رفاقنا عجب

لان صديقنا المدفع

اذا ما جاع لا يرضى

بشاتين ولا اربع

ان محاولة التهكم والسخرية من العدو تفسد جدية اللوحة كلها ، فلا وضع الفدائي في مثل وضع الذئب ، ولا صفة العدو هي صفة الشاة ولكنها السخرية تفرض نفسها على موقف ليس لها فتفسده !

ويخاطب الفدائي عدوه بقوله :

يقول لا مارتين

ان الكواكب الذي تملأ رحابه الورود .. هو مأوى اهل المحبة .. الحب نظرة طويلة مستأنية في عيون الصباح لك .. الحب اهتمام دائم رحيم بالحياة والناس .

آه لو توقفت قليلا عند كل وردة تحلم في اريجها ، الزهور هي ابتسامات الوعد الجميل فلماذا ننسى الزهور وهي ذكرياتنا الجميلة .

الزهور تعطر البيت باريج الامنيات السعيدة .

لتكن الزهرة الصغيرة هي موعد الصلح بين لحظة اللقاء ولحظة الوداع .



فقرب يا مني روحي
فبي جوع الى لحمك
وبي عطش جنوني
يريد الغوص في دمك ٠٠

ومن الواضح ان عبارة « يا مني روحي » التهكمية لا تتناسب مع جدية اللحظة اطلاقا ٠

وفي قصيدة « موطن الخالدين » التي يتخذ فيها الشاعر دور المنشد الجاد المتغني بامجاد بلده ، نرى براعة في النظم ولكننا لا نلمس ابداعا في الشعر لان الشاعر ابتعد عن جوه العفوى الساخر وحمل ريشته ما لا تحتمل ٠ وهذا ليس تقليلا من قيمته فالقدرة على التعبير الساخر فن عظيم اذا جاء في موضعه واطاره المناسب ٠

★ خلاصة :

وعلى ضوء ما تكشف لنا من قدرة رفيع على الرواية الشعرية الساخرة يمكننا القول انه لو انكب على مزيد من الثقافة الفلسفية والشعرية والدرامية لاستطاع ان يستخدم موهبته في قصص شعرى اكثر عمقا واحفل بحركة الصراع ٠٠ ان قصة « الشيطان » التى اتت في خاتمة ديوانه والمكتوبة عام ١٩٦٩ تصلح مؤشرا طيبا لهذا الاتجاه المتعمق نحو البناء الشعرى الدرامى الغنى بمضامين انسانية خصبة يمتزج فيها عمق المعاناة بالنظرة الساخرة الرفيعة ٠ ولكنه لم يدفع فنه نحو هذا الاتجاه وغلب عليه النظم العامى السهل ، الا ان الفرصة لم تفت بعد ٠ وبامكان الشاعر بعد ان قدم لنا ديوانين في الشعر الشعبى ان يعود من جديد الى فنه الشعرى الاكثر اتقانا ليقوم برحلة اطلاع وتثقيف في عالم الادب العالمى الساخر العميق ، وخاصة الشعر الدرامى ، والاعمال المسرحية والروائية الكوميدية ليطعم فنه برافد الثقافة الواسعة والنماذج الفنية الرائعة ، ثم يواصل دوره الذى ارتضاه لنفسه في شعره ، دور « الراوى الساخر » ، وسيرى عندئذ أى فن ساخر رفيع يستطيع تقديمه ٠

وقد يسخر شاعرنا من هذه « النصائح » التى تقدمها له ويردد :

يا سيدى قصائدى في أضلعى نمت
لم يملها وحى ، ولم يصعد بهن جان
يا سيدى موضوعى المفضل الانسان !

نعم ، يا رفيع ، ليكن دائما موضوعك المفضل ٠٠ الانسان الذى أعلم انك عانيت من عذابه اشياء كثيرة ٠٠ الانسان بكل ابعاده وبكل اعماقه ٠ وبكل خصوبته وثرائه ، بكل ثقافاته وتراثه وفلسفته ٠ وطبعا بكل ما يثيره موقفه الوجودى من سخرية مريرة ٠٠ هازلة ٠٠ ضاحكة ! ولكن بمزيد من العمق ، وبمزيد من الابداع ٠

○ زاوية الرأى ○

دعوة ٠٠ ورجال

في غمرة هذا التواصل المكثف بين اقطار الخليج والجزيرة العربية لايجاد أطر من التعاون المشترك في مختلف المجالات لا نجد للادباء والكتاب ورجال الكلمة والقلم في منطقتنا نشاطا تعاونيا يتعدى الحدود الاقليمية الضيقة ليشمل دنيا الادب الواسعة على امتداد هذه الجزيرة العربية التى كانت منذ القدم مسرح الشعر الاول ومهد الكلمة المضيئة الهادية ٠

ان الادب بالذات نشاط انسانى لا يعرف الاقليمية ولا الحدود ومن طبيعته تجاوز كل الحواجز لمعانقة النفس الانسانية في كل مكان ٠

وفي اقطار الخليج اليوم نهضة ثقافية شاملة مباركة ٠ ففي الكويت نجد رابطة الادباء ومجلتها الشهرية (البيان) عدا المطبوعات الادبية والفكرية الاخرى ، وفي البحرين حركة ادبية خصبة ومتفاعلة تغذيها اسرة الادباء ومطبوعة (كتابات ٧٦) ٠ وفي قطر صدرت مجلتنا (الدوحة) وتأسس المركز الثقافي مع بدايات مسرحية مشجعة ٠ وفي دولة الامارات وسلطنة عمان اهتمام متزايد بالتراث والتاريخ والاحياء الفولكلورى الاصيل ٠ وقل مثل هذا عن الحياة الادبية بالمملكة العربية السعودية واليمن من اقاليم الجزيرة ٠

ان هذه الجهود وهذه النهضات لابد ان تتفاعل وتتواصل في عهد التواصل والتوحيد ٠ ولابد ان يلتقى رجالها في ندوات ومحاضرات ومؤتمرات ادبية يتم فيها التعارف وتبادل الراى ووضع اسس التعاون المنشود ، ولابد ان يسعى بلد خليجي لحمل هذه المهمة ٠

انني ادعو الى تبنى سلسلة لقاءات وندوات برعاية المركز الثقافي القطرى يلتقى خلالها ادباء من الخليج والجزيرة للتعارف وتبادل الراى ٠٠ كخطوة أولى لبعث عرائس الشعر والفكر في جزيرة العرب استذكارا لعهد قديم مبارك ٠

محمد جابر الانصارى

مبارك بن سيف آل ثاني

من ينبوع النيل إلى شواطئ اللؤ

هب لي بقطـر [illegible]
من شاطيء متلألىء يتدفـق
[illegible] الوجود [illegible]
فالشمس من [illegible] تشرق
يا نيـل ان بعد الخليج منارة
فالروح [illegible] للقيا و[illegible]
كالسحر ماؤك يا خليج وليتني
أشدو بذياك الجمال وأصدق
فله من الأطياف سحر خيالها
ومن الزبرجد واللآليء رونق
يا بحر هل تذكر خطانا .. همسنا
والرمل يجثو ناعما .. يتالق
ايه طيور البحر ان بعد اللقا
فالروح عندك في السماء تحلق
وتطير [illegible] وسطوطه
ومع المآذن والنخيل تعانق

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

جنون أيرلندا ووجدانها

Yeats

وليم بتلر ييتس

عندما حصد رصاص الجيش البريطاني ارواح ثلاثة عشر شابا اعزلا في ايرلندا الشمالية في مستهل عام ١٩٧٢ في لندنديرى ، واحتدت النائبة الايرلندية الشابة برناديت دفلين في مجلس العموم البريطاني وصفعت وزير داخلية بريطانيا ، خرجت صحيفة دبلن الاسبوعية (هايبرنيا) وهي تحمل عنوانا رئيسيا يقول « الان تغير الوضع كلية » وهي تعني بذلك ان الحمية القومية الايرلندية قد استثيرت والتهبت بصورة لم تعد تقبل المساومة او انصاف الحلول بعد اليوم وما كان ممكنا التوصل اليه من قبل لم يعد ممكنا .

والصحيفة الايرلندية الثائرة تستعيد بهذه الكلمات قصيدة شاعر ايرلندا الاعظم ييتس « الرجال الستة عشر الميتون » والتي كتبها عام ١٩١٦ عقب ثورة ايرلندا يقول فيها :

« ولقد تحدثنا طويلا وتناقشنا كثيرا
ولكن كان ذلك قبل أن يفتك الرصاص بالستة عشر رجلا
ولكن من الذى يملك ان يتحدث الان عن اخذ وعطاء
عما يجب ان يكون ومالا يجب ان يكون
بينما الرجال الميتون هناك
يحركون كوامن السخط والثورة .. » .





ولم يكن غريبا ان تلتفت ايرلندا في لحظة محنتها وغضبها الى الشاعر ييتس الذى يمثل وجدانها وحيوتها وعبقريتها وجنونها ، فلك الـذى رثاه الشاعر الانجليزى و . هـ اودن في يوم وفاته في شتاء عام ١٩٣٩ الذى سبق اعلان الحرب العالمية الثانية بقوله :

« وقد اختفى في هداة الشتاء

وقد تجمدت الغدران وهجرت المطارات

وشوه الجليد التماثيل العامة

وغرق الزئبق في فم اليوم المحتضر

كل شيء يتفق معي

ان يوم وفاته كان يوما باردا أسود »

والشاعر الراثي حين يصف يوم وفاة ييتس بانه كان يوما أسود بارد فهو لا يقرر صورته المـادية فقط وانما يعتبره كذلك ايضا في الجانب الثقافي .. وهو يرى المدينة ، باردة ميتة والاهواء التي كانت تنساب في حرية قد تجمدت ، واحلام الناس تتجه نحو الارض ، وتراث الانسانية قد تشوه ، وهو الان يحتضر كما الشاعر العجوز يحتضر .. ولكن اذا كان ييتس الانسان قد مات فالشعر باق خالد ، يقول اودن :

« ولقد كنت احمقا مثلنا ..

ولكن موهبتك ستبقى فوق كل شيء

[illegible]ية النساء الثريات والذبول الجسدي

ان ايرلندا المجنونة جرحتك لقول الشعر

وايرلندا ما زالت تحتفظ بجنونها وجوها

لان الشعر لا يؤدى الى حدوث شيء : انه يبقى

في وادى معانيه حيث لا تصل ابدا

يد النخاز ، انه ينساب نحو الجنوب

من مراعى العزلة وخضم الاحزان

مدن خامة نؤمن بها ونموت فيها ولكنه يبقى

طريقة حدوث : فما يتحدث

\+ + +

أيتها الارض تقبلى ضيفا عزيزا

فقد ووري وليم ييتس الثرى

فلتقف السفينة الايرلندية

وقد صفرت من شعرها

في كابوس الظلام

تنبح كل كلاب اوروبا



والبلاد الحية تنتظر

وكل واحدة تنطوي على مقتها

والعـار الفكري

يطالعك في وجه انسان

وبحار الشفقة ترقد

مغلقة متجمدة في كل عين

\+ + +

تابع حديثك أيها الشاعر تابعه

حتى قرارة الليـل

وبصوتك المنطلق

اقنعنا لكي نبتهج

\+ + +

وبغرس بيت من الشعر

اجعل من لغتنا حديقة عنب

عن لاخفاق الانسانية

في نشوة من الغم

وفي قفاز القـلب

دع نافورة الشفاء تبدأ

وفي سجن أيام الرجل الحر

علمه كيف يمدح

\+ + +

ويتس شاعر ايرلندا الذى يمثل صخبها وجنونها والذى يرتفع صـوته الان من وراء القبر يعبر عن سخطها وثورتها هو وليم بتلر ييتس ، الابن الاكبر لجون بتلر ييتس الذى انتقلت عائلته الى ايرلندا في القرن السابع عشر ٠٠ وقد بدأ يكتب الشعر وهو شاب دون العشرين ٠٠ وكان يتوجه بشعره ووجدانه كله الى الشعب الايرلندى يستوحي تراثه ويتغنى بامجاده ٠ كان يهدف الى خلق ادب ايرلندى متميز وقد اتسمت حياته الادبية الاولى بنشاط لا يفتر في نشر هذه الدعوة والعمل الدؤوب لها من خلال اشعاره وكتاباته في الصحف والمجلات، ومحاضراته العامة ، وانشاء الجمعيات الادبية ٠ كان نشاطه ينحصر في المجال الثقافي والادبي ، ولكنه اندفع الى معترك السياسة الايرلندية تحت تاثير ارتباط عاطفي لم يتخلص منه طول حياته اذ وقع وهو في الثالثة والعشرين من عمره في حب فتاة ايرلندية ثائرة تدعى مود جون غيرت مجرى حياته ٠٠ وكانت فتاة صارخة الجمال ولقد ظن ييتس انه لا يستطيع أن يحظى باحترامهـا بنشاطه الادبي ، واهدافه الفكرية وحدها ، اذ كانت لا ترى بديلا عن العمل الثوري ، فانضم بين عامي ٢٩٨٧ ــ ١٨٩٨ الى حركة سياسية تهـدف الى توحيد العناصر الوطنية في ايرلندا ٠٠ بل واصبح عضوا عاملا لفترة مـن الزمن في حركة ثورية ايرلندية متطرفة ٠

وليم بتلر ييتس

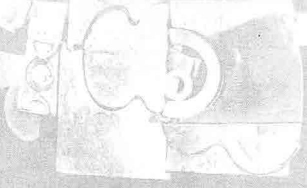
في تلك السنوات المشحونة بالعمل السياسي في محيط الحركة الوطنية الايرلندية والرغبة النشطة في احياء الادب الايرلندي ، لم يكن شعر ييتس يعبر عن شخصيته •• كان يعتبر نفسه صوت ايرلندا والانسانية وكان ينفر ان يكون الشعر ذاتيا ولقد عبر عن ذلك بقوله :

« شخصيتي ابعد ما تكون عن ذاتيتي الشعرية لدرجة انها تعوقني ولا يزيد تاثيرها في قصائدي ـ اى في ذاتيتي الحقيقية ـ عن تاثير شخصية الراقص في الرقص الذي يؤديه •• » •

ولكن برغم جهوده في الحقل الوطني •• لم يستطيع أن يمتلك قلب حبيبته الثائرة • ومع تسرب اليأس والاحساس الاليم بالخيبة ، بدأ يتجه نحو الروحانيات والغيبيات والرمز الغامض المعقد وقصائد ديوانه « همس الريح » الذي نشر عام ١٨٩٩ تبتعد كثيرا عن اشعاره الخطابية الجماهيرية الاولى •• وهو يدافع عن استعماله للرموز المعقدة في شعره بقوله :

« ان انسانا بادنى حالة تصوف يعلم أن هناك رموزا كبرى تطفو في العقل قد لا يدرك الانسان معناها في سنين عديلة • »•

من اروع هذه القصائد الرمزية المجازية « ليدا والبجعة » اذ يستغل ييتس اسطورة اختطاف البجعة للفتاة ليدا •• والتي صورها مايكل انجلو في احدى لوحاته ليرمز بها الى عملية الخلق والابداع اذ يجعل من البجعة رمز القوة الخلاقة الخالدة والعقل المبدع الذي يهبط ، وقد اتخذ شكلا ماديا ، ليتحد بالانسانية التي تمثلها الفتاة وهي في قبضة الطائر ، وبهذا الالتئام الذي يمثله الاتحاد الحسي بين ليدا والطائر يولد الفن •• يقول ييتس في هذه القصيدة :



«خبطة مفاجئة ، فالاجنحة الكبيرة ما زالت
تصفق فوق الفتاة المترنحة ، تداعب فخذيها
اغشية أصابعه المظلمة ، وهو يطبق على قذالها بمنقاره
وقد احتضن صدره صدرها اليائس

كيف يمكن لهذه الاصابع الخائفة المرتجفة ان تدفع

هذا الهول المجنح عن فخذيها المسترخيتين ؟

وكيف يمكن لجسم في حضن تلك الموجة البيضاء

الا ان يحس بالقلب الغريب يدق حيث يستقر ؟

رعشة الجنس في صلبه تولد منها

السور المحطم ، والسقف والبرج المحترقان

واغا ممنون ميتـــا

اتراها وهي في قبضته

تحت سيطرة دم الهواء البهيمي

اشربت منه معرفته كما اشربت قوته

قبل ان يتركها المنقار السادر تهوى من قبضته ؟ » ٠

واصيب الشاعر بصدمة عاطفية عنيفة في عام ١٩٠٣ حين تزوجت حبيبته من احد ثوار ايرلندا مخلفة في قلبه جرحا غائرا ٠٠ وتحول الشاعر بعـــد ذلك يتامل داخل ذاته ولم يبق له الا ان يسجل في قصائده الذكريات التعيسة والامال التى لم تتحقق والتغنى بجمال حبيبته في سلسلة من القصـــائد العظيمة : كلمات ، المراة التى تغنى بها هومر ، ولا طروادة ثانية والتى ضمنها ديوانه « الخوذة الخضراء وقصائد اخرى » الذى نشر عام ١٩١٠ اخذ يقارن حبيبته بهيلين فاتنة طروادة الاسطورية ، ويعتبرها كهيلين فوق كل لوم وعتاب ٠

والمنحنى الفنى الذى اختاره في هذه القصائد يختلف عن اسلوبه السابق فهو يتحدث عن مواضيع الساعة ويعبر عن آرائه ومعتقداته ويسجل الفراغ العاطفى الذى يعيش فيه في لغة مبسطة مباشرة ٠

وفي هذه الفترة ايضا اصيب بخيبة امل في السياسة الايرلندية واتجـــه نحو الادب المسرحي ، ولكن حماسه للفن سرعان ما اصطدم بالتزمت والتطرف السياسي والديني ، وحين تعرضت اعمال زملائه الفنية الى التهجم بعـد عام ١٩٢٣م وجد نفسه مدافعا عن الفن الرفيع ضد التغول السياسي والتزمت الديني وبلادة الحس ، وكانت خيبة امله في السياسة الايرلندية قد اضيفت الى خيبة أمله في حبيبته المتطرفة الثائرة التى تزوجت عام ١٩٠٣ من احـــد ثوار ايرلندا والتى ظل يؤمن ان السياسة هى التى افسدت انوثتهـــا وافرغت انسانيتها ٠

وقد عبر عن خيبة امله في عدد من القصائد الساخرة والتى ضمنها ديوانه (مسؤوليات) الذى نشر عام ١٩١٤ ٠ وقد تخلى في هذه القصائد عن غموضه اللفظي وصب ثورته ولعنته في كلمات خطابية مبسطة مباشرة ٠٠ وثورة ييتس كما تقول ابياته تشمل كل شيء :

« على هذا العالم المتعفن في هبوطه وانحطاطه

على العصابات الزائفة وهى ترقى ، والعائلات

العظيمة تنزوى وتنضب ٠



لالىء الماضى تقذف في حظيرة الخنازير

ومظاهر البطولة موضوع سخرية الاغبياء والمهرجين » .

ولقد بلغ به الحنق في هذا الديوان انه لم يعد يرى العالم الا من منظار قاتم السواد وفي تشاؤم مرير .. يقول :

« الاشياء كلها تتمزق والمحور لا يستطيع أن يتماسك

الفوضى المجردة انطلقت تجوس العالم جميعه

وبحر الدماء تفجر ، وفي كل مكان

تغرق شعائر البراءة .

الاخيار يفقدون الايمان بينما تمتلىء

نفوس الاشرار بالعاطفة المكثفة .. »

وعندما اندلعت الثورة الايرلندية في عام ١٩١٦ كانت حدثا مفاجئا لييتس ، استعاد مرة أخرى ثقته في الشعب الايرلندى وفي جدية الحركة الوطنية ، فالثوريون الذين كانوا موضع سخرية وتهكم قد أصبحوا أبطالا حقيقيين سجلوا بطولاتهم بالدم في تاريخ ايرلندا ، وفي أعماقه وفي روعة الانبهار كتب عددا من القصائد الثورية المؤثرة التى أصبحت الان زادا فكريا للثورة الايرلندية وربما تعود اليها كلما تحركت كوامن ثورتها وغضبها .

وكانت هذه نهاية الفترة القلقة من حياته الصاخبة وفي عام ١٩١٧ تزوج ييتس زواجا منحه الاستقرار والهدوء النفسى . وبدأ يرتقى سلم المجد في خطوات ناجحة ثابتة .. ازدهر شعره فنيا ووجد تقريظا وتمجيدا من قومه اذ أصبح عضوا عاملا في برلمان ايرلندا الحرة كما وجد تقديرا عالميا اذ حصل على جائزة نوبل ، ولكن مع فورة النجاح كان عدو الانسان الحقيقى يترصد له .. الشيخوخة ، وكان ييتس يمقت الشيخوخة . وكان يحس بان تحقيق الرغبة لا يؤدى بالضرورة الى الاكتفاء بل الى ان يستهلك الانسان نفسه ، يقول ييتس في احدى قصائده :

« كل شىء يقدره الانسان

يدوم لحظة او يوما

مسرات الحب تطرد حبه

وريشة الفنان تستهلك احلامه ،

وصرخة الرسول وخطوات الجندى

تستنفد عظمته وجبروته

وكل نار تتاجج في الليل

قد غذاها بالوقود قلب الانسان » .



وقد استحوذ على شعره المتاخر طغيان الزمن والشيخوخة وقد كان يجد عزاءه في خلود العمل الفنى الذى يستطيع أن يقهر الزمن ، وفي قصيدته الرائعة « الابحار الى بيزنطة » يتمنى الشاعر ان يحل روحا في عمل فنى خالد مبدع في بيزنطه اذ لم يعد العالم المادى تمثله المدن بشبابها وحبها ونضارتها بيئة لرجل عجوز مثله :

« ليس هذا بلدا للعجائز ــ الشباب

في احضان بعضهم البعض والطيور تغرد فوق

أغصان الشجر (بالاجيال الفانية)

والسلمون يقفز فوق الماء وبحار مليئة بالاسكبرى

والسمك والحيوان والطير مبتهج طوال الصيف
بالحياة : بكل شيء يولد ويحيا ويموت ٠
وفي خضم هذه الموسيقى الحسية يهملون جميعا
الفكر الذى لا تدركه الشيخوخة
انصاب الفكر الذى لا تدركه الشيخوخة
ليس الرجل العجوز الا شيئا تافها حقيرا
عباءة مرقعة فوق عصا ـ الا اذا
صفقت الروح وغنت وارتفع غناؤها
لكل رقعة في ثوبها الفاني
وليس هنالك مدرسة تعلم الغناء ولكن
دراسة التماثيل تمثل روعة حياتها
ولهذا فقد قطعت البحار وحضرت
الى مدينة بيزنطة المقدسة ٠
ايها الحكماء الواقفون في نار الله المقدسة
كانهم في فسيفساء الذهب على الحائط
تعالوا من النار المقدسة واهبطوا في خط لولبي
وكونوا معلمى الموسيقى لنفسى
إنزعوا قلبى ذلك المريض بالرغبة
المقيد الى حيوان محتضر
لا يعرف نفسه ، وخذونى
في حضن صرح الابدية
ومتى انتزعت نفسى من الطبيعة فلن اختار ابدا
شكلى الجسدى من بين الاشياء الطبيعية
ولكننى ساختار شكلا كالذى يصنعه الصياغ الاغريق
من الذهب المطروق وطلاء الذهب
لكى يجعل الامبراطور الوسنان صاحيا
او ان اوضع فوق الغصن الذهبي لكى اغنى
لسادة بيزنطة وسيداتها ٠
عن كل شيء في الماضى والحاضر والمستقبل ٠ »

تمثل الثقافة البيزنطية عند ييتس القمة الفنية التي بلغها الانسان ، وقد كتب هذه القصيدة وقد بلغ الستين من عمره وبيزنطه تمثل عند الشاعر حالة يصبح فيها العمر المادى دون قيمة ٠

وفي قصيدة « فدان من العشب » التى كتبها بعد أن تعدى السبعين من العمر ، نراه يتطلع الى النار الروحية والادراك الذين وصفهما بالاحتدام والعنف .. تقول هذه القصيدة :

« اللوحة والكتاب يبقيان
فدانا من العشب
للرياضة واستنشاق الهواء
ما دامت قوة الجسد قد تلاشت
في منتصف الليل ، بيت قديم
لا يتحرك فيه شيء الا فار
سكنت المغريات
هنا في نهاية درب الحياة
لا الخيال السائب الطليق
ولا طاحونة العقل
وهى تستنفد كل طاقتها
يستطيعان ان يكشفا الحقيقة
هبنى احتدام الشيخ ونارم
حتى اصنع نفسي من جديد
حتى اكون تيمون او لير
او وليم بليك ، ذاك
الذى ظل يدق على الجدار
حتى لبت الحقيقة دعاءه
وامنحنى عقلا عرفه مايكل انجلو
يستطيع ان يخترق السحب
او اندفع بقوة هذا الاحتدام النزق
فاهز الاموات في لحودهم عقلا لم ينتبه له سائر الناس
عقل شيخ ماضيا مرهفا . »

ان الشاعر الذى يشير اليه في هذه القصيدة يمثل النموذج الاعلى للشاعر الذى لا يثق في الفكر المجرد ؛ ويرى ان العواطف مقدسة لانها تظل حية ، وان الانسان سيخلد محمولا على اجنحتها وعلى هذه الاجنحة يرجو الشاعر ان يرتفع فوق فدان العشب الذى تسوره الارض . ويبدو أن دعوته قد وجدت استجابة فقد ظل يكتب الشعر حتى اسابيع قليلة قبل وفاته ، وفي رسالته الاخيرة بعد ان تنبا بان اجله لن يطول اضاف قوله : انا سعيد واعتقد اننى ملء بالطاقة التى يئست منها .



منزل في بروفنس ١٨٨٢ – ١٨٨٥ بيعت بمبلغ ٠٠٠ر٨٠٠ دولار



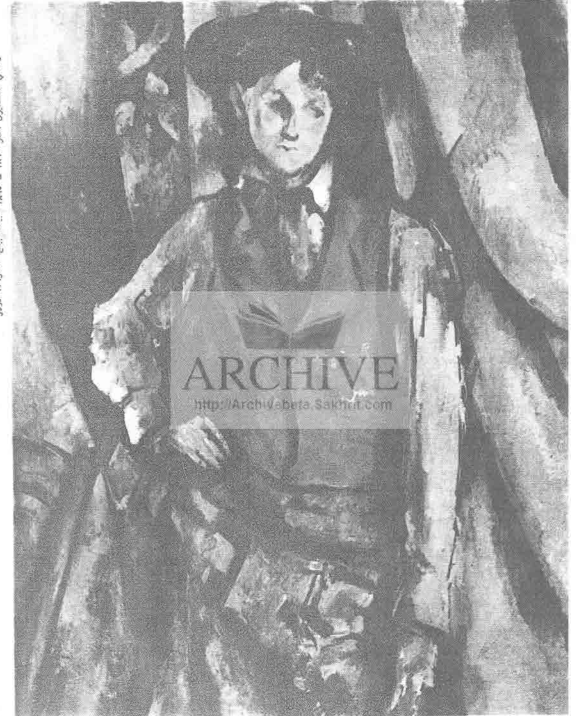
محمد ابوطالب

مليون ونصف دولار ثمنا اللوحتين

قد يبدو لك هذا العنوان غريبا او دعائيا أو غير منطقي أو ٠٠ او ٠٠

وقد تسال نفسك ذات السؤال الذي سألته لنفسي : هل استطيع أن أدفع هذا المبلغ ثمنا للوحتين ؟٠٠ اجابتي كانت بالنفي لانني لا أملك هذا الرقم ولن أملكه كما لم يملكه أيضا الفنان صاحب اللوحتين ٠

واللوحتان للفنان الفرنسي « بول سيزان (PAUL CEZANNE) احداهما « صبي في صديري أحمر » وبيعت في عام ١٩٥٨ بمبلغ ٠٠٠ر٦١٦ دولار ٠ والثانية « منزل في بروفنس » وبيعت عام ١٩٦٥ بمبلغ ٠٠٠ر٨٠٠ دولار اشتراها أخصائي جمع اللوحات الامريكي بول ميلون (PAUL MELLON)



ولد في صديري احمر ١٨٩٠ - ١٨٩٥ بيعت بمبلغ ٦١٦ر٠٠٠ دولار

سـيزان

وهذه الارقام ليست ـ بالطبع ـ سوى مؤشرات رمزية لتقدير هذه الاعمال الفنية العظيمة وليست بالقطع تقديرا ماليا لتلك العبقرية الفنية الخالدة فاموال العالم بالكامل لا تساوي « قدر » تلك الابداعات العبقرية · ان قدرها الحقيقي هو كونها لؤلؤة ضمن لآليء مماثلة تكون عقدا يزين تاريخ البشرية ·

● ●

والفنان « بول سيزان » صاحب تلك الاعمال العظيمة وغيرها ـ مما سنتعرف عليه فيما بعد ـ ترجع اهميته التاريخية الى انه المسئول عن ايجاد المفهوم الحديث للفن « وهو أن الفن ليس نقلا حرفيا للواقع بل هو ابداع مستقل يخرج في اتجاهه الصحيح » وبهذا المفهوم مهد الطريق للحركات الفنية الحديثة التالية ابتداء من « التكعيبية » حتى « البوب ارت » ·

كل هذا يدعونا للاقتراب اكثر واكثر من الفنان لنتعرف عليه فنيا ، بل ويدفعنا حب الاستطلاع الى أن نحاول معرفة الكثير عن جوانبه الاخرى كانسان لتكتمل لدينا صورة هذا الفنان العبقري ·

● ●

ولد سيزان في ١٩ يناير عام ١٨٣٩ في مدينة ايكسن بروفنس (Aix en-Provence) وهي مدينة ريفية جنوب فرنسا تبعد اميالا قليلة عن البحر الابيض المتوسط · وقد اثرت فيه كثيرا هذه البلدة بطبيعتها الصخرية وضوئها الساطع · وظل مرتبطا بها ارتباطا عاطفيا وفنيا حتى اخر ايامه حيث كانت حياته تدور على محورين اساسيين : المحور الاول هو « ايكس » وضواحيها والمحور الثاني « باريس » وضواحيها ·

كان والد « سيزان » ، لويس اوجست سيزان ، رجلا غنيا يعمل في المال ، ولديه بنك · ولكنه حقق تلك الثروة وذلك النجاح بعد أن قضى طفولة فقيرة معذبة في مدينة ريفية صغيرة ، ثم انتقل الى « ايكس » حيث زادت ثروته وأصبح من الطبقة البرجوازية الجديدة التي نشأت بعد الثورة الفرنسية ·



لويس اوجست سيزان والد الفنان قضى طفولة مريضة فقيرة معذبة · ثم يتحسن صحيا وبدأ ينمو شابا يافعا تبدو عليه الحدة والتصميم · بدأ يحقق نجاحا في الاعمال التجارية ثم اتجه الى بلدة « ايكس » مع بداية نجاحه وهناك استمر نجاحه المالي واصبح ثريا ·

كانت شخصيته متسلطة بقوة على الفنان مما اثر عليه من الناحية الشخصية وحوله الى شخص لا يجرؤ على الاعتماد على نفسه حتى بلغ منتصف العمر ·

قضى « سيزان » مرحلته التعليمية الاولى في مدرسة « سان جوزيف » حيث تعلم القواعد الاولى ثم انتقل الى المدرسة الثانوية العامة ثم « كلية بوربون (College Bourbon) حيث تلقى فيها تعليما تقليديا · ولكنه اهتم بالعلوم الانسانية والدينية · واتضح امتيازه في الرياضيات واللغة اللاتينية واليونانية فكتب اشعارا باللاتينية والفرنسية ·

ومع نهاية عام ١٨٥٨ اجتاز امتحان البكالوريا بعد ان رسب فيه مرة سابقة ، ودخل كلية الحقوق في جامعة « ايكس » (AIX) تنفيذا لرغبة أبيه ، وتعارضا مع رغبته الحقيقية في ان يكون فنانا ·

قضى في هذه الكلية عامين كتب خلالهما رسائل لصديق طفولته « اميل زولا » عبر فيها عن ضيقه ورغبته في عدم الاستمرار · حيث كانت رغباته الفنية الجامحة تتنازعه بين الشعر والفن ، يذهب الى اكاديمية ايكس للرسم الحر ·· يواظب على جلسات ومحاضرات لتعلم الفن · ويكتب في ذات الوقت أشعارا مليئة بالاحاسيس الصادقة · وقد قال له صديق طفولته « اميل زولا » (Emile Zolla) « ذات مرة » : انت تكتب الشعر ·· وقد يكون شعري انقى من شعرك ·· لكن اشعارك اكثر شاعرية وأكثر صدقا لانك تكتب من القلب وانا اكتب بالعقل ··



الصورة العليا لاخت سيزان « روز » في سن ١٥ وهي تصغره سنا ولعبت دورا بسيطا في حياته • والصورة السفلى لاخته « ماري » وقد كانت قوة مؤثرة في العائلة وكان لها تاثير كبير في حياة الفنان

وافق ابوه أخيرا على أن يتوقف عن دراسة القانون وتقرر أن يسافر الى باريس لدراسة الفن •

وهكذا سافر سيزان الى باريس شابا قرويا منطويا على ذاته بداخله فنان جامح مليء بالامال والاحاسيس والاحلام ، وكعادة كل المدن الكبرى لم تسمع باريس حفيف خطواته الخجلى وسط ضجيج الخطوات الاخرى الكثيرة التي تدق أرضها بقوة وصلابة وعناد •

شهور قليلة ولفظته باريس دون أن تعرف من هو ووجد نفسه مرة اخرى يعمل في مكتب ابيه ببلدته « ايكس » •

وسبب فشل هذه التجربة يرجع جزء منه الى تكوين شخصية « سيزان » من حيث كونه عصبيا ، ضيق الصدر وخجولا • والجزء الاخر فني •• فقد شوش الباريسيون افكاره المتعارف عليها حتى تلك الفترة •

ولكن عند هذه النقطة بالذات كانت بداية الكشف عن قدرة « سيزان » على الاستمرار • فقد عاد مرة اخرى ليقضي وقت فراغه في « اكاديمية الفنون » ببلدته ••



عام ١٨٦٢ عاد « سيزان » مرة اخرى الى باريس حيث استمر هناك ثماني سنوات كانت تتخللها زيارات لبلدته من حين الى اخر •

وببطء شديد كان يتضح نضج « سيزان » سواء كمصور او كرجل • فقد كان مشدودا بانفعالية الى اسرته • وكانت شخصية ابيه طاغية متسلطة لم يستطع أن يهرب من سيطرته ليصنع من نفسه رجلا اخر • له كيانه الذاتي واستقلاليته في تدبير أمور حياته •

فقط عندما بلغ الثلاثين تمكن لاول مرة من صنع علاقة ناجحة بعيدا عن اسرته مع فتاة تدعى « هورتن فيكو » (Hortense Fiquet) كانت فتاة من بلدة صغيرة في شرق فرنسا انتقلت واسرتها في سن مبكرة الى باريس • وكان أبوها موظفا صغيرا في أحد البنوك مما جعلها تكسب عيشها بالعمل في التجليد اليدوي للكتب • وهناك رواية تقول انها كانت تكسب قوتها بالعمل كموديل من حين الى اخر ، ولكن هذه قد تكون مختلقة لشرح ظروف تعرفها على الفنان •

تزوج « سيزان » من « هورتن » • وخوفا من أبيه ظل مخفيا هذا الامر لسنوات لم يجرؤ أن يعلنه • وهذا الوضع الغريب الذليل يرجع الى جبروت شخصية ابيه والى اعتماده في الحياة على عون ابيه المادي الذي استمر حتى منتصف عمره تقريبا • وهناك آراء تقول أن اعتماده هذا الذليل على أبيه احسن كثيرا من تعرضه للموت جوعا كما حدث لفنانين آخرين •

● ●

في يوليو عام ١٨٧٠ اعلنت فرنسا الحرب على بروسيا وبدأت في تجنيد الشباب للحرب • وتجنبا لامكانية استدعائه للتجنيد قرر « سيزان » الهرب وسافر هو وزوجته الى ميناء صغير للصيادين على البحر الابيض •

كانت والدته تملك منزلا صغيرا في هذه البلدة « لوستاك L'estaque » وهي تبعد حوالي ١٥ ميلا عن بلدته « ايكس » •

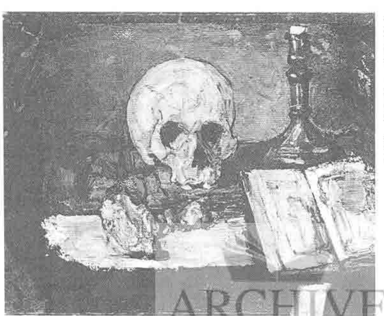
بحث عنه البوليس في بلدته ، لكنه لم يتوصل الى مكانه • واستمر « سيزان » في « لوستاك » الى أن انتهت الحرب • ثم عاد الى باريس مرة اخرى حيث انجبت له « هورتن » عام ١٨٧٢ ابنه الوحيد « بول » (PAUL)



ســـيزان

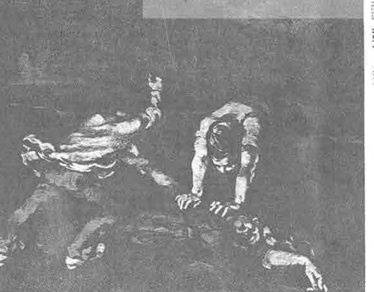


طبيعة صامتة مع جمجمة ١٨٦٥ - ١٨٦٧



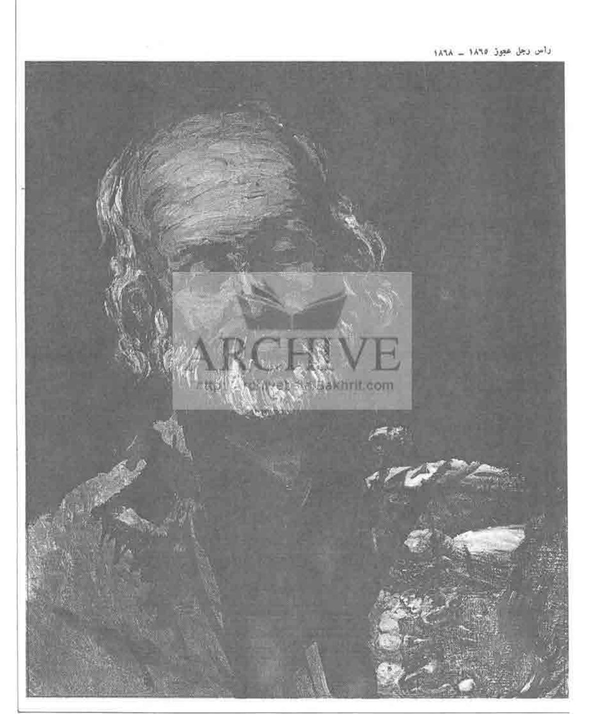


صديق الفنان القزم ١٨٦٨



القاتل ١٨٦٧ - ١٨٧٠

راس رجل عجوز ١٨٦٥ ـ ١٨٦٨



سيزان



بول سيزان « في سن ٢٢





كروكي لابنه « بول » اثناء النوم

بول « ابن الفنان في سن ١٤

من رسائل « سيزان » وأشعاره ورسومه في سنواته الاولى نلمس شخصيته فنجده صبورا وخجولا ، سريع الغضب ومكبوتا بدرجة لا تصدق ·

ان أعماله الاولى تكشف عن شخصيته · فنجد أن موضوعات لوحاته في تلك الفترة موضوعات عنيفة ومحزنة ، كما انه ايضا عالج هذه الموضوعات بألوان داكنة حزينة تشيع الغموض والرهبة · واستعمل سكين الالوان في كل هذه الاعمال · وهذه الاعمال هي « القاتل » ، « صديق الفنان القزم » ، « طبيعة صامتة مع جمجمة » ولوحة « رأس رجل عجوز » ·

عمل سيزان كثيرا في بلدته بالجنوب · وعندما قدم الى باريس تقوقع بانطوائية ، وتحاشى كل معارفه الاكبر سنا ، وظل هناك لسنوات منسيا تماما ، بل وصل الامر الى اعتقاد البعض بأنه قد مات ·· وخلال سنوات الغربة هذه توصل « سيزان » الى أسلوبه المتميز وكان ذلك بعد معركة طويلة وقاسية مع نفسه ومع العمل المستمر ، فلم تكن لديه من قبل المهارة التكنيكية التي تمكنه من التعبير عن افكاره وأحاسيسه · أما الان فاصبح واقفا على أرض صلبة من المقدرة التكنيكية ، وصل اليها بعد أن ظل يرسم ويرسم · وأحيانا كان يخصص عشرات الجلسات لرسم واحد · وأحيانا يقذف باللوحة بعيدا أو يطمسها بالالوان أو يمزقها بسكين الالوان · كل ذلك في محاولة البحث عن « سيزان » الفنان داخل نفسه ·

وبالقطع فان « سيزان » الفنان لم يأخذ شيئا من تردد وعدم استقرار « سيزان » الرجل · فالفن قد ايقظ واستحوذ على الطاقة الهائلة في داخله ·

بعد هذه المرحلة بدأت روائع « سيزان » ترى النور وأولى هذه الاعمال لوحة « الساعة السوداء » التي أهداها لصديقه « أميل زولا » ·

عرف « سيزان » معظم فناني المرحلة التأثيرية لكنه أقترب اكثر من «كلودمونيه» (Claude Monet) و « اوجست رينوار » Auguste Renoir

في عام ١٨٧٢ بدأ يتجه نحو التأثيرية فقد انتقل مع زوجته وأبنه الى مدينة صغيرة خارج باريس اسمها « بونتوا » (Pontoise) كان نسكنها اكبر فناني المجموعة التأثيرية « كاميل بيسارو » (Camille Pissaro)

بدأ « سيزان » يعمل مع « بيسارو » ·· يجولان المنطقة لرسم المناظر وكانا



« اميل زولا » في سن ٢٥



صديق طفولتهم الثالث « بابتسان »

« ادوارد مانيه » • قدم (زولا) سيزان الى مانيه ، ورسم سيزان لوحة اولمبيا الجديدة •• محاكاة لاولمبيا مانيه •



سيزان ، جالسا في حديقة الفنان بيسارو ويرى واقفا امامه •• اول من اعترف بعبقرية (سيزان) وقال لابنه الصبى الذى يبدو في الصورة « اذا اردت ان تتعلم فن التصوير •• انظر الى سيزان »



كلود مونيه



بيير اوجست رينوار

يرسمان نفس اللقطات ، ومن هذا الوقت بدأ المنظر الطبيعي يحتل مكان الصدارة في اهتمامات « سيزان » الفنية •

كان « بيسارو » ناصحا مثاليا • وكان يحترم ويقدر تميز « سيزان » وتفرده الفني • وفي الجانب الاخر كان « سيزان » حتى آخر أيامه يعتبر « بيسارو » استاذا له •

عملا سويا لمدة عامين كان لهما اثر عظيم في التحول لسيزان • لم يستمر « سيزان » كفنان تأثيري لوقت طويل فقد أعجب بالالوان والحياة التي قدمها التأثيريون في اعمالهم لكنه كان يسعى لانجاز اعمال لها اصالة ووزن الفن الكلاسيكي الذي رآه بالمتاحف مع الرؤية الحديثة والاسلوب الحديث •

سيزان

١٨٧٧ ١٨٨١









زوجة « سيزان » « ماري هورتن » امرأة تبدو كنساء العصر الفيكتوري • اخذت لها هذه الصورة عام ١٩٠٠ في سن الخمسين وكانت في تلك الفترة تعيش مع ابنها بول الذي بلغ انذاك العشرين من عمره بينما كان سيزان في بلدته « ايكس » يواصل اعماله الفنية • وقد زارته في صيف ذاك العام باصطحاب ابنها بول ••



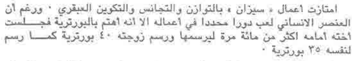


١٨٩٠ ١٨٩٠ - ١٨٩٤

وقد عرضت أعماله في المعرضين اللذين أقامهما التأثيرويون عامي ١٨٧٤ ، ١٨٧٧ ولكنها كانت في غير موقعها الحقيقي وبدت اضال من أعمال رفاقه وانما اشارت الى نمو وتطور مختلف ·



● ★ ●



امتازت أعمال « سيزان » بالتوازن والتجانس والتكوين العبقري · ورغم أن العنصر الانساني لعب دورا محددا في أعماله الا انه أهتم بالبورترية فجلست أخته أمامه اكثر من مائة مرة ليرسمها ورسم زوجته ٤٠ بورترية كما رسم لنفسه ٣٥ بورترية ·



سيزان بريشة بيسارو

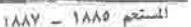
عام ١٨٩٠ حدث اخيرا الاعتراف بعبقرية « سيزان » وبدأ الفنانون الشبان في الكتابة اليه وزيارته أعترافا بفنه وتقديرا له · كما بدأت أعماله تأخذ طريقها الى المعارض · ومن أهم الامور ان تاجر اللوحات « فولارد » (Vollard) عرف طريقه وبدأ منذ عام ١٨٩٥ ينظم له معارضه على نطاق واسع · وقد رسم



كان يستعين « سيزان » في رسم الجسم الانساني بكروكيات من الموديلات • وأحيانا يستعين ببعض الصور الفوتوغرافية وهذه الصورة استخدمها في لوحة المستحم المنشورة اسفل ••







المستحم ١٨٨٥ ـ ١٨٨٧

منظر في بونتوا ١٨٧٧

« سيزان » « فولارد » في لوحة من أقوى أعماله الفنية •



ظل « سيزان » يعمل بحماس حتى آخر يوم في حياته كان يحمل أدواته على ظهره ويجوب الحقول يرسمها الى أن داهمته عاصفة ممطرة في طريق عودته يوما طرحته ارضا فاقد الوعي ، وحمله حوذي الى منزله وأمره الطبيب بالراحة لكنه في اليوم التالي خرج ليكمل بورترية الجنايني فولبيه اخر اعماله واصيب بنكسة صحية شديدة فمات يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٠٦ • بعد ان وضع الاساس السليم للفن الحديث ، وسار على دربه بعد ذلك بيكاسو ، وبراك في المرحلة التكعيبية • وباقي فناني العصر الحديث وصولا الى احدث المدارس في فن التصوير الزيتي •••

محمد ابو طالب

بيسارو بريشة سيزان



حوار غير تقليدي مع فنان تجريدي



صلاح طاهر

قصة الفن في حياة الانسان بعيدة الاعماق في تاريخ البشرية .. منذ وجد الانسان نفسه على سطح هذا الكوكب ، واجه بداية صراعه الحقيقي مع الطبيعة . ومع صراع الانسان من اجل البقاء في في عصر الطفولة البشرية ، راح عقل الانسان يفكر .. يفتش في الكون بحثا عن اسراره .. يحاول بالفكر تمزيق أستار غموضه فنشأت « الفلسفة » .

وبسبب استمرار الصراع ، استخدم الانسان كل معطياته ، وكل أسلحته التي سلحه الله بها ليخوض صراعه المصيري . ومع عناء الانسان في صراعه كانت أساطيره ، وملاحمه ، وقصصه التي نسجها خياله تتخذ نسيجا موضوعيا يكثف تجاربه .. ويرطب أماله .

ومثلما فكر العقل .. وعبر الوجدان .. كان في الانسان ذلك البعد الثالث وهو الاحساس والتذوق لما يراه في عالمه المادي . راحت عيناه تريان صفرة الصحراء ،وزرقة البحار والسماء ، وخضرة الاوراق والشجر ، وضياء الشروق ، وظلمة الليل . راى اشكالا مختلفة في الطبيعة .. فراح يرسم ما يراه على جدران كهوفه يلخص بها عالمه الفسيح ، في عالمه الصغير لانه كان يشعر بحاجته الى صداقة الطبيعة ،وتحدى الخوف . فراح يحاكي الطبيعة ، ويرسم الاشكال . بل يضع لها نفس الالوان وكانت بداية قصة الانسان مع الفن .

ونحن هنا ندعوكم الى رحلة مع الفن منذ البداية مع واحد من أبطال الفصل الحالي الذي يشهده عصرنا الحديث تحت عنوان « التجريد » . أنه الفنان المصري الزائر « صلاح طاهر » .. ولان الفن يضيف اليه كل جميل .. فان وجود ابنه الفنان التشكيلي الشاب « أيمن » كان بداية الحديث :

● قلت له .. استاذ صلاح طاهر ..

لك أسلوبك الخاص لانك بعد تجارب عديدة اكتشفت نفسك ورحت تواصل المسير .. لكن « ابنك » يختلف أسلوبه عن اسلوبك .. فهل اختلاف الاسلوب . تعبير عن طبيعة الاختلاف بين جيل وجيل او بين فلسفة وفلسفة ؟..

قال « صلاح طاهر » على الفور .

ـ كلمة الاسلوب نفسها تعني الرؤية الحسية او الفلسفة الجمالية .. والفنان هو الاسلوب . اذ انه مالم يكن للفنان اسلوب خاص فلا يكون فنانا .

الفنان : هو المبدع

ومضى موضحا : فالفنان الذي يقلد اسلوب غيره ، يكون تابعا وليس فنانا .. لكن الفنان الحقيقي هو الذي يبتكر أسلوبه ، والقيمة الحقيقية لاي عمل فني

نحت بارز فرعوني



هى الابتكار ، مالم يبتكر الفنان فانه لا يقدم شيئا له قيمة ، والفنان الذي لا يخلق أو يبدع لا يكون فنانا ·· يمكن ان يكون في دور التحصيل او هاو ·

لابد أن يكون الفنان خلاقا ومبدعا ·· ليقدم شيئا الانسانية وللمستقبل · هذه نقطة أساسية ·

● قلت : ليست المسالة اذن اختلاف بين جيل قديم أو جيل جديد ؟

قال :

ـ بالطبع ·· ليست المسالة بهذا الشكل ·· يعني هناك في الجيل الجديد من لا يزال يرسم بأسلوب قديم ومدرسي ·· وهناك اعتبار مهم جدا ولا يجب أن يغفل على الاطلاق بالنسبة للفنان وهو الثقافة ·

كان الفنان من حوالي ٧٠ أو ٨٠ سنة لا يأخذ ذلك الامر بمثل هذه الاهمية ·· لان الاتجاهات الفنية في ذلك الوقت كانت محدودة وتعتمد على نقل الطبيعة والفن كان يعتمد على المهارة اليدوية ،شأن أي حرفة تعتمد على المهارة ·· وعلى هذا الاساس يمكن لاي واحد بالتدريب أن يمسك بالفرشاة ويقف أمام نموذج ليرسمه · لكن عملية الابتكار شيء أخر · عملية الابتكار تتطلب ثقافة · ولما ظهرت مفاهيم جديدة للفن من حوالي ٦٠ ـ ٧٠ سنة ، أصبح للفن مفاهيم القرن ١٩ وما قبله · اذن لا غنى عن الثقافة للفنان ··

انها وسيلته لان يكتشف نفسه ، وهي وسيلته لان يبتكر ، وهي وسيلته لان يعيش عصره ويضيف اليه ، وهي التي تحرك الكوامن الداخلية في نفسه وتشعل في داخله جذوة الفن والخلق والابتكار · ثم هي التي تقض مضجعه لان يعبر عن مكنونات ذاته · وتحرك يده حتى وهو نائم ·

● قلت : تشير في كلامك الى أن هناك مفاهيم قديمة للفن · ثم اختلفت مفاهيم الفن بعد ذلك · ماذا عن هذين المفهومين ؟

ـ قال بالنسبة للمفهوم القديم · بدايته كانت عند الفيلسوف الاغريقي « افلاطون » · وأفلاطون كان يحتقر الفن في فلسفته · ويضع الفلسفة فوق الفن ·

بينما نجد واحدا مثل « شوبنهاور » الفيلسوف الالماني يضع الفن فوق الفلسفة ، ويعتبر أن الفن أرقى واشمل من الفلسفة لانه يرى أن الفن عملية ابتكار وخلق ، بينما الفلسفة عملية منطق ·

افلاطون ·· وأرسطو

● ولكن لماذا احتقر افلاطون الفن ؟

ـ لان الفن في عصر افلاطون وفي تصوره هو عملية نقل الطبيعة · يعني كان الفن مجرد محاكاة · بينما « المحاكاة » لا تتفق مع المفهوم المعاصر اطلاقا ، ثم جاء أرسطو (تلميذ افلاطون) وعدل هذا الرأي تعديلا رائعا جدا · ولعله فسر افلاطون باكثر مما فسر به أفلاطون نفسه ·

كان رأي « ارسطو » أن الفنان حين يحاكي الطبيعة ·· لا ينقل الطبيعة كما هي ، ولا يقوم بعملية نقل آلي مثل « الفوتوغرافيا » ، وانما هو محاكاة « قانون الطبيعة » ·· وليس محاكاة الطبيعة نفسها · فمثلا حين يريد رسم شجرة ، لا يرسم الشجرة كما هي مثل الفوتوغرافيا ·· وحتى المصور الفوتوغرافي لا يصور الشجرة كما هي ·· بل يحاول أن يختار زوايا خاصة ليظهرها في أحسن شكل وتكوين · ولكن ارسطو يرى أن الفنان يستخلص القانون الذي يجعل الشجرة مثل « الباليرينا » (راقصة الباليه) ·· ويبحث عما يجعل الشجرة في وضع رشيق راقص ، ومتموج ·· ويبحث في تأثير العواصف على الاوراق والغصون وتمايلها ، ويبحث في تأثير الشمس والضوء على الشجرة مما يشكلها على هذه الصورة · والفنان الواعي هو الذي يعطيني قانون الطبيعة والحياة الذي يؤثر على شكل الشجرة من خلال رؤيته ·

هناك من يقول ان الفنان يعطيني روح الشجرة ·· وأرسطو يرى أن الفنان يعطي القانون وليس الروح ·

حوار غير تقليدي مع فنان تجريدي

وهذا رأى لطيف ·· ولكن هذا المفهوم أيضا تغير بعد ذلك ، وظهرت « الكلاسيكية » فيما بعد ·· وفترة « الكلاسيكية » حضرها « أفلاطون » و « أرسطو » ·

● **ظهرت الكلاسيكية في بلاد اليونان أيضا ؟**

ـ نعم كانت في اليونان واستمرت حوالي ٢٠٠ سنة وبعد ذلك توارت ، لكنها ظهرت مرة أخرى في ايطاليا مع بداية عصر الاحياء (النهضة) ·

الكلاسيكية ليست المحاكاة

● **وما هي الاضافة التي قدمتها « الكلاسيكية » للفن بعد أفلاطون وأرسطو ؟**

ـ الكلاسيكية لا ترسم الطبيعة كما هي ولا تحاكيها ·· وانما ترتقى بها لترسمها في شكل مثالي ·· يعني حين يرسم الفنان « شجرة » فهو يرسمها في أحسن صورة · وبهذا المفهوم حين أرسم صورة لك ·· اتصورك في أجمل وأكمل صورة ·· ولا أرسمك بحالتك كما هي ·· لكن أرسمك كما أتصورك في أحسن حالاتك ·

● **اذن « المحاكاة » كانت سمة للفن في رؤية أفلاطون · و « المثالية » كانت سمة للفن في المرحلة الكلاسيكية ·**

ـ نعم · وبعد ذلك ظهرت الرومانسية كتطور جديد لمفهوم الفن ·· في الرومانسية انشغل الناس « بالانسان » وظهر ذلك في الفن في تلك الفترة ·· بينما المرحلة التي سبقت الرومانسية أي في المرحلة « الكلاسيكية » والمثالية ·· كانت موضوعات الفن حافلة بالابطال والآلهة · وأصبح « الانسان » في الرومانسية هو بطل الميدان ·

ثم بعد ذلك جاءت جماعة التاثيرين أو « الانطباعية » واحدثت ثورة على المدارس الفنية التي سبقتها ·· ثاروا على الكلاسيكية ·· وثاروا على الرومانسية ·· أي ثاروا على « الاكاديمية » خصوصا ·· ومعنى



توت عنخ آمون ·· من روائع الفن الفرعوني

نحت بارز من الفن الافريقي القديم

« الاكاديمية » هو الشكل المدرس عموما · وتقدر تسميها « الكلاسيكية الميتة » ، وهكذا جاء هؤلاء التاثيريون وغيروا مفهوم الفن مرة اخرى ، وارادوا أن يسجلوا اللحظات العابرة للاشياء في أشكالها المتغيرة ، خروجا الى العالم الفسيح تحت تأثير الضوء والظل ·· لان مبنى معينا صورته تتغير من ساعة لساعة · تبعا لتغير الضوء والظل لاشعة الشمس ·

وكان محور فنهم هو تسجيل الضوء ، وجعل الاشياء تسبح في الضوء ·· يعني عنصر الضوء هو الاساس ·

في ذلك الوقت كان « علم الضوء » قد ظهر ·· وثبت عن طريقه أن ظل الاشياء ليس هو اللون الاسود ، وانما اللون المضاد ·· يعني مثلا اللون الاحمر ، المضاد له اللون الاخضر وليس الاسود أو الرمادي ·· واللون البرتقالي ، المضاد له الازرق ·· والاخضر ظله بنفسجي و ·· وهكذا ·

وبادراك ذلك كانوا يعطون نوعا من البريق ·· وقدموا اسلوبا جديدا وهو « التنقيطية » وهي مزج الالوان عن طريق النقط ·

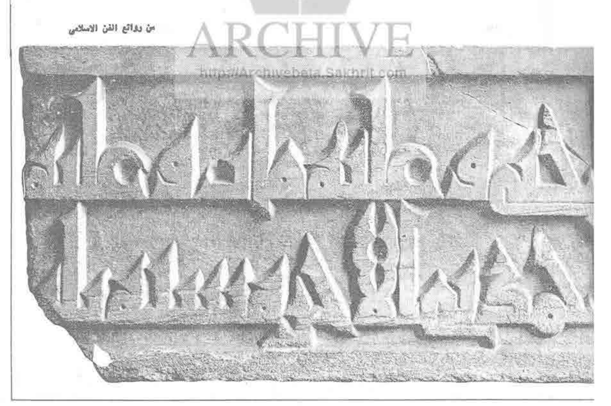
وجاءت التأثيرية

● **كيف ·· ؟**

) يعني لو أرادوا أن يعملوا لونا اخضر ·· لا يكون اللون الاخضر عن طريق مزج لونين الازرق والاصفر · وانما يضع على اللوحة نقطة لون صفراء الى جانب نقطة لون زرقاء ·· فعينك تراه من بعيد لونا اخضر · على العموم كانت تلك نقلة عظيمة في الفن ·· وتاتي « التاثيرية » · والتاثيريون مثلوا ثورة ·

ثم خرجت من « التاثيرية » جماعة اخرى وقالوا لا نريد أن نرسم اللحظات العابرة ولا غيره ·· وانما حسب رؤية الفنان لما يرسمه ·· وظهر بذلك مفهوم آخر للفن يتمثل في الثورة على الالوان وعلى الاشكال ·

من روائع الفن الاسلامي



محمـــد قنـــديـل

الزهور تذبل في لوحات الفنانين الشبان

• صبيحة الوحش • •• صلاح عبد الكريم



هل الفن التشكيلي ضرورة جماهيرية ؟•• أم هو نشاط ثانوي يعني استكمال الواجهة ؟ وما هو دور الفـــن في المجتمع ؟ هل هو الترفيه عن الانسان •• أم بناء الانسان ؟

تلوح هذه الاسئلة حينما أمسكت بالقلم لاحاول أن أعبر عن مشكلة الفنانين الشبان المعاصرين • ولعلنا بالاجابة عن هذه التساؤلات أن نضع يدنا على أول طريق المعـرفة لهذه الدوامة التي يدور فيها كل من الفنانين والجمـاهير والمسؤلين •

ونحن اذا اوغلنا ببصرنا وعقلنا في التاريخ ، فاننـا لا شك سوف نجد ان الفن كان من اولى الوسائل الـــتي افصح بها الانسان عن نفسه ، وحينما وضع قواعد مدينته كان الفن من بين تلك القواعد التي قامت عليها حضارته الاولى •

ففي رحلة الانسان لتحقيق ذاته ورفاهيته وســعادته ابتدع أدواته التي تكفل له الغلبة في هذا الصراع مستعينا



• تكوين نسجي •• فؤاد كامل

• في حب مصـــر • •• عزالدين نجيب



في ذلك بتراكم معارفه ، وبعقله المتوثب الى كل جـديد ، وبالرغم من ذلك كان يشعر بالعجز امام مطالبه الحسـية والتى كان يقوى عليها بعقله ، اما عن الجوانب المعنوية التى بدت غامضة ، فانه استعان عليها باحسيسه التى هى من صنع الذوق لاستجلائها ، فكانت هى الاساس لنشأة الفنون • وهنا نجد أن الانسان استطاع أن يتمثـل حياته ، وذلك لما في الفن من احتفاظ بالسحر والجمال •

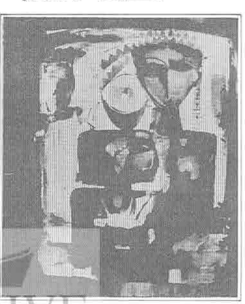
لذلك نقول ان الفن ضرورة من ضرورات الحيـاة ، حيث أنه بوتقة يتصهر فيها الحس والفكر الانسانى معا ، ويصبحان تاريخا لحضارة ونمو الانسان عـبر الزمان • كما أنه أيضا لا يقف عند ابداع الجمال والتاريخ ومتعة الانسان ، بل ينفذ الى الاعناق ليوائم بين أمزجته فيحفظ له اتساقه الداخلى •

ويقول علماء النفس ان الفن يفرغ شـحنات الكبت ويهذب شهوات النفس ، وانه هو الكفيل برد الطمـانينة الى النفوس بما اتشتهيه وتتخيله بين يديها مرئيا • وقديما طالعنا (ارسطو) بنظريته المعروفة (كاثارسيس) أى التطهير معبرا من خلالها عن أثر الفنون في تطهـير النفس من اهوائها عن طريق الارضاء المصطنع الـذى يحققه لها •

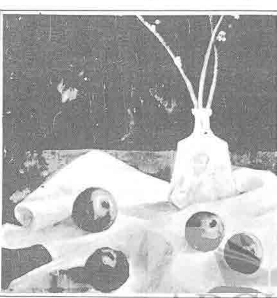
من كل ما تقدم نستطيع أن نقطع بأن الفن لا يمكـن ان يكون ثانويا في أى مجتمع يتطلع الى بناء حضـارى متماسك كما انه لبنة اساسية في بناء الانسان •

هذا ما يقوله التاريخ والعلم عن دور الفن في حيـاة الشعوب • ولكن ماذا يحدث ويدور في وطننا العـربى في مقابل هذه المسئولية • والى أى حد استطعنا أن نمهـد للحضارة الحديثة التى نامل أن نتسق معها ؟ ومـا دور الشباب في هذه المسئولية •

لكى نجيب على ذلك لا بد أن نلقى نظرة سريعة على تاريخ الحركة الفنية التشكيلية لمصر لكى نتخيـل على



« مصـــريات » •• عبد الوهاب مرسى



« طبيعة صامتة » •• محمد قنديل

اى ارض نقف الان ؟• والى اين المصير !•

بدأت الحركة الفنية التشكيلية الحديثة في مصر في مطلع القرن العشرين ، وذلك بمجموعة مـــن الرعيل الاول • التي كانت تتكون من المثال محمود مختـــار ، والمصور يوسف كامل ، وراغب عياد ، وغيرهم • وذلك بنشاة أول مدرسة للفنون الجميلة سنة ١٩٠٨ • كانت هذه البداية هي الاولى في الشرق العربى • وقـــد كان اساتذة هؤلاء الرواد مجموعة من الفنانين الفرنسيين والايطاليين مما كان له اكبر الاثر في الاشكال الفنيـــة لمجموعة الرواد • ولقد تتلمذ عليهم ايضا مجموعـــة اساتذة الفن المعاصرين مثل : عبد العزيز درويش واحمد صبرى وعز الدين حمودة وغيرهم ، ولقد اكتفى هؤلاء الفنانون ايضا بالاساليب الفنية الاوروبية التى ظـرت في اواخر القرن الماضى مثل التاثيرية والتعبيرية والتجريدية• ومما يؤخذ عليهم انهم لم يبحثوا في اعماق تراث حضاراتنا العظيمة • الحلقة الثالثة في هذه الاجيـــال • كانت هي البداية الحقيقية لتكوين رؤية مصرية تكاد ان تكـون خالصة • أو على اقل تقدير النواة لعمل تشكيلى مصرى • وكان ذلك على يد المرحوم الفنان عبد الهادى الجـــزار وزميله حامد ندا • لقد بدأ كل منهما بحثا حقيقيـــا في التراث المصرى الشعبي واضاف اليه رؤية معاصـــرة ، توالى بعدهما كثير من الفنانين الشبان المعاصرين الذين دأبوا على أبحاث تاريخية وشعبية مصرية مستفيدين فيها بتجارب الرواد والتراث المصرى ابتداء من الحضارة المصـــرية القديمة الى القبطى والاسلامى حتى المدارس الاوروبيـــة المختلفة •

وفي غمرة هذه الابحاث المضنية التى تحتاج لكـــل التركيز والدأب فان كثيرا من الضغوط والمتاعب تعـترض طريق الفنان التشكيلي •• مثل :

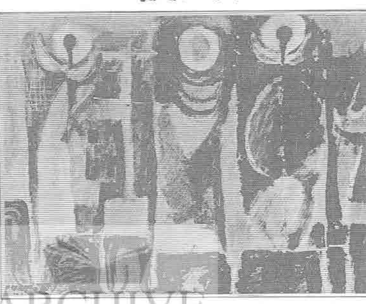
● **مشكلة تفرغ الفنانين :**

وقد بدأت بحماس شـــديد من المسؤلين وانتهت الى عملية تعذيب حيث يقف الفنان في موقف المتسول ممـــا جعل بعضهم يرفض هذا النظام متحملين ظروف عمـــلهم الصعبة على هذا الحال •

● **مراكز الابداع والتفرغ :**

وقد أنشئت في عدة اماكن مثل الفسطاط والســـنارى ووكالة الغورى وقصر المسافر خانة • كانت الفكـــرة في أولها هى محاولة وصل حميم بين ابداع العصور السابقة وخاصة القيم الفنية الموجودة بالتراث القبطى والاسلامى والشعبى ، ووصله بالحركات الفنية المعاصرة لكى تكون نبعا حضاريا يمكن أن يكون نواة لرؤية مصرية ، ولكن ما حدث لهذه الاماكن نستطيع أن نقول أنه يدمى القلب • لان الفكرة تجمدت ووصلت الى حالة سيئة • فمعظم هذه الاماكن تحولت الى مخازن لبعض كبار الفنانين • والبعض تحول الى مراكز للمبيعات للسائحين • وبذلك تجمـــدت

« من النوبة » .. زكريا الزيني





« العصـــر » .. عبد الهادى الجزار



الفكرة النبيلة بل استطيع أن اقول انها توقفت عن النمو تماما ولم يعد هناك مجال لفنان شاب جديد

● نظام المقتنيات :

ومن الغريب ان القائمين عليه مجموعة من الفنـــانين البيروقراطيين الذين يتمتعون بقدر كبير من الكـــراهية من معظم الفنانين الشبان ، وذلك لانهم يحكمون بدافع من النوازع الشخصية والمصالح الخاصة والمنافع المتبادلة ٠ وكان من نتيجة ذلك أن معظم الفنانين الشبان يقاطعون المعارض العامة التى يشترك فيها هؤلاء المحكمون ٠

● قاعات العرض :

لم يعد سرا ان قاعة العرض الوحيدة (اخنـــــاتون) الموجودة وسط المدينة والتى كانت مخصصة للعـــــرض الفردى تنازلت عنها ادارة الفنون الجميلة لكى تصـــبح « ملهى ليـلى » ٠ ولم تبق الا قاعة واحدة وهى مخصصة للمعارض الجماعية واصبح الفنانون الشبان في حيرة من أمرهم ٠ كيف يمكن ان يتواصلوا مع الجماهير في ظــــل الحصار المضروب عليهم ٠

● المتـــاحف :

هل يمكن أن نتصور انه لا يوجد متحف لاعمال الفنانين يضم المقتنيات التى دفعت فيها الدولة الاف الجنيهـات ٠ لقد تم هدم متحف الفن الحديث الذى كان تحفة في فـــن العمارة الاسلامية وفى احسن موقع في المدينة وتحـول مكانه موقفا للسيارات ٠ واستبدل بمبنى عتيق لا يعـــرف له عنوان في حى الدقى ٠ هل هذا معقول ؟!٠

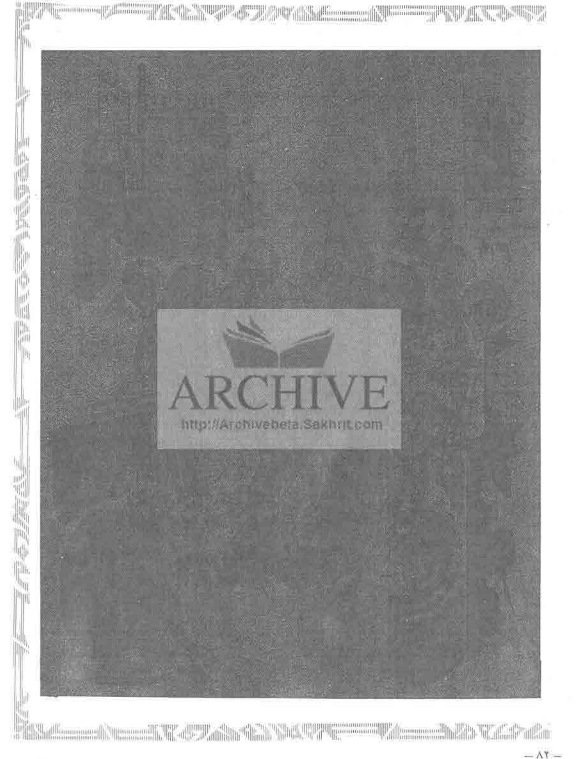
● المستنسخات الفنية :

لم يعد هناك شك في أن اوسع وسيلة للانتشار الفنى وبالتـــالى رفع الذوق الفنى العـــام بين الجمـــاهير هى طباعة المستنسخات بدلا من هذه الكروت السياحية القبيحة التى تسىء الى كل شىء ٠ الامر لا يحتاج الى اكثر من مطبعة تتولى العملية لتطرح الاعمال الفنية باسعار زهيدة للجماهير

● المعارض الخارجية :

وتسيطر عليها الاهواء الشخصية ولا يعرف فنان واحد ماهى القواعد التى تختار على اساسها هذه الاعمال المسافرة الى الخارج ، وكذلك المنظمون للمعارض والمصاحبون من الفنانين ٠٠ انهم مجموعة محددة لا يمكن ان يخرج عنها الاختيار ٠ بالطبع ان اكثر الفنانين شوقا للاحتكاك العالمى هم الشبان لكى يستفيدوا ويفيدوا ٠

واخيرا ٠٠ فهذا قليل من كثير من المتاعب والآلام التى يتعرض لها الفنان الشاب المعاصر ٠٠ ومما يبعث على الامل انهم مستمرون ينزفون عصارة قلوبهم وحياتهم من أجل لوحة جديدة ، وفي انتظار الغيث لكى يروى زهورهم ٠



مدينة الكلام

قصة بقلم : علي المك

(١)

في حجرتك انت والمذياع ، واشياء ، اثاث وكتب ، انت والمذياع من بين الكائنات التي بالحجرة يمكن لكما الكلام · وربما الغناء ·· في هذه الليلة قررت ان تترك شلة السمر والكلام الفارغ · ولماذا ؟ والمذياع ؟ ·· في هذه المدينة ان لم تغب عن الوعي لا يزورك النوم ·· لم يزرك النوم تموت ضجرا ·· وان صحوت ليلة ولم تغب عن الوعي ·· تم لك الانتصار وعلى ماذا ؟ أعلى نفسك الانتصار ؟ قوة العزيمة يا ولد ··· قوة العزيمة ·· قوة العزيمة ·

منذ نومة الظهيرة الهانئة والبطن متخم والمذياع انيسك ، اغنيات اعلانات ·· واخبار وكلام في السياسة هذا كله حسن ولكن ؟ فجأة يقطع المذيع الاغنية ليقول ان هناك مريضا بالمستشفى يحتاج دما بصفة عاجلة ·· واين بنك الدم ؟ ·· بالمناسبة ما هي فصيلة دمك ؟ ليس مهما ·· ليس مهما ·

(٢)

احتدم الشجار في الشارع ، ضرب رجل حتى فقد وعيه ·· ليس هذا هو الموضوع فانه قد فقد وعيه قبل ان يضرب ويطعن ·· فانت امام فقدان الوعي في هذه المدينة ليس لك سوى طريقين اما ان تفقد وعيك أو أن تفقد وعيك جدا ·· ولا يعلم احد حتى هذه اللحظة كيف احتدم الشجار ·· ولكل شجار في مدينتنا عناصره ·· ومن أهم عناصر الشجار في المدينة هي ان يكون هناك شارع ، وان يكون الطقس حارا فتضيق به النفوس كما يضيق الشارع بالسيارات والسابلة · الشارع في مدينتنا هو اهم المسارح واكثرها رحابة ·· ولانه مسرح فعليه ممثلون وحوله نظارة ·· وما اكثر هؤلاء واولئك ·

ماذا كان السبب ؟ ·· هذا رجل فاقد الوعي واحس بطعنة سكين ونزف دمه ·· وليس هناك من يعلم السبب ·· راسه تدور والدم ينزف ·· طعنه رجل واحد ·· مشاجرة ·· وعثروا على السكين ·· قطعة حديد مجرمة ولم يجدوا لحاملها اثرا ·· كل انسان ابصر بالمشاجرة جاء مسرعا ومن لم يبصروا بها جاءوا عجلين ايضا وامتلأ مسرح الحادث بالحادث وابطاله وجمهوره ·· تعالوا نتفرج ·· فاض الشارع بالناس وتجمدت السيارات في مواقعها ليس هناك من يستطيع ان يسير · ابواق السيارات تصم الآذان ·· والبوليس لم يحضر ·· اين هم رجال البوليس ؟ اتصل بالتليفون ·· ايعنيك هذا الامر في شيء ؟ كلا ·· كلا اذن فلتخرس ·

(٣)

من قال ان المستشفى لا تعني بغير الاثرياء كذب وما صدق ·· والسبب بسيط : ليس هناك ثري واحد ياتي لمستشفى الحكومة ·· ثم ان الأثرياء محصنون فلا ياتيهم المرض ولا تصل السكاكين الى بطونهم ولا صدورهم ·

يفكر الرجل الطعين ·· والله نحن من الفقراء ·· لا بل الاكثر فقرا ·· حتى دمنا نجود به ونطعن في الطريق وننزفه قطرة بل قطرات ·

(٤)

في المذياع الانباء ·· « هناك مريض بمستشفى أم درمان ·· يحتاج دما ، نهيب بالمواطنين التبرع بدمائهم ·· الخ ·· » ولماذا يستبد بك القلق ، وتنهض من رقدتك الآمنة المطمئنة ·· الحشية تحت جسدك صارت دافئة لكثرة ما رقدت عليها اليوم ·· العزيمة القوية ·· تعرف لن اذهب للسوق الليلة ولن اقابل الصحاب ·· تفكر ·· لقد سئمت جلسات الاصحاب والاكل والشراب والكلام ·· ليلة امس كان الحديث عن ارتفاع اسعار الشراب ·· وانكم لهذا مغضبون ، وهل غضبتم لارتفاع اسعار اللحوم ؟

اول امس تحدثوا عن كرة القدم ·· تصور ساعتين تفكر ولم البقاء في البيت الليلة ؟··

(٥)

رجل نزف حتى فقد وعيه ، طعنة سكين ام موسى ، أم لطمة حادة ·· رجل نزف حتى فقد وعيه ، هذا رجل فقد وعيه مرتين ·· الاولى باختياره ، والمرة الثانية بغير اختياره ولا هواه ·

فقد طعنه شخص لا يعرفه ·· جمع بينهما الشارع ·· تعلم ان شوارع المدينة ، وهذا الشارع بالذات يغرى بالشجار ·· لم يظهر من رجال البوليس احد كل رجل كان بالمقهي جاء وحضر ، ولم يأت رجال البوليس ·· الحمد لله المستشفى قريب ·· سيارة تاكسي حملته الى المستشفى ·· كانت سيارة صغيرة ، والرجل الطعين ضخم وكبير ·· قدماه غليظتان وحذاؤه غليظ ·· بم يمكن ان يتحمل ما فيهما من لحم وشحم واعصاب وتعب ومشي وهرولة وركض ·· وتلك هي الحياة · حشروه في عربة التاكسي حشرا ·· انطلقت ·· افسحوا لها طريقا ·· يا جماعة افسحوا الطريق ·· خلو مكانا للهواء فيسير فيه حرا ·· على منضدة طويلة في حجرة المستشفى جعلوا ذلك الرجل الكبير العريض ·· ودمه ينزف ·· تجمهر الناس في المستشفى من جاءوا يطلبون الشفاء ، واخرون من السابلة اولئك الذين تحس أنوفهم الخطر فيندفعون عليه ، والطبيب لم يكن قادرا على فعل شيء في التو واللحظة ، والعمل بين يديه كثير جدا ·· لماذا يصيب المرض الناس بالليل وليس بالنهار ؟ ايتضاعف الخوف من الموت في الظلام ·· ام ان يفكر الطبيب ، ويسأل نفسه : كم من المال تقبض اخر الشهر ، تسهر الليل ، وتقيمه ، وينام اخرون ملء جفونهم ويشخرون ويحملون ويسمرون وو ·· انت ههنا ترى الموت يأتي بين يديك ·

(٦)

افتقدوك وكما يفتقد في الليلة الظلماء البدر ، تضحك ·· لفظوك أم أنت قد لفظتهم ؟ وحدك الليلة مع المذياع والاربعة الجدران · هاقد حان موعد السمر ، ربما تظهر على وجهك البثور ، وتحمر عيناك ·· « العيون التي تشبه الجمر » يحبها الناس ، على الاقل يتغنون بها ·· وقد تحك جلدك حتى يدمى ، اهذا هو الادمان ام هي العادة ؟ عزيمة قوية كالحديد ·· على الأقل الليلة ، ومتى كان الحديد قويا كالعهد به ؟!·· صه لا تحاسب نفسك على كل كلمة تقولها لنفسك ·· المذياع يكرر النداء « هناك مريض في مستشفى امدرمان ·· » انظر الى حذائك هو حيث هو يبدو ثقيلا كبيرا ، كيف بلله تحمله قدماك ، وتسيران به ، تسرعان وتبطئان ؟ والقميص ·· والجوارب ·· وو ·

(٧)

ويندفع الطبيب مسرعا يريد أن يبلغ الحجرة ، والطويل العريض قد اصاب راحة على المنضدة الطويلة ، والدم من جرحه ينزف مثل النوافير ·· للدم رائحة ولون · في صالة المستشفى الكبيرة خليط عجيب من البشر ·· باعة تسالي وسجائر وآخرون لا يحملون شيئا ليسوا من الباعة ولا هم بمشترين ·

« اخذته بعربتي التاكسي الى المستشفى ولولا لطف ربنا لمات في الطريق » قال أحدهم ، وردد اخر « مروءة ولا شك ولكن لم تنتظر ؟ هل تريد اجرة التاكسي ؟ ولم يرد عليه الاخر نظر اليه بازدراء ·· وصمت الجمع المتنافر ·· تهيأت كل الظروف لمشاجرة اخرى ·

(٨)

من الذي يجود بدمه ؟ ان أهل هذه المدينة لا يجودون بشيء سوى الكلام اسمعهم « الدم فداء الوطن » · والساعة يشرف مواطن على الهلاك ·· وانت ، لاول مرة تحس أن الحجرة التي تعيش فيها تضيق عن آمالك وطموحك ، تضيق حتى بأثاثها القليل تريد أن تلفظه ، آه في راسك مطارق تدق ، تحك راسك ·· تبدأ بالرأس ثم تبلغ القدمين وكل اعضاء جسدك فم يصيح ·· لن أسمر ·· العزيمة ·· امسي حبل المصباح السابح في سماء الحجرة مهبطا للذباب فيه وبه ما يشاء : الذباب ، وقد ترك اثاره على الحبل ، وانت لا تستطيع فعل شيء ·· قم الآن ·· انهض ولتقدم على عمل مفيد ·· تبرع بشيء من هذا الدم الفاسد ، الستم جميعا في هذه المدينة الخاملة اهل المروءة والنبل والكرماء ؟ « اهل الدروع والخيل ·· » ام هذا من بعض الغناء ؟· اسمع ، كل تضحية ولها رجال ·· يبدأ الحك في الراس اولا وتسمع العصافير في راسك ، مثلما هي تغرد فرحة لفوزها بكوز من الاذرة في حقل اخضر ، وهي لهذا تحتفل بما قد اصابت من الغنيمة السهلة ·· ولماذا تهتم بمريض لا تعرفه كل هذا الاهتمام ؟؟·· الوف غيرك سمعوا هذا راسك ، وانت لا تريد شيئا سوى ان تنام · يا لعدالة الطلب !

هل بقى فيك دم فتجود به ؟ يردد المواطنون الهتاف في الشوارع دائما : « بالروح بالدم ·· بالروح بالدم ·· » كلام والسلام ·· دع الفلسفة لأهلها ·· العصافير العصافير ·· العصافير ·

(٩)

رجل يفيق رجل طعين مجهول يرقد حيا بما بقي من دمه ·· يفيق بقدر ما يسمح له باستشعار الالم والعذاب ·· كان مبسوطا وسابحا في الهواء ·· وصـــل مرتبة عـــلوية وســـمى على كل شيء ·· كان يحـــس انه مثقوب وان الدم من جرحه يسيل بلا حدود ·

(١٠)

في قاعة المستشفى أمسى الناس كلاما ·· ليس هناك من يسمع أو من يجيب :

ـ المسكين ضـاع كل دمه ··

ـ اللهـو والعربدة ·· لا حول الله

ـ من الذي طعنه ؟

ـ اسالوا البوليس ··



ـ هع ·· البوليس لا يتحدث بلغتنا حتى نساله ·· ابعد عن المشاكل ودع الخلق لخالقها ·

ـ تعرف حملت المسكين حتى هنا ·· انظر ملابسي كلها دماء ··

ـ اسمع المسالة فيها موت أحمر ·· هيا نمشي ··

ـ مسالة موت ، ملابسي عليها دم وانا لا أعـــرفه والله لا اعرفه ·· المروءة ·· حملتــه في التاكسي لوجه الله ·· لوجه الله ·· والله العظيم ·

ـ مسكين السائق مذعور ·· ولكن عنده فرصـــة حسنة لو هرب قبل وصول البوليس ·

ـ البوليس دائما ياتي لاعتقال الابرياء ·

ـ صه هؤلاء اصبحوا أصدقاء الشعب ·

ـ لو كان الامر كما ذكرت فليطمئن السائق

ـ البوليس لن يصل ·

ـ يمـــني ··

(١١)

ولـــماذا المذياع والنداء ؟ لم لا يتبرع هؤلاء المتفرجون بما يمكن ان ينقذ حياة هذا المسكين ·· كل رؤسهم تعمل وتفكر وكأنهم متفقون « دم ! كله الا هذا ·· فينا ما يكفي حياتنا بالكاد ·· ولـــماذا نجود ببعضه ··؟ ولم ؟ » ·

(١٢)

يبدو الحذاء ثقيلا امامك ، والعصافير تعشعش في داخل راسك ، والراس يتعاظم ويتثاقل فوق كتفيك ·· « يا عالم طلب وعادل : أريد أن أنام ·· » تفكر ·· تنام تعتمد راسك بين يديك ، لو نهضت سقط راسك عـــلى الارض وتكسر ·· الموءة ·· المـــروءة ·· قطـــرة منه تقتل فيلا او ديناصورا ·· دمك ملوث ، انت ليس فيك دم· المذياع هذا الفضولي مثل انسان ·· تخاطبه بعد أن خمد صوت المذيع في اصابعك : « ولـــماذا لا تتبرع انت ·· » ·

حذاؤك يتضاعف امامك فيبدو لعينيك غليظا كبيرا ·· اين هم الصحاب ؟ انت تعـــرف اين هم ·· « رفـــاق الوعي المفقود اين هم ؟ » اذهب اليهم ، سبقوك الى فقدان الوعي ·· أم تمضي للمستشفى ، بدمك تجود ·· دمك المسموم الفاسد « بالروح بالدم ·· بالروح بالدم ·· « الهتاف ·· » عاش يسقط يموت ·· يحيا الوطن ·· « الهتـــاف ·· » ·

منذ ان ولدتك فهي مدينة الكلام وهذا الطـــــويل العريض في المستشفى ·· اينقص اهل المدينة عـــددا ، أم تخفت ضجة الكلام في المدينة ان هو قد مات ؟ ·



غادة السمان:

بيروت

كان نصف جسدها من ثلج
والنصف الآخر من نار
وكان لا مفر من ان تحترق بيروت

عبد الله الشيتي

كعادتها كلما زارت الكويت ، زيارة خاطفة « تستريح » معها من عناء التجوال بين الحرف والحرب ·· جاءت هذه المرة وهي تحمل عار حرب عربية اليمة مؤسفة تدمر لبنان الصغير شر تدمير ·

انها الاديبة العربية الكبيرة غادة السمان ، صاحبة اشهر المؤلفات القصصية والروائية : « عيناك قدري » ، « لا بحر في بيروت » ، « ليل الغرباء » ، « بيروت ٧٥ » ، و « اعلنت عليكم الحب » و « حب » و ·· و ·· « اظل الهث وراء الغجرية الضائعة في اهابي » ·

ويكون السؤال ، فاتحة الحديث الشهي ، مع الاديبة الموهوبة ، الفنانة ، المثقفة الذكية ·· جداً والمختبئة العينين وراء نظارة شمس :

● هل تعبت الغجرية الضائعة فيك ، ام انها انسلخت عنك ؟

تشد نفسا طويلا من سيجارتها محترقة الانفاس · تزفر زفرة كاوية · تجيب بأسى :

ـ آه ، كيف اسلخ « الغجرية » عني ؟ كيف امنع مطر الالوان من التدفق في داخلي ؟ كيف اسكت ذلك الصوت الصارخ في اعماقي كصهيل فرس أبيض على شاطىء بحر مجنون الصخب · كيف اقص اجنحة نزواتي الطفلة والشريرة في آن معا ؟ كيف اغادر « صدفة » المفاجأة لاسكن قصر الرتابة ؟·

● اقول لها : يا غادة · الجميع ـ تقريبا ، يهربون من جحيم بيروت في هذه الايام ، وانت تعودين الى ·· الجحيم ؟ كيف ؟

تجيب : حينما يهجر الجميع الباخرة الغارقة ، لا يبقى فيها غير الربان ·· والعاشق ·

وانا اعشق تراب لبنان العربي ، وأعود · لان الهرب ليس حلا · وقوارب النجاة لا تولد الا في رحم العطاء · ما يحدث في لبنان هو « وجع عربي » ! والتخدير في حانات اوروبا لا يلغي المأساة التي نشارك فيها جميعا ·

من أجل أن تشرق شمس الفرح والحرية ، لابد من محاربة متاريس التخلف في شوارع وأزقة المدن العربية كلها ·

المعركة الان في بيروت ، التي طالما منحتنا · والآن جاء دورنا لنمنح وطننا العربي عبرها · ولنمد نزفه العظيم بدمنا عبر شريان بيروت الدامي النازف ·

وحينما تزدحم في عيني اطلال بيروت ، اسمع كلمات صديق خليجي قال بحنان : ستنهض بيروت من كبوتها سريعا · كما نهضت برلين بعد الحرب ـ مع الفارق في الاسباب ـ حيوية الشعب اللبناني العربي ستكون خميرة النهوض من الكبوة ·

تمنيت ·· ولكن !!

وأنحو في الحديث معها منحى آخر ذاتيا · اقول لها :

● شخصيا ، وبرغم مالي من مؤلفات وقصص ونتاج ادبي وصحافي ، تمنيت ان أوقع نتاجك الرائع (بيروت ٧٥) الذي تضمن نبوءتك الذهنية بدمار بيروت · ترى ما وقع صدق النبوءة عليك الان ؟

تقول غادة من خلال بسمة شاحبة حلوة :

ـ أشعر بهلع عرافة صدقت رؤياها الدامية في كرتها الزجاجية الحمراء · أشعر بحزن ناسك عمره الف عام استطاع في ومضة رؤيا كالبرق أن يحدس مصرع (سدوم) و (عمورية) العرب ·

ولا أشعر بالزهو ! عملي ككاتبة يتطلب مني أن أرصد الواقع ، وأتجاوز تفاهات حياتي اليومية لأعى الحياة اليومية لمدينة كان نصف جسدها من ثلج ونصفه الاخر من ·· نار ! وكان لا مفر من التمزق الدامي ·

● والامل ··؟ هل يبرق ومضه في عينيك ·· الان وسط هذه الكآبة من حولنا ؟

ـ اشعر بخيط رفيع من الامل يشق طريقه وسط هذا الزحام الهائل من الدمار · فالنار التي احرقت بيروت قد طهرتها ايضا · وتجربة بيروت مع التبديل هي « كنز » للعرب جميعا يتعلمون من أخطائه ويعون



غادة السمان :

مدلوله · انها مخزون تاريخي نادر ، اذا عرفنا كيف ندرسه · دفعنا ثمنه حتى الان عشرين الف قتيل ، ومليون مقتول نفسيا وروحيا ·

حين كتبت روايتي « بيروت ٧٥ » كان شيء كدبيب النمل يجتاح دماغي من الداخل · كانت اصوات مروعة تصرخ في أعماقي ·· وكان أبطالها ينبتون على اصابعي مذبوحين صارخين صيحات الثورة والالم والجنون ·

في روايتي الجديدة « كوابيس بيروت » ـ لم تطبع بعد ـ امتداد للرؤيا في « بيروت ٧٥ » ·· ولا ادري اذا كانت ستصدق فيها رؤيتي الجديدة للمستقبل كل ما أدريه هو انني حين كتبتها كنت ممددة على طول الدهر كمرآة عملاقة مرهفة كجرح ·· ومسترخية كاعشاب البحر ، وقد شرعت (انتيناتي) وارسلتها في ليل العذاب العربي ببيروت ·

● و ·· الحصيلة ·· يا غادة ؟

ـ لا ادري ·· كالعادة اترك الحكم للقراء ·

ما من امرأة عادية

وعن المرأة ·· الانثى يجيء سؤال على شفتي ·
● اعرف عنك زهدك بالمرأة العادية ، جلسة ، ومحادثة ، واهتماما ·· الا فيما ندر · انت امرأة . وتفرين من المرأة ، مع دفاعك عنها ·· بالقلم ! ممكن تفسير هذا الذي اشتهر عنك ؟

تضحك للسؤال · تجيب بمرح طفولي :

ـ لست زاهدة بمعرفة المرأة (العادية) الا انني اعتقد انه ليس في الدنيا انسان (عادي) بمعنى الرتابة والتكرار · كل امرأة هي كنز عطاء متميز وفريد ·· النساء (العاديات) المجهولات اللواتي يعشن بصمت ويمتن بصمت وحياتهن سلسلة من العطاء اللامتناهي ، من خميرة امتنا العربية وأملها · لكنني زاهدة فعلا باية جلسة (ثرثرة) عادية حول تفاهات يومية صغيرة سواء أكانت (بطلاتها) من النساء ، أو من نجوم المجتمع ، أو نجوم الادب ذكورا ·· واناثا !

انني مهمومة بظواهر اكثر اهمية بالنسبة الي ككاتبة جادة تعي جيدا انه في كل دقيقة تصدر عشرة كتب في العالم وعلى أن اقرأها كلها ·

آه لو استطيع !

● ماذا عن (حازم) وحيدك الصغير الذي ينمو وسط غابة القتل والدمار في لبنان · أية « هوية » يحمل الان ؟

ـ وحيدي حازم (٥ سنوات ونصف السنة) يحمل الهوية اللبنانية العربية ·· انه عربي · قدره ان يكون من جيل المعركة في مواجهة تحديات العصر والعالم ومآسينا المحلية ·

اتأمل جسده الدقيق الابيض كحلم ، واعرف انه منذور لزمن النار والكفاح ··

كل ما اتمناه له ، هو أن يختار حياته وموته بحرية ، وان يكون عربيا ·· حتى الثمالة !

غادة قبل وبعد الزواج

اعرف عن غادة انها سرعان ما تضيق بالاسئلة والاجوبة ، لانها تريد أن (تتحرر) في كل لحظة ، من كل تبعة والزام ، باستثناء تبعة الوطن الجريح والتزام الحب والحياة معا ··

انني اسألها سؤالي الاخير :

● غادة السمان بعد الزواج وغادة قبله ·· لماذا لم تتبدلي ؟

وسارعت هي الى القول ·· بحزم :

ـ ولماذا اتبدل ؟ وهل من شروط الزواج ان يزيف الانسان حقيقته ، ويرتدي قناعا غير وجهه ؟ تلك لعبة لا اتقنها ·

يوم تزوجت لم اخدع رجلي (زوجها الدكتور بشير الداعوق رجل الفكر والناشر اللبناني المعروف) ريثما أوقعه في (فخ) الشرعية ·· عريت أعماقي له وقلت له من أنا ، وما انا ·· لم اكذب · ولم أخف !

ولذا فانا لست مضطرة لدفع ضريبة الكذب مقابل الحصول على ·· زوج !

قلت له كما اقول لاصدقائي جميعا : هذى انا ·· بالجحيم في ذاتي وبالجنة ·

اقبلوني أو ·· ارفضوني !

خذوني الى قلبكم أو ·· اطردوني !

ولكن لا تطلبوا مني أن أزيف ذاتي لانني لا استطيع ·· لا أستطيع ·· لا أستطيع ··!!!



ما هى العلاقة الحقيقية بين المخرج والممثل ؟

لقد سبق الممثل المخرج في الوجود يوم كانت قيادة العرض المسرحى في يد الممثل الاول · كان هو نفسه المخرج · كان هو نفسه مدير المسرح ، اذ لا يخفى على أحد أن تاريخ المسرح ينقسم الى ثلاثة أدوار · قد يعود التاريخ فيعيد نفسه : مسرح المؤلف ، وكان له زمام العرض وقيادته · ومسرح الممثل الاول ، النجم ، وكانت له قيادة العرض المسرحى · وبظهور المخرج وراء الكواليس أو على خشبة المسرح بدأت مشكلة ما اذا كان على « المخرج » ان يختفى وراء الكواليس وان يموت فور رفع الستار على حد تعبير « ستانسلافسكى » أو أن يتصدر خشبة المسرح ، ليعلن في كل لحظة عن نفسه من خلال الممثلين والديكور ، والاكسسوار والاضاءة ، والموسيقى التصويرية ، والمؤثرات الصوتية وما الى ذلك من عوامل مساعدة أو أساسية في خلق العرض المسرحى ، حتى لقد انتهى الجدل في كثير من النظريات التى تعتبر نظرية واحدة في الواقع وهى أن المخرج هو « مؤلف » العرض المسرحى وأنا أضع كلمة « مؤلف » بين قوسين ·

غير أنه في زحمة النظريات ، وفي تخبطها وفي تصادمها وفي اصطراعها ، يبدو الكثير عند التركيز قليلا جدا فتنقسم الزحمة الى اتجاهين أساسين :

هل الممثل كائن خلاق من خلال العرض المسرحى ، أم هو محض لعبة أو دمية أو قطعة شطرنج في يد المخرج الذى يقال انه (مؤلف) العرض المسرحى ؟

ان عبارة « المخرج هو مؤلف العرض المسرحى » تعنى في الواقع المصادرة



على المؤلف الحقيقى الذى يشكل قوام العرض المسرحى والمصادرة عليه لحساب شخص آخر أسندت اليه عملية اخراج النص المسرحى ٠ تلك العملية التى كان يقوم بها في فترات من التاريخ المؤلف نفسه مرة ، والممثل أو النجم مرة ثانية ٠

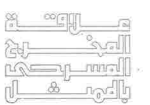
هنا بالذات تثور قضية رؤية المؤلف ورؤية المخرج ٠ ولكن المؤلف المعزول عن المسرح والمطرود منه تاريخيا وجغرافيا أيضا لا رؤية له ٠ اذ لا يمكن التنبؤ برؤية مسرحية لم تتجسد بعد على خشبة المسرح - رؤية المؤلف توجد يوم يصبح المؤلف هو المخرج وليس العكس وبالتالى فالمقارنة بين رؤية مؤلف معزول عن الاخراج أو محروم من الاخراج وبين رؤية مخرج لا يجيد التأليف ، ولكن الفرصة متاحة أمامه لاخراج نصوص الآخرين تصبح المقارنة بين رؤية مؤلف لم تتجسد بعد ورؤية مخرج مجرد مهزلة ٠

ان هذا يجوز عندما يقوم المخرج باخراج نص ما ويوم أن يقوم مؤلف النص باخراج نفس النص في وقت واحد ٠ أما دون ذلك فالمقارنة باطلة بل مستحيلة ولا امكان معها لحوار ٠

ولهذا يتخبط النقد هذا التخبط الشديد ترديدا للتخبط النقدى في أوربا الشرقية والغربية على السواء ٠

ولا نجد نحن طريقنا الى النور ، لاننا لا نعيد التفكير في البديهيات التى يتحتم علينا أن نعيد فيها التفكير ٠

ان العرض المسرحى هو محصلة جهود جميع الفنانين المشتركين في العرض ، من المؤلف ، والمخرج ، مصمم الديكور ، وواضع الموسيقى ، والمؤثرات الصوتية الى آخر العناصر الاساسية والثانوية التى تشكل مايسمى



بالعرض لمسرحي ، ولكل منهم رؤيته ، ولكل منهم منهجه وأسلوبه وطريقته ·

محصلة هذا كله تضع الشكل النهائي أو مجمل الشكل المسرحي · ليسوا دمى ولا أدوات ولا قطعا من الشطرنج · انهم كائنات حية خلاقة فنيا ، يضيفون الى المضمون والشكل بقدر ما يملكون من طاقات · وتوحد كل هذه الرؤى الخلاقة ، كل هذه الجهود الخلاقة كل هذه الطاقات المعطاءة ، توحدها رؤية عامة هي رؤية المخرج · انه أشبه بمايسترو · انه خالق الانسجام والتضاد بين عناصر العرض المسرحي وصولا الى ما يتصور انه رؤية المؤلف ، تلك التي لا يمكن تخمينها بدون قيام المؤلف نفسه باخراج النص نفسه ، وبلا اصطناع بديهي مادام المؤلف قادرا على الاخراج والتمثيل كشيكسبير ، وسوفوكليس ، وآيسخيلوس ، وموليير ، وبرخت ، وبيراندللو دونما ترتيب ·

ان لعبة احلال « المخرج » محل « المؤلف » وطرد « المؤلف » من المسرح هي لعبة طرد المسرح من المسرح ، هي لعبة المسرح للمسرح · هي لعبة الفن للفن ، تلك الافعى الخبيثة بل الحرباء القادرة قدرة خارقة على التلون في مدى العصور الانسانية بينما الجلد واحد والناب واحد والسم في الدسم ·

ومن المؤسف ان كثيرين في عالمنا العربي وبالذات من الواقعيين ، بشروا بهذه الاكذوبة ومهدوا لها ورفعوا شعارها افتراء على المسرح وعلى المسرحيين ، بينما ظلت عناصر أخرى تحاول من اجل كشف اللعبة ·

والصعوبة كانت متمثلة — ومازال — في أن تلك الاهداف كانت تسير تحت شعار الواقعية الاشتراكية · ألم أقل ان علينا ان نعيد النظر في البديهيات وان نراجع ميزانيتنا النقدية للسنوات العشرين المنصرمة لنعرف « الجريمة » التي ارتكبت بحق المسرح وبحق الممثلين · ثم لماذا المسرح فقط ؟ ان مراجعة بصيرة لتاريخ المسرح العالمي تؤكد لنا أنه الترمومتر للحياة الثقافية في أى جيل ، أى عصر ، وأى بلد · ان ضرب الثقافة يبدأ دائما بضرب المسرح باعتباره أبا للفنون ومجمعا للروافد الثقافية · وأية نهضة ثقافية تبدأ دائما بالنهوض بالمسرح · وأية ثورة لا تعتني بروافد الثقافة بقدر ما تعتني بمصبها : بالمسرح · عندما يختفي المسرح من الحياة الثقافية تنحدر الثقافة الى الشلل ، والسكون ، والجمود والموت · وعندما يبدأ النبض في المسرح يبدأ النبض الثقافي في كل الروافد · هل من المصادفة أن الثورة الفرنسية كجميع الثورات في العصر الحديث (ودعنا من العالم القديم) بدأت ببيانات سياسية واجتماعية واقتصادية جنبا الى جنب وفي نفس الوقت مع البيانات المسرحية ؟ هل لدينا نقاد أو مؤرخون ؟

واذا كان لدينا فلم لا يتذكرون ؟ واذا تذكروا فلم ينسون ؟

● لنعد الى العلاقة بين المخرج والممثل ·

هناك اتجاهان في التمثيل : الاتجاه الاول هو التمثيل الذى يعلن أنه تمثيل · والممثل الذى يقول لك في كل لحظة انه يمثل · هو استعراض التمثيل · هو التمثيل الذى يشعرك دائما بأن الممثل يخاطب طرفا ثالثا — الجمهور — ولا يخاطب فقط الشخصية التي تقف أمامه او التي يشترك معها في حوار في لحظة معينة في مكان ما · التمثيل الموجه ·

وهناك الاتجاه الآخر والمعاكس تماما : التمثيل الذى يخفى أنه تمثيل · الذى يختفي فيه الممثل لايهامك بأنه يعيش لحظة زمانية معينة، في مكان معين ، في عصر معين دون ان

بيت الله :

دب الخلاف يوما بين هارون الرشيد وزوجته فاقسم الا تبيت ليلتها في مملكته واقبل الليل ·· وتعسرت الامور وتعثرت الحلول فذهب القوم الى الامام ابى حنيفه يستفتونه فافتى ابو حنيفه بان تبيت الزوجة ليلتها في « المسجد » فهو بيت ملك الملوك الذى لا يخضع لسلطان هارون الرشيد !

يشعرك بأنه يشعر بك مـــع أنك في هامش الشعور ان صح التعبير ، ودون أن يشعرك بأن الكلام موجه اليـــك كمتفرج ـ رغم أنه موجه اليك ـ انك تنظر الى الممثل كما لو كنت تنظر ، من ثقب الباب ، عـلى انسان يتصرف بحرية ٠٠ يستحم أو يحـلق ذقنه أو يغني أو يرقص أو يشتهي أو يحب ٠ اذن ليس التغريب من وضـع برخت ولا هو بجديد ـ وهذا حديث آخـر يطول شرحه ـ وانما هو قديم قـدم المسرح قبل برخت ٠ غير أننا درجنا على ماربانا عليه نقاد الغرب والشرق من مصطلحات مسرحية لم تتفق نحن فيما بيننا عليها ، ولم نشارك في وضعهـا وانما تلقيناها دون مراجعة ، وطبلنا وزمرنـا دون أن نخفي ذقـونـا ، وصدقنا الصغار من القراء ٠

● ولكن متى تبدأ العـــلاقة بين المخرج والممثل ؟

انها تبدأ منذ بدء العلاقة بالمؤلف ٠ فتوزيع الادوار يشكل ثمانين في المائة من عملية الاخراج مهما كان بعد ذلك مكان العرض أو الامكانيات المتاحة ٠ يمكن أن يقوم العرض المسرحي بعـد التوزيع الموفق للادوار دون خشبـة مسرح بالمعنى الكلاسيكي ، يمكن أن يتم العرض المسرحي في غرفة أو صالون أو مقهى أو ناحيـة أو ميدان ، أو نادى ٠ وهذا يؤكد أولويـة المؤلف والممثل بالنسبة للعرض المسرحي ٠

كلمات للتامل

● ان حقنا في التمتع بالسعادة دون أن نقوم بانتاجها ، لا يزيد على حقنا في التمتع بالثروة دون انتاجها !

برنارد شو

يقتل المظلوم ويعـين الظالم بأكله

على عهد الخليفة العباسي المـامون ، كان الوزراء ، ورؤساء دواوين الخراج ، والرسائل من الموالى المتعربين ، من الفرس والروم ، وكانوا جميعا كتـــابا في اول امرهم ٠ وكان العرب ينظرون الى الكتابة نظرة غير كريمة ، باعتبارهم عنصرا يمتاز بالقوة والفروسية ، وله حق السيادة والامتياز وقليلى التجربة فيما يتصل بممارسة السياسة ، وتدبير الدولة وكان هؤلاء الكتاب الموالى بارزين ، بلغـاء ، ومشهودا لهم بكفايتهم ٠

وكان المامون حريصا علىا ختيار عمـــاله من بين الاكفاء الذين يعملون معه ، وكانت له مقدرة عظيمة في هذا الاختيار ٠ وكان بارعـا في اخفاء معايبهم ، ومداواتها ، ليستفيد من كفايتهم في نواح أخرى كثيرة ٠

وبين عمال المـامون ، كان احمد بن ابى خالد الاحول ٠ وكان ذا كفاية عظيمة ، ولكن كانيه به نقيصة الشره الى الطعام ٠ وكـان المامون يعرف ذلك عنه ٠

وجه المامون احمد بن ابى خالد الاحول يوما الى رجل ، يطالبه بمال ، وأرسل وراءه عينا له ، لينظر ما يقوله للرجل ، وما يرد به الرجل عليه ، ويعلمه ما يصنع عنده ٠ ولما ذهب احمد بن ابى خالد الى هذا الرجل ، وكان يعرف شره أحمد الى الطعام ، أعد له غذاء فخما ، فاتى احمد على ما فيه من حار وبارد وحلو وحامض ، ومن ضمنه عشـــرون فروجا ، لم يدع منها الا عظما عاريا ٠ وازاء هذه الاكلة خفض أحمد مقدار ما يســتحقه المـامون ، قبل هذا الرجل ، الف الف درهم

وبلغ المـامون ما فعله احمد بن ابى خالد عند الرجل ، فلم يزد على ان قال : « ان أحمد ابن ابى خالد ، فيه جنسية من الكـــلاب ، فالكلب يحرس المنزل بالكسرة واللقمـة ، واحمد بن ابى خالد يقتل المظلوم ويعـــين الظالم باكلة » ٠

ولهذا اجرى المـامون على ابن ابى خـالد الف درهم في كل يوم لمـائدته ، لئلا يشـــره الى طعام احد ٠ وكانت رقابة المـامون لاحمـد كفيلة بمنع شره ، بالاضافة الى ما قدم له من بـــره ٠

يحكى ابن طفور عن المـامون ، انه قـال لاحمد بن ابى خالد :

ـ اغد علي باكرا ، لاخذ القصص التى عندك فانها قد كثرت ، لنقطع امور اصحابها ، فقد طال صبرهم على انتظارنا فبكر احمد بالحضور الى المامون ، وقعد بين يديه ، وجعل يعـرض القصص عليه ، والمامون يوقع عليها ، الى ان بلغ الى قصة رجل ، يقال له « فلان اليزيدى » فصحف أحمد الاسم ، وقال : « الثريدى » ٠

فضحك المامون ، وقال :

ـ يا غلام ، ثريدة ضخمة لابى العبـاس ، فانه اصبح جائعا ٠

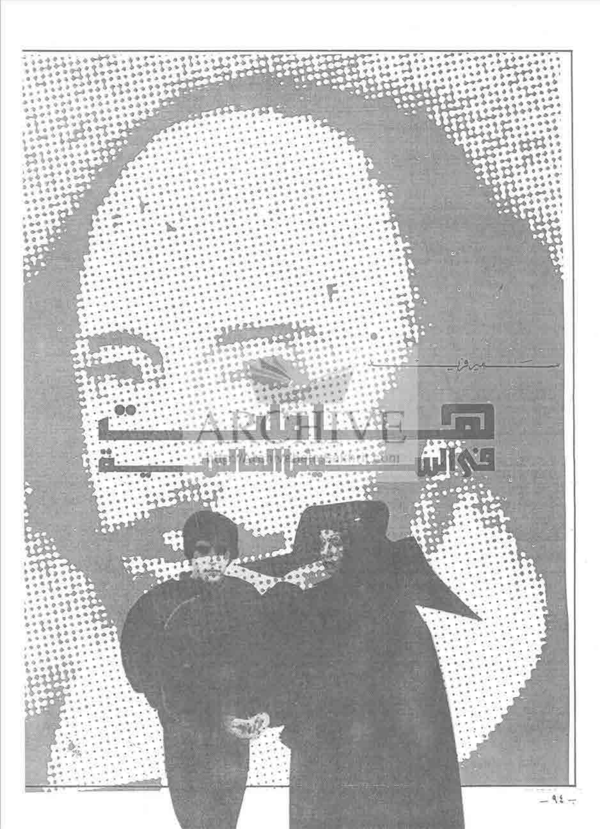
وكفا عن العمل ، واقبل احمد ياكل الثريدة حتى اتى عليها وغسل يديه ، ورجـــع الى القصص ، يعرضـها على المامون ٠ فمرت به قصة « فلان الحمصى » ، فصحف احمد الاسم ، وقال : « فلان الخبيصى » ٠

فضحك المامون ، وقال :

ـ يا غلام ، جاما ضخما فيه خبيص ، فان غداء ابى العباس كان مقبورا ٠

واكل احمد « الخبيص » ، حتى اتى عليه ، والمامون ينتظره ، ثم اقبل على الخليفة ، وقد شبع حتى التخمة ، واخذ يعرض عليه ما بقى من قصص الناس ، فلم يسقط منها حرفـــا حتى اتى على اخرها ٠

سليمان فياض



سمير فريد
هملت
في السينما العالمية



تعتبر مسرحية « هاملت » من اشهر واعظم مسرحيات شكسبير ، بل من اشهر واعظم المسرحيات جميعا · ولا شك ان هذه الشهرة ، وتلك العظمة كانت وراء اخراجها للسينما احدى عشرة مرة منذ عام ١٩٣٣ الى عام ١٩٧٣ · والى جانب ان « هاملت » كانت اول تراجيديا شكسبيرية تنتج للسينما ، فهي المسرحية التي اخرج عنها اكبر عدد من الافلام بين كل مسرحيات شكسبير ·

ان « ما كتب حول هاملت من شرح وتفسير وتحقيق ونقد وترجمة يفوق ما كتب عن اي عمل ادبي آخر · فما يكاد يمر عام دون ان يظهر تحقيق جديد للنص ، أو دراسة فنية له ، او تحليل لشخصية « هاملت » او ترجمة جديدة الى بعض لغات العالم · ويرجع ذلك الى طبيعة المسرحية نفسها ، ثم الى طبيعة شخصيتها الاولى ـ هاملت أمير الدانمرك الشاب الذي رسمه شكسبير على نحو يدعو الى كثير من التساؤل والدراسة » ·

اما « المسرحية نفسها فقد واجهت الدارسين والنقاد بنص طويل متشعب ينقصه بعض ما الف الناس في المسرحيات من تماسك ووحدة ، ويتضمن من الحوار الطويل ما يمكن ـ استجابة لمقتضيات المسرح من الاقتصاد والتركيز ـ الاستغناء عن بعضه عند التمثيل » · اما « شخصية هاملت نفسها فقد رسمها شكسبير على نحو فريد يثير كثيرا من التساؤل والاختلاف حول طبيعته ان كان سويا او شاذا ، عاقلا او مجنونا ، صحيحا او مريضا ، مقبول السلوك او مرفوضه ، فهو يعقد العزم على الثار لابيه ، ثم يدفع نفسه الى دوامة التردد والتسويف الغريب ، ويتصنع الجنون فيفرض على نفسه طريقة فريدة في الحديث ، ويتنكر لأوفيليا وهو يحبها أصدق الحب ، ويلجأ كلما تحدث اليها او عنها الى بذيء العبارة وجارح القول » ·

هاملت الامريكي

وقد اخرج اول فيلم عن المسرحية عام ١٩٣٣ ، وهو الفيلم الامريكي « هاملت » اخراج روبرت « ادموند جونز » و « مرجريت كارينجتون » وتمثيل جون باريمو · وكان باريمو قد مثل نفس الدور على المسرح البريطاني عام ١٩٢٥ فيما اعتبر « اول عرض مسرحي لهاملت على اساس التفسير الفرويدي » ذلك التفسير الذي طلع به ارنست جونز عام ١٩١٠ ، واوضحه في كتابه « هاملت واوديب » عام ١٩٤٩ على اساس ان هاملت « كان يعاني من عقدة اوديب وملحقاتها من شعور بالالم، وعجز عن قتل العم الذي يقوم في الواقع بالدور الذي كان هاملت في طفولته يتمنى ان يقوم به » وقد هاجم برناردشو عرض باريمو المسرحي هجوما عنيفا في خطاب مفتوح نشر على صفحات الجرائد عام ١٩٢٥ · ويعتبر الفيلم الامريكي تجربة في تمثيل دور « هاملت » على ضوء التفسير الفرويدي اكثر منه فيلما مكتملا ·

●●●

وفي عام ١٩٣٥ اخرج الفيلم الثاني عن المسرحية ، وهو الفيلم الهندي « هاملت » اخراج سوراب موري عن عرض مسرحي ·

●●●

وقعت الحرب العالمية الثانية ، وبالتحديد عام ١٩٤٨ عاد لورانس اوليفيه الى شكسبير مرة ثانية بعد أن قدم « هنري الخامس » عام ١٩٤٤ ، واخرج ومثل « هاملت » فيما اعتبر اول فيلم هام عن المسرحية ، وفتحا في عالم الشكسبيريات السينمائية · وقد فاز الفيلم عام ١٩٤٨ بثلاثة جوائز في مهرجان فينسيا ، و ٤ جوائز في مسابقة الاكاديمية الامريكية المعروفة باسم الاوسكار ·

يقول اوليفيه : « ان الوسيلة الوحيدة لتلقى شكسبير هو ان تجلس في المسرح ، وتتابع المسرحية · ان ربط المسرحية بالفيلم نوع من التضليل ، وفيلم « هاملت » في اعتقادي اقرب الى ان يكون مقالا عن هاملت ، وليس نسخة سينمائية من المسرحية » ·

ويتاثر اوليفيه في فيلمه بالتفسير الفرويدي للمسرحية فقد « استغنى عن الجواسيس من أصدقاء هاملت الذين يبثهم عمه الملك حوله ، كما استغنى عن التابع الذي يرسله بورلوينوس ليتجسس على لايرتيس في باريس ، وكلها تؤكد دور الاب الفاسد في المأساة ، وتبرز اهمية علاقة الابن بالاب لا بالام كما يذهب التحليل النفسي » ·

هاملت الهندي

وجاء الفيلم الثالث عن المسرحية عام ١٩٥٤ ، وهو الفيلم الهندي « هاملت » اخراج سوهاكيشوري عن عرض مسرحي ·

●●●

وبعد عشر سنوات ، وبمناسبة الاحتفال بمرور اربعمائة عام على مولد شكسبير عام ١٩٦٤ انتج الفيلم السوفيتي « هاملت » اخراج جريجوري كوزنتسيف الذي يعد اهم فيلم عن المسرحية الى جانب فيلم اوليفييه ·

يقول كوزنتسيف : « في رأيي ان كل فن كلاسيكي يتغير بتغير العصر فيجوس معاني جديدة بالنسبة لكل

جيل جديد · ومأساة هاملت تتضمن موضوعا حديثا في كثير من اجزائها ، ومن الممكن ان نخرجها اخراجا اكاديميا ، ولكني اعتقد ان شكسبير في حاجة الى تفسير جديد واصيل ، وكل جيل جديد يخلق بجهوده وجها جديدا لهذه الشخصية ووجها لتاريخها ، و « كلمة معاصر » بالنسبة لي لا تعني عددا من الحيل الاسلوبية ، فانا لا احب اخراج شكسبير في ملابس حديثة ، واعتقد ان من الممكن بل من الواجب اخراج اعمال شكسبير في ملابس العصر الاليزابيثي ، ولكن يتحتم ان يكون فهمنا للتاريخ وروح الشعر وصورة الانسانية حديثا وحيا تماما للمتفرج المعاصر · وقد كان شكسبير عبقريا في تعمقه للتاريخ ، وللطبيعة الانسانية في كل العصور · ويهمني ان يحترم فيلمي روح شكسبير ، وسأحاول فيه ان ابرز الشعور العام ، والفلسفة العامة للشعر ، ولكن لن استخدم التعبير المسرحي ، وانما التعبير السينمائي » ·

وعن فيلم لورانس اوليفيه يقول كوزنتسييف انه فيلم « حبيب الى نفسي وانا شديد الاعجاب بهذا الفنان ، الا ان لي « هاملت » الخاص بي في قلبي ، شاني في ذلك شان اي انسان آخر ، وهذا نتيجة الظروف التي اعيشها » ·

اي زمان في الماضي

والواقع ان مواضع الخلاف بين فيلم اوليفييه ، وفيلم كوزنتسييف ، اكثر من مواضع الاتفاق · بل انهما يتناقضان تماما من حيث التفسير والاسلوب ، ولا تتجاوز مواضع الاتفاق بعض الحيل الفنية البحتة مثل فصل المونولوجات على شريط الصوت فقط دون ان تتطابق مع شريط الصورة ·

يقول أوليفييه « قررنا ان يكون الديكور تجريديا ، ففي رأيي ان العصر في هاملت هو زمان ما ، اي زمان في الماضي » وهو في هذا يختلف اختلافا جذريا عن ديكور فيلم كوزنتسييف الذي يوضح زمان الاحداث في اواخر العصور الوسطى · ويرتبط الديكور هنا بتفسير المسرحية ارتباطا عضويا · فاذا كان اوليفيه يتأثر بالتفسير الفرويدي ، فان كوزنتسييف يتأثر بالتفسير المادي التاريخي الذي يجعل المسرحية تعبيرا عن نهاية عصر ، وبزوغ عصر آخر ·

اننا نرى الشعب في بداية الفيلم السوفيتي ، وفي نهايته خارج القلعة لا شأن له بما يدور داخلها من احداث ، وان انعكست عليه هذه الاحداث · بينما لا وجود للشعب في الفيلم البريطاني · ونرى الشبح في الفيلم السوفيتي مرة واحدة ، وينتهي المشهد بمنظر كبيرة جدا لعينيه ، وماغينا انسان عادي تماما ، بينما يتكرر ظهور الشبح في الفيلم البريطاني مثلما يتكرر ظهوره في المسرحية ·

وفي الفيلم البريطاني لا نرى غير فراش الام ، ويصل الامر بهاملت الى حد تقبيلها في فمها في مشهد المواجهة بينهما ، بينما نرى في الفيلم السوفيتي فراش الام ، وفراش أوليفيا ايضا ، ويلتزم كوزنتسييف بالنص الشكسبيري حيث لا يقبل هاملت أمه على الاطلاق · وهاملت اوليفيه يتردد في الانتحار ، ويسقط الخنجر من يده نتيجة استغراقه فى التأمل ، اما هاملت كوزنتسييف فهو يفكر في الانتحار ، ولكنه سرعان ما ينبذ هذه الفكرة بارادته ·

أطول مسرحيات شكسبير

ومسرحية « هاملت » من أطول مسرحيات شكسبير ، ان لم تكن أطولها جميعا ، اذ يبلغ عدد ابياتها ٣٧٦٢ بيتا · وازاء نص بهذا الطول يصبح لا مفر من الاختصار ، وخاصة في السينما ·

ويختلف الاختصار في « هاملت » عن الاختصار في غيرها من المسرحيات فالمسرحية « بطولها هذا لا تصلح للمسرح الا بعد أن يستقطع منها مالا يقل عن ثلثها ، وبالطبع لم يكن شكسبير وهو الخبير الضليع بشئون المسرح يجهل ذلك · ويحق لنا أن نتساءل عن السبب الذي دعاه لان يكتبها بهذا القدر المفرط في الطول · الراجح انه اراد ان يتجه وجهة جديدة بأن يؤلف مسرحية ادبية تطالع كنتاج ادبي لذاته ، وللمسرح بعد ذلك ان يقتطع منها ما شاء » ·

واختصار « هاملت » يعبر في ناحية من نواحيه عن تفسير المخرج للنص ، وليس فقط مجرد البحث عن زمن اقل للعرض · وبينما تستغرق المسرحية على المسرح حوالي اربعة ساعات ونصف يستغرق فيلم اوليفيه ساعتين ونصف ، وفيلم كوزنتسييف ثلاث ساعات · وبينما نرى اوليفيه يختصر ما يوضح تفسيره الفرويدي كما اسلفنا ، ويختصر بكثرة ، نرى كوزنتسييف يختصر بحذر ، وان اسرف في اختصار ظهور الشبح بما يتلائم

كلمات

- من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن خاف الناس اخافه الله من كل شيء
- الحياة جزيرة صخورها اماني واشجارها احلام ·
- للرجل العظيم قلبان : قلب يتالم وقلب يتأمل ·
- قد تنسى الذى ضحكت معه ، ولكنك لن تنسى الذى بكيت معه ·

إن عصر هاملت هو :

أي زمان في الماضي .



مع تفسيره المادي التاريخي ·

ولقد برع اوليفيه في استخدام العدسات ذات البعد البؤري العميق ، وفي استخدام العديد من مفردات اللغة السينمائية استخداما جيدا ، ولكن ظل للاضاءة ، وللاداء التمثيلي طابع مسرحي واضح ·

ومن امثلة الاستخدام الجيد لمفردات اللغة السينمائية في فيلم اوليفيه استخدام المزج من منظر كبير لراس هاملت الى مقتل الاب للايحاء بان شكوك هاملت انما تنبع من راسه ، او على الاقل تدور فيها · وحركة الكاميرا الى اعلى في نهاية ظهور شبح الاب لاول مرة وسط الضباب ، والقطع منها الى هاملت مغمض العينين للايحاء بنفس المعنى · وحركة الكاميرا الى راس هاملت بعد لقطة للبحر في العاصفة ، وقبل ان ينطق بمونولوجه الشهير « اكون أو لا اكون : ذلك هو السؤال » ·

اما كوزنتسييف في فيلمه فقد كان اسلوبه سينمائيا خالصا · اذ عمد الى تجسيد كل ما كان يقال في المسرحية ابتداء من لقاء هاملت واوليفيا بعد مشاهدته الشبح لاول مرة ، الى تصوير غرقها ، مرورا بما حدث على ظهر السفينة المتوجهة الى انجلترا ، وكيف احبط هاملت المؤامرة التي دبرها عمه لقتله · ومن ناحية اخرى استطاع كوزنتسييف ان يستخدم موسيقي ديمتري



شو ستاكوفيتش استخداما نموذجيا ، وان يوظف اضاءة يوناس جريتسيوس توظيفا دراميا كاملا ، ففي كل لقطة من لقطات الفيلم الاضاءة التي تعبر عن الموقف، بل وعن التحولات داخل الشخصية ، وعلى شريط الصوت في كل منها اللحن المميز للمواقف المتكررة ، والآلة التي تصاحب كل شخصية في تحولاتها · ثم هناك اداء الممثلين ، وخاصة اينوكينتن سموكتونوفسكي في دور هاملت الذي جعل منه تعبيرا عن نبالة الانسان مستلهما ما قاله شكسبير على لسانه في تمجيد للانسان والانسانية · هذا فضلا عن الديكور والملابس وقطع الاثاث ومستلزمات الحياة اليومية مثل المرايا التي لعبت دورا دراميا واضحا في الفيلم ·

لماذا الأبيض والأسود ؟

وكلا الفيلمين البريطاني والسوفيتي مصور بالابيض والاسود ، ولكن السوفيتي مصور للشاشة العريضة · وعلى حين انطلق اوليفيه من رفضه للالوان ، وكانت له تجربة سابقة في استخدامها في « هنري الخامس » ذلك الرفض الذي عبر عنه بقوله « قررت الا افسد اداة التعبير الجميلة بالابيض والاسود بذلك الازدهار الجماهيري للالوان على الشاشة » ، انطلق كوزنتسيف من واقع رؤيته الخاصة للنص · ويبدو ذلك في استخدامه الخلاق المتكامل للابيض والاسود وللشاشة العريضة ايضا ·

وفي عام ١٩٦٤ ايضا انتج الفيلم السادس عن المسرحية ، وهو الفيلم الامريكي « هاملت » اخراج وليم سارجنت عن عرض مسرحي اخرجه جون جليجور ، ومثله ريتشارد بيرتون ، ورغم أن الفيلم نقل للعرض المسرحي ، الا ان مخرج العرض قال « انه ليس عملي » ، وابدى ريتشارد بيرتون استياءه البالغ من الفيلم ·

وجاء الفيلم السابع عام ١٩٦٦ ، وهو الفيلم الالماني من المانيا الاتحادية « هاملت » انتاج محطة تليفزيون بافاريا حيث مثل الدور الاول مكسمليان شل · وقد اعدت من هذا الفيلم نسختان الاولى بالالمانية واخرجها فرانز بيتر درث ، والثانية بالانجليزية واخرجها ادوارد ديمتريك ·

وكان الفيلم الثامن من انتاج التليفزيون ايضا ، وهو فيلم « هاملت في اليانور » اخراج فيليب سافيلي عام ١٩٦٨ وتمثيل كريستوفر بلامر · والفيلم انتاج مشترك بين هيئة الاذاعة البريطانية والتليفزيون الدانمركي ·

وفي عام ١٩٦٩ انتج الفيلم التاسع ، وهو الفيلم البريطاني « هاملت » اخراج توني ريتشاردسون عن عرض مسرحي قام بتمثيله نيكول وليامز ·

ثم جاء الفيلم العاشر عام ١٩٧٠ ، وهو الفيلم الامريكي « هاملت » اخراج بيتر وود وتمثيل ريتشارد شامبرلين وانتاج محطة تليفزيون ن· بي· سي· ·

واخيرا ··

هناك الفيلم الايطالي « هاملت » اخراج مارميلو بيني عام ١٩٧٣ · وكارميلو بيني فنان سينمائي عدمي يلجأ الى الاسلوب السوريالي للتعبير عن رؤيته القاحلة للحياة · وهو في هذا الفيلم ، وضمن هذه الرؤية وذلك الاسلوب لا يحاول ان يعبر عن مسرحية شكسبير ، وانما يحاول ان يبصق عليها · فهاملت كارميلو بيني شاب سمين تشوه وجهه اثار الجدري · ويهوى خنق الحمام والعصافير · اما اوفيليا فهي فتاة شهوانية ترتدي ملابس العصر الاليزابيثي ، ولكن بطريقة تكشف كل جسدها ·

- من الصعب أن تكون متواضعا · وحتى اذا ما كان هدفك التواضع ·· فليس هنالك ضمان بأنك سوف لا تشعر بالاعتزاز عندما تحقق ذلك ·
- يسافر المرء باحثا عن اشياء يريدها ، لكنه يعود الى مكانه ليجدها ·

(جورج مور)

من خلف سحابات الأحزان





يَا مَوْلَاتِي :
سَقَطَتْ أَبْهَاءُ الْقَصْرِ الْمَلَكِيَّهْ .
رَكَعَتْ سِيقَانُ الأَعْمِدَةِ الأُسْطُورِيَّهْ .
رَقَصَتْ أَشْبَاحُ الْعَصْرِ الْهَمَجِيِّ ،
عَلَى أَشْلَاءِ الْهَيْكَلِ ،
رَقْصَتَهَا الْهَمَجِيَّهْ !
وَعَلَى الْمَرْمَى :
- مِنْ خَلْفِ سَحَابَاتِ الأَحْزَانِ التَّارِيخِيَّهْ -
مَحْرُوقٌ وَجْهُكِ .
عُرْيَانٌ جَسَدُكِ .
مَهْمُومٌ ..
مَصْلُوبٌ ..
مَسْجُونٌ ..
وَمُبَاحٌ ..
فِي زِنْزَانَتِهِ الشَّمْسِيَّهْ !!

الْقَصْرُ تَعَرَّى .
خَلَعَتْ غُرُفَاتُ الأَسْرَارِ
بِجَوْفِ الرِّيحِ ..
نَوَافِذَهَا الشَّتَوِيَّهْ ..
والأَبْوَابُ الْفِضِّيَّهْ ..
انْكَفَأَتْ ..
نَزَفَتْ فَوْقَ الْعَتَبَاتِ ،

وَمَا بَعْدَ الأَسْوَارِ الْحَجَرِيَّهْ
أَحْشَاءَ التِّيجَانِ الذَهَبِيَّهْ .
وَجْهُكِ كُرَةٌ في الْمَلْعَبِ
- يا مَــوْلاَتِي -
تَتَقَاذَفُهَا أَحْذِيَة سَادِيَّهْ .
والسَّاحَةَ حُلْمٌ ..
في عَيْنَيْ خفَّاشٍ أَعْمَى .
وَجَنَاحَاهُ بَقَايَا أَشْبَاحٍ
مَنْسِيَّهْ !
أَنَا لا أَتَصَوَّرُ .
إِنِّي أُبْصِــرُ
في الأَحْلاَمِ المَرْئِيَّهْ :
مَحْرُوقًا وَجْهُك
عُرْيَانًا جَسَدُكِ
مَحْمُومًا ..
مَصْلُوبًا ..
مَسْجُونًا ..
وَمُبَاحًا ..
في زِنْزَانَتِه اللَّهَبِيَّهْ !!

عبد القادر حميدة

زغلول عبد الحليم عبد الله

محمد عبد الحليم عبد الله

ورحلة البحث عن الحقيقة

لماذا انطفأ المصباح ؟

لقد سترته بعباءتي لاحميه من الريح ، لهذا انطفأ المصباح !

لماذا ذبلت الزهرة ؟

لقد ضممتها الى صدري في لهفة المحب ، لهذا ذبلت الزهرة !

لماذا جف الجدول ؟

لقد بنيت خزانا عبر الجدول لاستفيد منه وحدي ، لهذا جف الجدول !

« طاغور »

ولد محمد عبد الحليم عبد الله بقرية كفر بولين التابعة لمحافظة البحيرة في اليوم الحادى عشر من شهر مارس ١٩١٣ • وتلقى تعليمه الاولى بمدرسة القرية وقتذاك • ثم حاول والده ان يدخله مدرسة المعلمين قاصر صاحبنا على التعليم العام ولكن الظروف وقفت ضده فحاولت الام ان تفسح له الطريق رغم الصعوبات والمشاكل ولان الاب واتيح للابن ان يلتحق بمدرسة دار العلوم ويكمل دراسته الثانوية فقط ثم يعمل ليساعد الاب • ولكن الظروف أرادت ان تجعل من الابن شيئا اخرا والتحق بالقسم العالى بمدرسة دار العلوم العليا ونال الاجازة عام ١٩٣٧ بل كان اسمه في أول القائمة • وفرح الاهل والصحاب • والتحق الابن بوظيفة صغيرة بدار المجمع اللغوى بالقاهرة عن طريق ابن عمه الكبير (الذى ما زال على قيد الحياة) وهيات الظروف لعبد الحليم عبد الله ان يقرأ ويتعرف على اكبر كتاب عصره • وشاء القدر ان ينال عبد الحليم اعجاب من حوله من الزملاء واتيح له فرصة التعيين على درجة حكومية أسوة ببعض الزملاء الذين معه • واصبح عبد الحليم موظفا حكوميا بمجمع اللغة العربية منذ تلك التاريخ حتى رحل عن الدنيا عام ١٩٧٠ • واتيح لعبد الحليم ان يعمل مع الدكتور منصور فهمي والاستاذ على الجارم في مراجعة الادب القديم مما جعله يكتسب من الادب القديم المثمر والنافع •

صفاته ومزاجه النفسى

كان عبد الحليم عبد الله صغير الرأس مستديره ، يميل لون وجهه الى السمرة يخالطها شحوب في بعض الاحيان، ساهم النظرة ، نحيلا ، وكان قوى البنية في شبابه ولكن موت أمه هز بنيته • فاعتل جسمه • وكان صاحبنا على قدر من وسامة الطلعة في شبابه معتدل القسمات ! لا عيب بارز في صفحة وجهه حتى في أيامه الاخيرة • أقرب الى القصر منه الى الطول • لم يزحف الى رأسه الشيب والصلع الا في شيخوخته • ولكن السقام والهموم زحفت اليه في آوان مبكر • كان مهندم الثياب الى حد يثير العجب • اذا أمسك بطرف الجريدة في الصباح وقبل الافطار فلا بد ان يكرر نظافة يده هذه قبل تناول الفطور • عصبيا الى حد كبير ويحضرني قول ابن الرومى الذى كان يحبه ويرى انه منطبقا عليه :

أنا من خف واستدق فمايثـ ... ـقل ارضا ولا يسد فضاء

على أن ضعف البنية لم يكن ليضير عبد الحليم كثيرا في شبابه أو شيخوخته • فكان يمشى على الارض متبعا نصيحة المعرى : يمشى بحرص شديد كمن يدوس فوق ابسطة كسرى ينظر حواليه بتمعن شديد • يقرأ صفحات الوجوه• تعلو وجهه ابتسامة حزينة لا يمكن ان يفقدها مهما كانت

محمد عبد الحليم عبد الله

ولكني حزين من أجلك ، انك تحبني كثيرا وأخاف عليك من هذا الحب بعد وفاتي » ٠

وما أسرع الايام لقد عذبني حب عبد الحليم الانسان واشقاني حب عبد الحليم الاديب ٠ ان الانسانية عند عبد الحليم هي « فكرة » أساسها أيضا « العطاء » ٠ وهذه الفكرة غير مقيدة بجنس ولا قومية ٠ انه يرى ان الانسان ضئيل الشأن وصاحب كبرياء عظيم ، تدفعه ضآلة شأنه الى محاولة تعظيم نفسه ، وتدفعه كبرياؤه الى كفاح قد يحطمه ٠ ومحاولة تعظيم نفسه ما هي الا بعض صورة من الانتصارات الرخيصة في الحياة ، أما كفاحه اذا كان في سبيل غاية سامية فهو انسان سام ، ولكن غالبا ما يقف القدر في وجهه لكنه يظل ذلك المكافح المناضل الجبار ٠

بين معاناة القلب ومعاناة الذهن عاش عبد الحليم عبد الله حياته التي قتلته ٠ واجدني بعيدا عن حد المبالغة اذا قلت أنه مات من فرط المعاناة ، ليست المعاناة التي تجعله خائفا على طعامه ، فهذه معاناة الرجل العادي ، كما انها ليست معاناة من يريد أن يستحوذ ويمتلك ، فتخونه الايام ولا تلبي رغباته ، ان معاناة عبد الحليم من النوع الشامل ، فهو يعاني من تناول اللحوم في غذائه لان رجل الشارع لا يتناول اللحوم بهذه الطريقة ، ويعاني كذلك من استخدام الاساليب الحديثة في حياته الاجتماعية لان أهله في مصر الكبيرة لا يستخدمون مثل هذه الاساليب ٠ ان معاناة عبد الحليم مزدوجة ، فهو يعاني من الآمه الشخصية ويعاني أيضا من الآلام التي تصيب كل من حوله، فأصبح الرجل غريبا في وطنه ، لانه يختلف عن من حوله ومن هنا كانت هجرة عبد الحليم الى الداخل باحثا عن اليقين ، لقد اهتز يقين عبد الحليم قبل نكسة ٦٧ بقليل وبعدها الى أن مات ٠ سنوات ثلاث كان فيها عبد الحليم عبد الله حائرا قلقا خائفا مثله في ذلك مثل معظم أبناء مصر الطيبة ٠ وظل على هذا الحال الى أن قهره الموت ٠

مذهبه الفنى

لا يؤمن صاحبنا بالمذهبية في الفن ويرى ان الفنان الذي يكتب طبقا لاتجاه مدرسة معينة من مدارس الادب ، لا يكتب أدبا وانما يكتب شيئا آخرا لا يمت للادب بصلة ٠ لان الكتابة الادبية تخرج من نطاق عملية (القص واللزق) ان التلقائية في الكتابة هي أهم ميزة في كتابات عبد الحليم عبد الله ، فهو يكتب بطريقة عفوية ٠ أما عملية التدقيق في كيفية العطاء والانتاج اذا لم تضر قليلا بهذه العفوية فهي لا تفيدها كثيرا ٠

واقصى ما يطلبه عبد الحليم من عمله الادبي هو ابلاغ مؤثراته الى وجدان القارىء فيتعرف القارىء على نماذج فريدة تكون أكثر حياة من النماذج الحية فعلا ٠

ان الشخصية في نظر عبد الحليم لا بد أن تحدد معالمها بدقة ولابد أن تكون تصرفات هذه الشخصية موافقة الى حد كبير لهذه المعالم ٠ ومن هنا ينبع الصدق الفني ٠ فالصدق الفني في نظر عبد الحليم ليس هو مطابقة الواقع أو الصدق الواقعي لكنه ذلك الصدق الذي يأتي دون افتعال ٠ ان الصدق الفني هو الاجابة على السؤال التالي : لماذا تتصرف الشخصية بالتصرف الذي تتصرف به ؟ ان التصرف الذي يحدث من الشخصية لا بد ان يكون التصرف الوحيد الذي يمكن ان يحدث ولا يمكن ان يحل محله تصرف آخر الا اذا تغيرت الظروف وهذا لا يحدث الا في الامد الطويل ٠

ومن هنا فان الصدق الفني مخالف للصدق الواقعي ٠ وان من أهم سمات الصدق الفني الخصوصية في الشعور ومدى العمق والشمول في الاتصال بالكون والحياة ٠

والشخصية في ادب عبد الحليم اما شخصيات ثابتة لا تؤثر في حوادث القصة ، غير قابلة للتطور مثل شخصية « عزت » في « سكون العاصفة » وشخصية « الدكتور أمين » في « قصة لم تتم » وأما شخصيات نامية متطورة ، تبين خصائصها من خلال تصرفاتها ، ونلاحظ تطورها نتيجة لتفاعلها مع الحوادث ، مثل « شكري » في « سكون العاصفة » « ومختار » في « شمس الخريف » وأيضا « مني المنشاوى » في « قصة لم تتم » ٠ وينبغي أن نوضح نقطة خافية هنا عن طريقة تصوير عبد الحليم عبد الله للشخصية ٠ انه دائما يحرص على أن تأتي تصرفات الشخصية وفقا لصفاتها ٠ أعني ان شخصياته منطقية ٠ تصرفاتها واضحة ومعالمها النفسية محددة الى درجة كبيرة ٠

وهذا على أساس أن عبد الحليم نفسه رجل محدد التصرفات٠ وهذا اتجاهه في طريقة تصويره لمعظم شخصيات رواياته ٠ وقد تشذ عن هذا بعض الشخصيات فنراها باهتة لا لون لها ، خصوصا في بعض قصصه القصيرة (ما قبل مجموعة أسطورة من كتاب الحب) وأيضا في روايتي « الوشاح الابيض » و « لقيطة » (باستثناء ليلى بطلة رواية لقيطة) ٠ أما الشخصيات التي لا تنطبق تصرفاتها على ما نعرفه عنها فهذه الشخصيات يرسمها عبد الحليم بدقة بالغة وهي قليلة في أدبه فنجدها مثلا في « للزمن بقية» (النجومي الكبير) فهذه الشخصية تتصرف بحرية كاملة ولهذا يحس القارىء بالرهبة لما سوف تقدم عليه هذه الشخصية من أعمال ٠ ومن هذا النوع أيضا (أسرار) في الرواية نفسها ويعتبر (سلمان الفارس) ارفع نموذج في أدب عبد الحليم عبد الله فهو يمثل الشخصية الحرة المستقلة كبطل قصة (الباحث عن الحقيقة) ٠ ويقدم عبد الحليم شخصياته في شمول تام من الناحية الظاهرية أى السلوك الظاهري ، ومن الناحية النفسية والسلوك الذي يمكن أن ينتج عن هذه الناحية ، وأيضا يحلل لنا بعض مشكلاتها الاجتماعية الرئيسية وتحكي لنا عن الظواهر الاجتماعية المحيطة التي يمكن أن تؤثر في الشخصية المرسومة ٠ والطبيعة من العوامل المساعدة لنمو الشخصية في أدب

عبد الحليم عبد الله انه يشعرنا بأن الطبيعة لها شخصيتها العاملة المستقلة فهى لا تنفصل عن الشخصيات الاساسية أو الثانوية المقدمة • أننا نشعر بجو المسرح في معظم كتابات عبد الحليم وخصوصا كتاباته الاولى • ان الطبيعة في أدب عبد الحليم معبرة • واستطيع ان أقول ان منهج عبد الحليم يرى أن العمل الادبى له علاقة وثيقة بنفس صاحبه ، ان أهم عنصر من عناصر العمل الادبى هو العنصر النفسى • فالابداع في نظره عملية تمرد • للتأثر فيها بالمجتمع والبيئة نصيب كبير •

القصة ذات الحودات ، وتلك التى تعرض فكرة ما ، والقصة التى تسيطر عليها الشخصية من البداية الى النهاية ، لقد تناول عبد الحليم كل هذه الانواع من القصص • وخير مثال في أدبه للقصة ذات الحودات هى رواية « شمس الخريف » ، أما قصة « الباحث عن الحقيقة» فهى قصة الشخصية ، وأما « قصة لم تتم » فهى تعرض فكرة الموت والحب والحرب • أعنى انها قصة « الفكرة »• ولقد عرض عبد الحليم عبد الله في مجموعتى « جوليت فوق سطح القمر » و « حافة الجريمة » أنواعا فكرية ــ من القصة القصيرة تصل الى حد الروعة • ونذكر على وجه التحديد اقصوصة « حصاد ليلة » • ولقد مال الى « الاتجاه الفكرى » في الرواية أو القصة القصيرة في السنوات

● بهذا حكمت علينا الاوضاع الثقافية في القرن العشرين ، انه في مقابل كل مائة مستشرق يوجد مليون مستغرب ••

★★★

● لن تكون رساما لمجرد ان عندك فرشاة ، ولن تكون موسيقيا لمجرد ان عندك عودا لكنك تستطيع ان تكون كاتبا لمجرد ان عندك قلما ••

★★★

● في بعض الاحيان تكون اكبر خدمة يسديها الفنان لفنه هي ان يعتزله ••

★★★

● يسألونك عن الفرق بين الملحن والموسيقار قل الموسيقار ملحن له نفوذ في الوسط الصحفي •

★★★

● للذين يؤلفون ويلحنون الاناشيد الوطنية ، اقول ان النشيد الوطني لا يكفي ان يكون وطنيا فحسب ، بل يجب ان يكون نشيدا ايضا ••

الاخيرة • ويتحدد على هذا الاساس نوع البطل في القصة • ولقد مر بطل عبد الحليم بأكثر من مرحلة فنجده يعرض لنا (البطل غير الفعال) كما في قصته الشهيرة « شجرة اللبلاب » ويقدم لنا شخصية (منى المنشاوى) في « قصة لم تتم » (بطلة متمردة) على الواقع المزيف ونجد أبطال عبد الحليم في رواياته الاولى مثل « بعد الغروب » ، ابطالا رغم محاولتهم لقهر التخلف ، فهم •لا يملكون الفرار من القدر • ويعد (مختار) في « شمس الخريف » بطلا ايجابيا حاول التخلص من العقبات التى صادفته ونجح في أن يكون حياة طيبة حوله •

وتعد شخصية (امرار) في قصة « للزمن بقية » نموذجا للشخصية المستقلة • وأيضا من الشخصيات التابعة نجد شخصية (حسن شيحه) في « البيت الصامت » •

ولعبد الحليم عبد الله أكثر من طريقة في عرض موضوعاته التى يعالجها ـ وعلى قدر علمي ـ أن هذا الكاتب لا يعرف أزمات الوعى التى تصيب كثيرا من كتابنا وتجعلهم في حيرة من أمرهم ينظرون الى الدنيا وكأنها قد خلت من البشر ! ومن الطرق التى عرضها لنا هى الترجمة الذاتية والتى قد اشتهر بها واطلقت عليه لقب « كاتب الاعترافات » ! لانه يكتب قصصه لضمير المتكلم ، فيضع نفسه مكان البطل أو البطلة ويحكى لا يهمنا هنا ان عبد الحليم عبد الله يكتب اعترافات أو لا يكتب • وقد تتعرض القصة للفشل اذا لم يكن كاتبها واثقا من نفسه وفوق ذلك يتمتع بموهبة • ولقد تمتع عبد الحليم عبد الله بموهبة ادبية عاتية لم ولن تتاح لاحد من ابناء جيله (راجع د• عبد العزيز الدسوقي : رحلة حياة وفن البنيان الكونية) والعيب الذى يعترى طريقة الترجمة الذاتية هو تعرضها لان تصبح مملة بعد مدة ولقد تغلب عبد الحليم على هذه المشكلة • أننا نستطيع القول بأن عبد الحليم عبد الله قد قدم الترجمة الذاتية بأسلوب فريد وبطريقة عرض شيقة ، لقد برع في هذه الطريقة وقدم لنا بها أكثر من عمل أدبى • « مثل بعد الغروب » • « من أجل ولدى »• « شجرة اللبلاب » • أما طريقة السرد المباشر تمثلها رواية « لقيطة » • وتمثل رواية « شمس الخريف » نموذجا فريدا لرواية الرسائل وكتبت هذه على نهج رواية « آلام فرتر » لجوته •

أما الموضوع عند عبد الحليم عبد الله فلا يؤثر مطلقا في قيمة القصة • فالانسان دائما هو المحور الذى تدور حوله كل قصصه • الانسان بضعفه وشقائه واجرامه • ان عبد الحليم عبد الله يفحص الانسان من الداخل وبمقدار الدقة في الفحص يأتى عمله الجيد • في كل مرة يأتى بجديد • أنه يبحث عن خصائص الانسان الذاتية ودوافعه• أنه يجيب باستمرار على هذا السؤال : لماذا يتصرف (هذا) بالطريقة التى يتصرف بها ؟!

محمد عبد الحليم عبد الله

الظروف • لقد مات مبتسما • مات من فرط السماحة • يملك ذاكرة قوية • طفولته واضحة امامه • في عينيه بريق أخاذ • يملك من يتكلم أمامه بسرعة • ومقياس جمال المرأة في نظره الصمت والنظرة اللينة • أما مقياس العظمة فهو العطاء دون مقابل • ويحضرني في هذا انه كتب الى أخيه محمود يقول « •• لا يهمك يا أخي فسوف تعيش مترفا مرفها حتى ولو من انفاسي » خطاب بتاريخ ١٩٥٨/٦/١٤ بمتحف عبد الحليم عبد الله بقريته • وكان عبد الحليم يحترم الاسرة بشكل يمكن أن يصفه أهل عصره بالرجعية ! لا يدخل بيته الا من يحترمهم هو شخصيا ولا يرى أهل بيته الا أهله فقط • وكان هو الذي يستقبل ضيوفه انه كان يقدم التحية بنفسه الى ضيفه • لقد عاش عبد الحليم حياة البساطة •

أسير للحظة التفكير ولو استغرقته مشكلة لا يعدل عن التفكير فيها مهما كان • انه مارس عملية الاحتراق بجدية • ثائر الاحساس • أو على تعبير الاستاذ يحيى حقي وتر مشدود • ان فرط الاحساس كثيرا ما يؤدي بصاحبه الى الوجوم وهكذا كان صاحبنا • ويبدو أن الخجل التي تميز به عبد الحليم جعله يميل الى الوجوم أيضا •

لقد قادته احساساته الى عوالم كثيرة • عوالم يأتي بعضها عليه بالخير ، وعوالم أخرى تحوله • لقد تألم الرجل ألما عظيما •

لقد كان عبد الحليم فنانا في كل وقت • كان يستحضر الشعور من غير موعده • قدرة فائقة على الانطلاق الفكري وتكوين صورة سريعة للمواقف • لقد اجتمعت لعبد الحليم عناصر دقة الملاحظة والاحساس وعمق الشعور • وكان عبد الحليم عبد الله نقيض الرجل الذي يصلح لمثل زمنه • زمن الدسيسة والمداورة •

عاش عبد الحليم في الزمن الاجرب قليل الحيلة ، غريب الاطوار فهو مستهدف لكل من يرميه ، ولانه دقيق الحس : فهو يعذب بما يصيبه • وثقلت عليه الصدمات ، وساء ظنه بانصاف الناس فوهن ما فيه من بقية عزم الشباب •

اهتز يقينه • ومن هنا بدأ عبد الحليم في الهجرة الى الداخل • لقد هاجر عبد الحليم الى داخله واستقر فيه وحاول ان يتصالح مع هذا الداخل • لقد وجد صعوبات بالغة • لم يعرف كيف يوفق بين الاحساس العظيم بالخارج ومحاولة الهروب الى الداخل • مشكلة عويصة تعرض لها هذا الرجل • وحاول ان يوفق بكل الطرق فكتب سنة ١٩٦٦ قصته الشهيرة « الباحث عن الحقيقة » التي يعتبرها معظم النقاد نقطة تحول أساسية في أدب عبد الحليم عبد الله واعتبرها أنا شخصيا قصة التصالح بين الداخل والخارج : لقد اهتدى عبد الحليم الى اليقين • والداخل عند عبد الحليم عبد الله أساسه العطاء • لقد اعتبر الرجل أن العطاء هو قمة الاتصال بالكون الكبير • وكل عطاء يقربنا من الكون • كل شيء عدا العطاء فهو جزئي لذلك وتجاوز عبد الحليم الشعور بالجزئيات الى الشعور الشامل غير المحدود ان هناك رصيدا مدخرا ، وأنه لا خسارة فيما ذهب • لقد قادنا من الحيز المحدود بالتجارب الحزينة ، الى الفضاء المطلق وراء الحدود والقبور • لقد تمكن عبد الحليم عبد الله من تكوين علاقة قوية بينه وبين العالم الآخر • لم يعتبر الموت نهاية أبدا ولكنه اعتبره بداية لحياة جديدة تخلو من الموت • حياة يكون فيها المخلوق على اتصال بالخالق بطريقة لا دخل للسلوك البشري المنحط فيها ، علاقة صلاة دائمة • الحياة صلاة ، والفكرة صلاة ، والنظر الى وجه الخالق العظيم صلاة أيضا • لقد تجاوز عبد الحليم عبد الله الاحساسات الفردية الى الاحساسات الاكثر شمولا • وفي تجاوزه هذا تعرض لاشد أنواع العذاب النفسي لانه يحاول التخلص من (مجرد الحياة) ! لقد عاش عبد الحليم حياته عمقا ، ان الذي يجذبه هو « العمق » في كل شيء : عمق الفكرة ، عمق التفكير •

ومن خلال الحياة بعمق زاول عبد الحليم برضاه كل ما يؤلمه في الحياة ، وبين تسامح سخي ، وتكوينات آخذه في الذبول • بدأ النسيج الراقي لعبد الحليم يتمزق ، لم يعد قادرا على النهوض بالتبعات ، ليس لانه غاضب ، بل لان قدراته آخذه في الذبول ، ورغم هذا كان يطلب المزيد من هذه القدرات يمارس عملية الضغط على الذات لدرجة العذاب • ان عبد الحليم عبد الله خير من عذب نفسه بنفسه • كان يستعذب العذاب • وكان يرى ان الالم خير معلم • لقد تألم كثيرا • تألم في مرضه وتألم في صحته ، وكان الم المرض أخف من الم الصحة ، فألم المرض يعالج بالصبر ، والدواء أما الم الصحة فيجر عليه العذاب ، لقد دفع عبد الحليم عبد الله ثمن حياته ، دفع غير ساخط •

كره عبد الحليم القوة عندما تصبح غاية في حد ذاتها ، فالقوة في نظره وسيلة الى غاية • فعندما تكون الغاية عظيمة

● لن تكون مثقفا لمجرد انك قرأت كل ما اصدرته المطبعة العربية ••

★★★

● لكيلا يموت الكاتب جوعا يجب عليه بين الحين والآخر ان يهذى •••

★★★

● لا شك ان الذي ينصب الفاعل جاهل ، غير ان الذي يرفعه ليس بالضرورة عالما ••

تكون القوة عظيمة • وعندما تصبح الغاية سيئة فالقوة بلا شك سيئة بالتالى • ويرى عبد الحليم ان القوة تبلغ القمة عندما تستطيع أن تجرد الانسان من خوفه ، وهذا الرأى ذاتي لان عبد الحليم كان يخاف الخوف نفسه ، ومع انه ذاتي الا أنه يكاد يشمل الانسانية بأسرها ، كان عبد الحليم قد وضع فيه سر البشر جميعا • لقد كان مخلوقا غير عادى • ومن القوة استمد عبد الحليم مفهومه عن المال وتهديده للنفس الانسانية • فكان يرى ان المال « خلق لنمتطيه » • وان المال الذى لا يسعد صاحبه ليس بمال على الاطلاق وسعادة صاحب المال لا تتأتى الا من مصدر واحد هو الانفاق وعلى اسعاد الآخرين أو ادخال الفرحة الى قلوبهم • هكذا تصور عبد الحليم المال • لم يشعر بتاتا أنه يملك •

ولقد عاش عبد الحليم عبد الله حياته للآخرين • ومما يفسد القوة في نظر عبد الحليم هو وقت الفراغ • ليس أشد فتكا من وقت الفراغ الا الفراغ نفسه • انه يسير بالقوة الى منطق اللا معقول •

ويسير بالمال الى الخراب • وكم دمر الفراغ عقولا ومدائن • ولكن نوعا من الفراغ مطلوب هو الفراغ الذى نستطيع ان ننجز فيه شيئا معينا بالذات وبدونه لا ينجز هذا الشيء • فهذا فراغ مثمر • وهناك نوع من الفراغ يمثله الذين يرتادون النوادى الليلية والملاهى • وهذا النوع من وقت الفراغ ليس بوقت على الاطلاق لانه خارج عن نطاق الوقت • أنه أفرغ من الفراغ • ان عملية الاستفادة من وقت الفراغ تحول الخراب المنتظر الى تعمير عاجل • والتعمير في نظر عبد الحليم عبد الله يحتاج الى سلطان • وهذا السلطان لا بد له من شروط ، والشرط الاول الا يتحول السلطان من مفهوم يعتمد على دعامات سماوية الى مفهوم يعتمد على أن الحاكم هو من أبناء السماء المختارين • والشرط الثانى الا يتحول الخادم الى مخدوم والشرط الثالث ان السلطان بعض وليس كل • فالكل هو الله • وانطلاقا من هذا المفهوم يرى عبد الحليم عبد الله اسوأ عبادة هى عبادة البطن أو عبادة الطعام • فالفكر في نظره لا يمكن أن يتأتى من انسان أكول • وشعار عبد الحليم هنا هو « طعام قليل وفكر كثير » والتفكير في نظر عبد الحليم عبد الله هو دليل الوجود • وقمة التفكير أننا نصل الى ما نريد حقيقة لا وهما • والذى تريده النفس الانسانية هو الاستقرار • فاذا كان التفكير قادرا على أن يوصلنا الى الاستقرار فلا شك أن هذا التفكير يمشى في قنوات مضبوطه • والاستقرار في نظر عبد الحليم عبد الله هو « ان يضع رأسه على الوسادة فينام » أما اذا نام الانسان على أمل وأصبح على يأس فهنا قمة المأساة ، ومن هنا ينتج التباعد بين الانسان والواقع ، ومحاولة الانسان قهر الصعاب وتذليل العقبات ومعالجة مشكلاته اليومية التي تتطلب قدرا كبيرا من الحكمة •

ومن الاشياء التى تستلفت النظر في شخصية عبد الحليم عبد الله انه لا يحب التغيير • ومن الصعب أن تعوده على موقف جديد • يكره التغير جدا في كل شيء • يميل الى الثبات ، وهذا ناتج عن فطرته الطيبة التى نمت وترعرعت في ظل ثبات كل الاشياء من حوله أيام كان طفلا ثم صبيا فشابا في قريته ، لقد تعود عبد الحليم على أن الاشياء لا يمكن أن تتغير بسهولة ، لذلك كان التغير يرهقه أو يؤلمه ولك أن تقول يمزقه • ومن الصور التى تعطينا فكرة عن كرهه الشديد للتغيير رفضه دخول الحجرة التى توفى فيها شقيقه الاصغر محمود منذ عام ١٩٦٠ حتى دخلها رغم ارادته « ميتا » وعلى نفس السرير ، وفي ذات الموضع الذى كان عليه شقيقه محمود وقتذاك • انها سخرية القدر • ومن سوء الطالع لنا ـ نحن أسرته ـ انه توفى أيضا في سنه صفرية • لقد كان موت عبد الحليم عبد الله فاجعة بالنسبة لى شخصيا ، لم اتصور ان عبد الحليم سيموت بهذه السرعة الخاطفة ، وكان من بين احلامى اننى سأراه شيخا وأنا في قمة الشباب فيحلو لى ان أسامره وأذكره بأيام شبابه ، واستمع له وهو يحكى عن حياته الشخصية والجانب الخفى منها ، واسرار حياته الادبية • ولكن عبد الحليم عبد الله رفض أن يعيش ، ورمى بقفازه في وجه الجميع ورحل الى دنيا أحق منا به •

اذكر انني قلت له ومائدة العشاء تجمعنا في ليلة صيف وكنا وحدنا :

ـ رأيتك تزور أمريكا البارحة ؟

فعلا وجهه الشحوب وبمض ألم وتنهد قائلا :

ـ مرة واحدة كده •

قلت مؤكدا : ان احلامى لا تخيب •

قال : ومن كان معى ؟

قلت : لقد رأيت معظم الاهل من بلدنا هناك •

(انتظار طويل ، وحديث للنفس هامس ، ثم قال عبد الحليم مؤكدا) •

ـ ان ما تصفه يابنى هو حالة وفاة • سوف أموت قريبا يازغلول •

وشملنا صمت أقرب الى صمت القبور •

ان عبد الحليم عبد الله يملك قدرة غير عادية على تكوين صور سريعة للمشكلة التى تواجهه • يراها بألف عين • وهذه الخاصية جعلته يعيش أكثر من عالم واحد في نفس اللحظة • وأذكر اننى قلت له معلقا على عظمة احساسه : « اننى لم أر في حياتى اعصابا فوق الجلد الا اعصابك » فقال باعتزاز : « اننى فخور بك يا ولدى

حي هادئ في بيونس ايرس

تأليف : إيزوبل ستراش

ترجمة : شوقي فهيم

في بعض الاحيان كانت السيدتان الانجليزيتان اللتان ترتديان القبعات ذات الحافة العريضة والاردية البيضاء الطويلة ، كانتا تسيران مع الاطفال الى الحديقة العامة الواسعة حيث تجلسان وترقبان الاطفال وهم يجرون على الحشائش أحيانا تكون احداهما فقط ، دوروثى ، في صحبة الاطفال ، كانت تجلس وتقرأ خطابا من انجلترا أو كتابا بالانجليزية ، ودائما وعلى بعد قليل منهما وفي مواجهة الخضرة أيضا كان يجلس الشخص المعجب بهما الذى أصبح معروفا لديهما باسم جراى « الرمادى » لانه كان دائما يرتدى ذلك اللون الهادىء ، بدلته رمادية ، قبعته رمادية ، حذاؤه رمادي وشعره أيضا كان رماديا • كان يراقب البنات الصغيرات بعطف ويحملق باممان في السيدتين كانه ينتظر بشغف أى علامة تدل على أنهما أحستا باهتمامه

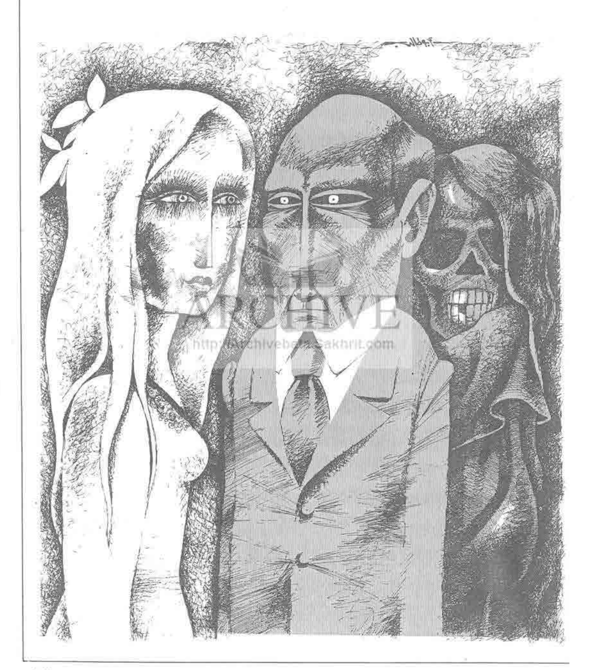
كان حيا هادئا من أحياء مدينة بيونس أسمه بلجرانو منازله محاطة بالحدائق ، وتزدان شوارعه بالاشجار على الجانبين • وفي الليل يضىء مصباح معلق عبر الشارع بين الفروع المتدة المزهرة فتتراقص الظلال السوداء •

سار دوروثي لتلقي بخطاب في صندوق البريد • وما أن اتجهت الى الصندوق حتى فزعت حين رأت شبحا يخرج من الظلام واقفا بجوارها • كان « الرمادى » ممسكا بخطاب ويرفع قبعته بأدب ، تمتم « سنيوريتا •• » ثم بدأ يخاطبها بالانجليزية بصوت عميق غريب • « أرجوك لا تنزعجى أعرف أنك انجليزية وأنا احترمك أنت وصديقتك السيدة الانجليزية الاخرى أشد الاحترام • أرجوك لا تنزعجى »•

وبدلا من ان يلقى بالخطاب الذى كان يمسكه في الصندوق بدا أنه يتجه ناحيتها • استدارت دوروثى جانبا بجفاء وأسرعت الخطى ، وكانت حافة قبعتها العريضة تهتز وهى تسير • كان الرمادى مهذبا ولم يحاول تتبعها ولكنها فكرت أنه من السخف أن يحملق فيهما هكذا في الحديقة والاسخف من ذلك أن يحاول اعطائها خطابا من المحتمل انه يحوى أمورا غير لائقة • لكن عليها أن تعترف انه لم يكن سىء المظهر ، بل ان له جاذبية وان كان يشوبها الحزن والذبول • وحين وصلت الى البيت كانت وجنتاها تشتعلان وفكرت أن تضحك على هذه المقابلة مع ابنة عمها جوندولين ، أم الاطفال ولكنها غيرت رأيها ، ربما لانها فكرت في أن زوج جوندولين سوف يغيظها •

وبينما هى تسير خلال حديقة البيت الامامية المعبقة بشذى الازهار والتى تحف بها فروع السوسن ، امكنها ان تسمعه وهو يقرأ لزوجته بصوت مرتفع من أشعار تينسون ، وكانت النافذة مفتوحة ، « تعالى الى الحديقة يامود »•

بعد لحظات سيصعد الى الطابق الاعلى ليلقى تحية المساء على ابنتيه الصغيرتين ويداعب ضلوعهما حتى تنشيان من الضحك •



حوار هادئ في بيونس ايرس

حين ذهبت دوروثى الى الحديقة العامة في المرة التالية وكان يوما من أيام الصيف الاولى ، كان الوقت بعد الظهر وكانت الشمس مشرقة • ارتدى الاطفال ملابس قطنية جديدة مليئة بالثنيات ومن تحتها الجونلات البيضاء المنشاة •

جلست دوروثى في ردائها الابيض تقرأ صحيفة انجليزية في ظل الشجر • « خسائر فادحة في فيردن •• » ربما يرقد الآن في الجبهة شاب جميل وشهم مثخنا بالجراح والدماء تنزف منه ، يجب أن تعود لتسهم بما تستطيع، تعمل ممرضة أو تفلح الارض ، أو تعمل في مصانع العتاد الحربى • امتلأت عيناها بالدموع وهي ترفع بصرها عن الجريدة • لم يكن الاطفال أمامها ، وعلى مقعد مجاور جلس الرمادي بمفرده وهو يرمقها بنظرة حزينة • نهضت وسارت خطوات قليلة في اتجاهه وهي تنادى « مارى ! ايزوبيل ! » ثم استدارت عائدة الى مكانها ، وفجأة اندفع الاطفال خارجين من دغل مزهر ، حيث كانوا يختبئون ، وهم يصيحون « بو » •

قالت ماري :

من فضلك يا دوروثي هل يمكن ان ناخذ جريدتك لنصنع منها حدأة ؟

ـ بالطبع لا ، فانا لم انته من قرائتها • العبى بالطوق ولكن لا تذهبى الى الحشائش •

ـ وهل ستنتهين من قرائتها ؟ ••

ـ حسن • سنذهب في الاتجاه الآخر

ـ سنرى •

ونرى من منا يعود الى هنا أولا •

وضربت مارى طوقها الخشبى الذى اصطدم برجل الرمادى • وقف والتقط الطوق وشكرته الفتاة بابتسامة « جراسياس سنيورا » فأجابها « دى ناداسنيوريتا » وهو يفكر « يالها من فتاة صغيرة جميلة بساقيها النحيلتين » كانت تضع على رأسها قبعة من القش حولها شريط ملون •

جرت وهى تدفع الطوق أمامها وشعرها الطويل الجميل يتأرجح على ظهرها تنبهت دوروثي الى أن الرمادي شخص مهذب وتساءلت عما اذا كانت قد تسرعت في الحكم عليه • انه يبدو بالفعل كجنتلمان ، وحين بدا انه يطلب منها موافقتها اعطتها له حين ابتسمت نصف ابتسامة • نهض فورا وجاء ليقف على مسافة منها • والقت أوراق الشجر الخضراء ظلالا رقيقة على انفها الدقيقة وعينيها الطويلتين السوداوين وعلى منحنى رقبتها البيضاء •

« هل استطيع ان اجلس واتحدث معك لحظة ؟ »

ـ « حسن ـ للحظة •

جلس الرمادى على أقصى طرف المقعد الخشبى • انى اعجب للغاية بكل ما هو انجليزى • ان الانجليز قوم منضبطون ، يحافظون على المواعيد ، واقعيون • ان السكك الحديدية ، والتليفون ، والترام كلها تعمل بكفاءة بواسطة البريطانيين ؟

ـ هل زرت انجلترا ؟

ـ أبدا • ولكنى قرأت الكثير من الكتب الانجليزية

ـ انك تتحدث الانجليزية بطلاقة •

ـ انه كرم منك ان تسمحى لى بالتحدث اليك •

ضاقت عينا دوروثى السوداوان حين سقط عليهما الضوء والقت نظرة على يده المفعمة بالرجولة ، كانت يده ناعمة ونظيفة تستلقى على ظهر المقعد، على مسافة منها •

ـ هل أنت كاتب ؟

غير من وضعه قليلا وحرك يده علامة النفى ونظر بعيدا في حزن • لا • لقد اعتزلت منذ سنوات لاسباب صحية • صحة زوجتى • ان زوجتى مريضة •

ـ ولكن ماذا كنت تعمل من قبل ؟

ـ الخدمة المدنية ،

ـ أظن أنه يجب أن تذهب الآن لا أحب أن يرانى الاطفال وأنا اتحدث اليك •

نهض ومر بجانبها ومشى بعد ان أخرج الخطاب من جيبه ورماه في حجرها •

وأخيرا ، في حجرة نومها الصغيرة التى تطل على حدائق المنازل المجاورة وبجانب صورة أخيها الوسيم في خوذته وبنطلونه الكاكى القصير ، فتحت خطاب الرمادى •

سيدتي الانجليزية العزيزة ••

ارجو الا تظنى أن في هذا الخطاب ما يمسك من بعيد أو قريب • فالحق أنه مضى وقت طويل منذ أن راودنى الامل في التعرف اليك وفي أن يكون بيننا حوار مهذب باللغة الانجليزية •

ان زوجتى انجليزية ، وقد ولدت في هارتبول • ولسوء الحظ فانها تلازم الفراش منذ سنوات عدة • وانه لشرف كبير لى ولزوجتى لو تفضلت بزيارتنا وتناول الشاى معنا يوم الثلاثاء الساعة الرابعة والنصف • ولست مطالبة يا سيدتى بارسال أى رد لانى ساكون في البيت على أى حال فى ذلك الوقت

آملا أن أسمع طرقاتك على باب منزلي • فهل ستخيبين أملي ؟ سيدتي •• اننا زوجين انطوائيين يرف علينا الحزن ولن تكون جلستنا حافلة بالنكات والضحك ولكن هل أرجوك ياسيدتي التحلي بالكرم والشهامة •

واخيرا لك خالص التحيات •

ادجاردو فيلجاس

كان التوقيع واضحا ولكن دوروثي القت الخطاب ومسحت أصابعها كما خطت شعرها وارتقت السرير تحت الناموسية واستلقت على مساندها الدافئة تفكر في الرمادى • هل أوشكت على الوقوع في حب الرمادى ؟

تذكرت الرمادى وهو يمر بالقرب منها بوجهه المحدد الملامح وشعره الرمادي كانت هي وجوندولين تشعران بشيء من الغيظ وشيء من السرور لدى رؤيته • ومرت في أوصالها رعشة حلوة تحمل قدرا من الاحساس بالذنب واغلقت عينيها مصممة على عدم التفكير في الدعوة حتى يوم الثلاثاء •

بعد ظهر يوم الثلاثاء كان الاطفال قد ارتدوا قمصان نظيفة مطرزة مثبتة بازرار صغيرة • كانوا غاضبين لقلة هدايا عيد الميلاد التى كانوا يزمعون أخذها الى الحفل وشكت ازوبل من آلام عصبية في جانب رأسها • ارتدت دوروثى أحسن فساتينها الحريرية وحذاء جميلا وقبعة سوداء من القش بها شريط ينزل على وجهها • بعد أن تركت الاطفال في الحفل قررت أن تأخذ الترام الى قلب المدينة حيث المتاجر الحديثة في بيونس ايرس ولكنها وجدت نفسها تسير في الطريق الذى تظلله الاشجار المسمى بطريق فيريز تبحث عن رقم ١٢٧٨ • ارتعدت قليلا لان الرمادى لم يطلب من جوندولين الذهاب معها • ولكن جوندولين لم تكن تستطيع أن تذهب معها لانها مضطرة للذهاب الى اجتماع جمعية الصداقة للفتيات في الابرشية الانجليزية •

انتابها شعور بارلاتياح لانها لم تكن في عجلة من أمرها ، لان جراى (الرمادى) كان هناك في انتظارها ، ربما كانت اعصابه مشدودة من جرام الانتظار كأوتار الفيولينه التى تنتظر لمسات العازف • سارت دوروثى بخفة وفي مخيلتها تتردد نغمات تانجو مرح •

كان البيت الصغير مختبئا خلف أشجار النخيل القصيرة وشجيرات الدفلى المزهرة • كان ثمة اطار حديدى على الباب ذى الواجهة الزجاجية وجرس جذبته واستطاعت أن تسمع رنينه بالداخل • وسرعان ما سمعت دوروثى صوت خطوات وفتح جراى الباب • كان يرتدى بذلته الرمادى المعتادة وعيناه الرماديتان مليئتين ببريق الاهتمام والاعجاب •

ـ آه ، سينيوريتا ـ ،

ـ « دوروثى بلتون » •

ـ « سينيوريتا بلتون » • كان صوته عميقا ، ورفع يدها الى شفتيه وقال بلهجة أجنبية طريفة « ارجوك الدخول • انه لمن حسن الحظ أن تجدى وقتا لزيارتنا » •

ـ « كان رقيقا منك أن تدعونى »•

وقادها الى غرفة مواجهة كانت معتمة بسبب ستائرها المسدلة وفروع أشجار النخل المورقة خارج النوافذ • رأت مجموعات من الكتب في اغلفة داكنة ، وكراسى ذات مساند مغطاة بالجلد الاسود ومنضدة فوقها صينية فضية عليها دانتيلا بيضاء ، وطاقم شاى من الفضة وطبق من البسكويت • وكان ثمة فنجانان اثنان •

ـ « لم تستطع زوجتى مغادرة الفراش كما تعرفين • نشرب الشاى هنا ثم نلحق بها » •

احست دوروثى بشيء من الارتياح لان السيدة فيلجاس لم تقدم لها بعد • وغاصت في احد المقاعد الداكنة وحملقت مرة أخرى في أرجاء الغرفة ثم في جراى الذى كان يصب الشاى في فنجانها من اناء الشاى اللامع • « هل تحبين اللبن ؟ شريحة ليمون ؟ سكر ؟ » •

أحست برائحة التخمر النفاذة التى انبعثت من خطابه وودت لو تفتح النافذة المطلة على الحديقة • وبدا أن قبعتها تضغط بشدة على جبهتها، وكانما

احس جراى بأفكارها اذ قال :

ـ « ربما تحبين خلع قبعتك · لا اكاد ارى وجهك » ·

وأخذ منها قبعتها باحترام ووضعها على كرسي · ثم قدم لها قطعة من البسكويت الصغير الذى احست فيه بطعم حبوب الكراوية القوى ·

حولت دوروثى عينيها عن نظراته الشغوفة النفاذة ، ونظرت الى الكتب ذات الاغلفة السوداء واكتشفت صورة امرأة ترتدى معطف فراك أسود وملابس حداد سوداء وتحمل قبعة · كان الرمادى ينظر اليها في هذه اللحظة ·

ـ انى في غاية السرور لانك هنا ·

ـ وانا سعيده لانى جئت ·

قالت بتردد ثم واصلت حديثها : لماذا ترتدى دائما اللون الرمادى ؟ هل أنت في شبه حداد ؟ » ·

كان ما يزال يبتسم لها في سرور ، وهو يلحظ كل حركاتها ؟ ·

« رمادى ؟ الا تحبين هذا اللون ؟ على اى حال فانه نفس لون جمجمة الانسان

·· لون أساسى تماما » ·

كان جو الحجرة باردا للغاية بالمقارنة بالجو الحار في الخارج ·

« كنت تنظرين الى كتبى · لدى الاعمال الكاملة لجورج ميرديث » ·

ـ « تذكرنى قرأت « لانانى » كان ذلك وانا في الصف السادس في المدرسة » ·

ـ « لكل كتاب عطره الخاص · زوجتى اسمها ليتيتيا مثل السيدة التى في رواية « الانانى » ·

ـ « الا نذهب لنراها ؟ اليست في انتظارنا ؟ » ·

ـ « بكل تاكيد » ·

أمسك بذراعها ليسندها بينما يسيران عبر الباب الى الممر المغطى بالقرميد ثم دق على باب في آخر البيت· كانت حجرة النوم دخلاها مغطاة بالستان الاحمر الداكن وكانت ثمة نافذة واسعة مفتوحة على فناء حجرى مزروع بالياسمين · فوق السرير علقت صورة المسيح مصلوبا ، وقد دقت المسامير في الجسد الشمعى الاصفر ، وسالت الدماء على وجهه من اكليل الشوك · كان السرير مغطى بالستان الاحمر الداكن وفوقه هيكل عظمى آدمى في ملابس زفاف من الدانتيلا · وبدا أن شعرا مستعارا قد وضع على رأس الهيكل العظمى وفوقه دانتيلا بيضاء مزينة بزهور البرتقال · كانت الحجرة عبقة برائحة زهور البرتقال النفاذة · حاولت دوروثى أن تصرخ ومدت يديها ، طالبة النجدة · واحتواها الرمادى بين ذراعيه ·

حين استعادت وعيها كانا في حجرة الاستقبال مرة أخرى وكان هو يدلك جبهتها ويديها بماء الكولونيا ·

كان جالسا الى جوارها على اريكة جلدية سوداء يسندها بذراعه حول جسدها · كانما كانت بين يدى طبيب يرعاها · احست بالضعف والمرض حتى انها لم تكن قادرة على اظهار غضبها منه وانما فقط عرفانها لرعايته لها ·

ـ كانت الصدمة قوية عليك · انى أسف ·

ـ أحس بالاغماء ·

ـ ارجوك دعينى اشرح لك الامر ·

« قابلت زوجتى لاول مرة منذ سنوات طويلة في نفس الحديقة حيث رأيتك · كنا في سن الشباب المبكر · كانت انجليزية وتعمل مربية لبعض الاطفال الاغنياء الذين عاملوها معاملة سيئة · لم يكن لها أحد ترجع اليه في انجلترا· في تلك الايام لم تكن تنقصنى الوسامة واستطعت أن اتحدث معها بالانجليزية · اعتدت أن أجلس الى جوارها في الحديقة واستمع الى متاعبها وامسح دموعها بمنديلى حين تبكى · كانت جميلة جدا ولكنها متواضعة جدا حتى انها لم تكن تحس بجمالها » ·

« فجاة تزوجت ليتيتيا واحضرتها الى هنا · اعتادت ارتداء الالوان القاتمة · الرمادى ، مثلا ، مثل المربية في رواية برونتى · كانت مغرمة بالرياضة خارج المنزل · وكانت تقول ان هذا من المميزات الانجليزية الهامة التى تحفظ نشاط ذهنها · لم استطع مجاراتها في الخروج · اعتادت ان تعود من نزهاتها وقد تورردت وجنتاها وتدعونى « سلحفاتها » · كانت هى الارنب البرى وأنا السلحفاة · وكنت جد سعيد ان تدعونى سلحفاتها » ·

« صادقت زوجتى سيدة انجليزية ، فنانة اسمها مارى بوتر · كانت ترسم مشاهد طبيعية على مساحات واسعة جدا من الكانافاة ، تصور الغروب الدامى فوق التلال المغطاة بالثلج ، في الوان مشتعلة · كانت رحالة عظيمة وقد أغرت زوجتى ـ » ·

ـ ارجوك لا تحكى اذا كان ذلك يؤلمك ·

ـ ارجوك دعينى اكمل · اريد أن اقص عليك لانك انجليزية · لانى حين رأيتك في الحديقة ذكرتنى بها · لقد احببتها من كل قلبى ·

ـ نعم ، انى مصغية ·

ـ « خرجت لاتيتيا ومارى بوتر الى سفوح جبال الانديز خلف لاريوجا في رحلة طويلة · كانت منطقة وعرة

جردام ، لا يسكنها سوى عدد قليل من الهنود • رفضتا الاستعانة بمرشد • ثم اختفتا •• بالطبع نظمنا حملات للبحث عنهما ولكن الامر لم يكن سهلا• كان الوصول الى المنطقة اما سيرا على الاقدام أو فوق ظهور البغال • بعد فترة فقدنا كل أمل في العثور عليهما • ثم حدث بعد عدة شهور أن اكتشف احد الهنود الحمر هيكلها العظمى في قاع الوادى ، وقد جردته النسور من اللحم تماما ، ولم يبق سوى شعرها الجميل • أما جثة مارى بوتن فلم يعثر عليها بالمرة • أخذت عظام زوجتى الى بوينوس ايرس ونظفتها وعالجتها بالمواد حتى بدا الهيكل العظمى مثل لدمية • الآن ترين انها دميتى • لبستها ملابسها الجميلة واصبحنا نلعب سويا ألعابا صغيرة • العاب حب صغيرة » •

في هذه اللحظة كان يحملق فيها بعينين واسعتين مستديرتين ممسكا بركبتيها • « هل تظنين اننى أصبحت مجنونا ؟ » •

ـ يجب أن تحاول ضبط اعصابك • انك تحتفظ بها هنا لانك تحبها جدا •

ـ نعم ، هذا صحيح « فجأة ابتعد عنها وغاص في الكنبة » أقول لك الحقيقة لقد اصابنى بعض الضيق • ان علاقتنا من طرف واحد •

ـ « قل لى ، ألم يصر أحد على ضرورة دفنها طبقا للتقاليد المسيحية ؟

ـ لقد اعطيت الهنود نقودا لكى لا يتكلموا • ولم يصل الفصل الاخير من قصة ليتيتيا الى الصحف ولم يعد أحد يذكرها الآن ، ولدى صديق طبيب كان عونا كبيرا لى في ذلك الوقت • ومازال يأتى ليلعب معى الشطرنج في المساء بين حين وآخر • هذه هي زوجتى وقد رويت لك كل شيء » •

ـ ماذا قال عنك ؟

ـ قال اننى في حالة مرضية واننى لو وجدت سيدة انجليزية شابة لتحل محل محبوبتى ، فربما أمكن لى أن استرد صحتى العقلية •

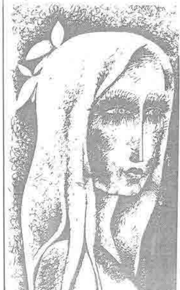
جاهدت دوروثى لتتغلب على احساس بالغثيان وحاولت أن تتحدث بوضوح •

ـ حقيقة يجب أن اذهب • هل تتفضل بالبحث لى عن تاكسى ؟

ـ كما تريدين • هل تحسنت الآن ؟

ـ قليلا •• أظن اننى استطيع السير الآن مستندة على ذراعيك •

نهضت مستندة على ذراعه • وتذكر جراى قبعتها ووضعها بحرص على رأسها ، ثم سارا خارجين الى ضوء الشمس • وسرعان ما استقلا عربة يجرها حصان عجوز ، وجلسا ملتصقين



ذراعه حولها ويدها في يده • وحين وصلا الى بيتها رفع اصابعها الى شفتيه •

ـ سوف يرى كل منا الآخر كل يوم • سوف تحبيننى •

حين دقت الجرس جاءت خادمة الى البوابة وبدأت تتساءل في ذعر بالاسبانية •

ـ ماذا حدث للسينيوريتا ؟ هل وقع لك حادث ؟

ـ تعبت وأنا في الشارع• واحضرنى هذا السيد الى البيت •

ونظرت المرأة بشك الى الرمادى •

ـ كم هى شاحبة ! استندى الى ذراعى ياسنيوريتا • ادخلى •

ـ خذى بالك منها ، انها ضعيفة جدا •

قالها الرمادى بصوته العميق • رفع قبعته ثم صعد الى العربة التى بدأت السير محدثة صوتا على أرض الطريق •

حين فكرت دوروثى في الامر قررت أن تحتفظ بسر زيارتها للمنزل رقم ١٢٧٨ بشارع فيربيز ولا تخبر به احدا من أسرتها • احست انها لم تقم بدور بطولى في القصة وقررت ان تمحو الامر كله من ذهنها • وحين ذهبت الى الحديقة اختارت ان تجلس في مكان آخر وبهذا تجنبت رؤية جراى مرة أخرى ، ولكن في بعض الاوقات كانت ذكراه تراودها في احلام هى خليط من السعادة والرعب وطالما بللت دموعها الوسادة • ولم يمض وقت طويل حتى عادت الى انجلترا لتقوم بدور في الحرب وعملت في الرقابة على البريد حيث كانت تقرأ خطابات الحب التى يبعث بها الآخرون •

د. مصطفى الديواني

هل نال الطفل العربي كل حقوقه؟



هل ننشئ وزارة للطفولة والأسرة

مقدمة لابد منها :

فى شهر اغسطس من عام ١٩٥٦ عدت انا الذى أفنى في الرحلات وارتياد المؤتمرات زهرة عمره • من مؤتمر الاطفال الدولى الثامن الذى عقد في كوبنهاجن ، وقد أعقبته ندوة نظمتها الهيئة الصحية العالمية عن تعليم مادة طب الاطفال بالجامعات عقد في استوكهلم عاصمة السويد • وكانت الباقة فريدة جمعت كبار أساتذة الاطفال من كل بلاد العالم والذين تصادف اشتراكهم في مؤتمر الطفولة الدولى • واستمرت الندوة اربعة ايام تقاربت خلالها رؤس كثيرة وكبيرة مثل الاساتذة : دبريه الفرنسى وفانكونى السويسرى ، وجوميز المكسيكى واشار الهندى ، ودى سيلفا من سيلان وحامد خان من باكستان وغيرهم من الامريكان والانجليز ذوى الشان في فرع تخصصهم وتوطدت بيننا صداقة كبيرة فقد كنا نعيش اليوم باكمله سويا نتقاسم اللقمة التى لا يمكن وصفها الا بالهينة ، ونتبادل الرأى حتى نصل الى الاصوب •• كل هذا في جو تسيدته صداقة ومحبة وتجلت فيه بساطة العلماء وتواضعهم •

واسترعى اهتمامى لاول مرة شدة الاهتمام بتعليم مادة طب الاطفال في الجامعات وكنت متشبعا اذ ذاك بالفكرة المتخلفة التى تقول أن في ميدان الدراسات العليا متسعا للجميع وانه يكفى الطالب الطفيف من المعلومات في هذا المجال ناسيا أو متناسيا ـ شأن العاجز ـ ان نسبة الاطفال المترددين على عيادة الممارس العام قد تصل الى خمسين في المائة لذا يجب أن يكون خريج كلية الطب ملما الماما تاما بمبادىء طب الاطفال والا ضيع على مرضاه فرصة الشفاء •

ثلاثمائة ساعة

وظلت المؤتمرات تتلقفنى واحدا اثر اخر وكلها تبدأ أو تنتهى بندوة عن تعليم مادة طب الاطفال فى الجامعات وكلها تصر على أن يكون طب الاطفال مادة أساسية في الامتحانات النهائية ، فتكون له ورقة خاصة وامتحان عملى وشفوى خاص • ولا ينجح الطالب بدونها واجمعت الاراء على مدى السنين أن يكون مقرر تعليم الاطفال ٣٠٠ (ثلاثمائة) ساعة على الاقل بين محاضرات ودروس عملية •

وكنت أردد هذه المبادىء التى تشربت بها نفسى في جميع مؤتمراتنا الاقليمية والمحلية وأحاول مع الزملاء القدامى أمثال شفيق عباس وممدوح حنفى اقناع الاوساط الجامعية بالفكرة ولن أنسى وانا انادى بهذه الانطباعات في مؤتمر الاطباء العرب المنعقد في بغداد في عام ١٩٦٣ •

فما شعرت الا والاستاذ الدكتور رياض فوزى يهب من مقعده منفعلا وهو يتساءل أتريد أن تخصص للاطفال ثلاثمائة ساعة ؟!) وكانه يستكثر عليها حتى ثلث هذا العدد من الساعات !••

ومرت السنوات وكبار الاساتذة ينظرون الى الطفل نظرة كلها هزؤ وسخرية وهم بمختلف الجامعات • حتى لقد ناقشهى مجلس جامعة القاهرة ذات يوم في موضوع ادماج دكتوراه طب الاطفال في دكتوراه الامراض الباطنية وتسميتها دكتوراه امراض باطنية ثم تضاف كلمتى طب الاطفال بين قوسين ، ونال الاقتراح شبه اجماع •

وفي يوم « الطفل العربى » الذى عقد وهو المنبثق من الجمعية المصرية لطب الاطفال التى أتشرف برئاستها ، القيت خطابا في حفلة الافتتاح عقب خطاب مندوب السيد الرئيس جمال عبد الناصر ، ووضعت النقط فوق الحروف بخصوص موضوع تعليم مادة طب الاطفال بالجامعات •• وما كدت انتهى من خطابى حتى همس وزير التعليم العالى انذاك الدكتور عبد الوهاب البرلسى في اذنى ـ وكان يجلس بجوارى ـ قائلا : « شد حيلك •• أنا لا أمانع اطلاقا •• » ووفى الوزير بوعده وكان له فضل في تحقيق هذه الرغبة ـ اى جعل أمراض الاطفال مادة مستقلة لا ينجح الطالب بدونها وطبق هذا النظام فعلا هذا العام •

كلية طب الاطفال

وكنت في « براج » عاصمة تشيكوسلوفاكيا في سبتمبر من عام ١٩٦٦ ودعانى صديقى الاستاذ هاوستك عميد كلية الاطفال ببراج لحضور حفلة افتتاح العام الدراسى الجديد ، وكان الحفل يبهج النفس التواقة ، فطلاب الجامعة اطباء اطفال المستقبل بدوا في ردائهم الجامعى في ابهى حلة وكأنهم اختيروا اختيارا خاصا للمهمة التى تنتظرهم ، فما اسهل تطويرهم بعد ذلك ليصبحوا اطباء صالحين مادام المظهر ، وما دامت النفسية والعقلية تتناسب تماما مع ما يجب عليه طبيب الاطفال من شفافية الروح ورقة العاطفة • وكان اغتباطى شديدا عندما سمعت بين الرطانة التشيكية في كلمة الافتتاح بأسمى يذكر كأحد الحاضرين الضيوف وكان ذلك بايعاز من صديقى العميد بطبيعة الحال •

وغادرت المكان وانا لا أصدق عينى فها هى احلامى تتحقق في خيال الاخرين ، وأخذ شيطان الامل يداعبنى هامسا كيف تقف الامال عند ورقة خاصة للاطفال في امتحان البكالوريوس بينما هناك اشياء واشياء أسم احدها كليات طب الاطفال وأسم الاخرى مجلس أعلى للطفولة ووزارات للطفولة •

اسوة بوزارة العمل ووزارة الشباب ••



وزارة للطفـــولة والاسرة

لا شك أن تقدم الامم لا يقاس الا بقدر ما تقدمه للنشء من أبنائها من رعاية تحقق له نموا صحيا واجتماعيا صحيحا ومساعدة المريض أو العاجز لتوفر له أنواعا من الرعاية التى يستطيع الفرد أن يقوم بها دون عون الدولة . كان حسنا علينا ونحن نخطط للثورة في مجال رعاية الاطفال أن تجمع كل خدمات رعاية الطفولة ونزيدها الى المرتبة التى تناسب التطور ونمو الامة في هذا العصر الاشتراكي .

وانشاء وزارة صحة الطفل أو مجلس أعلى للطفـــولة يتيح للامة هذه الخدمات مجتمعة تحت رئاسة واحدة لخدمة الغرض الاسمى . وهو احاطة الطفل بهذا السياج الــذى يجعل منه مواطنا سليم الجسم والعقل فترعاه وهو جنين ومتى خرج الى الدنيا تمتع بكل مزايا المجتمع الاشتراكى الذى يرمى الى رفاهية المواطن منذ الساعة الاولى لوجوده في هذه الدنيا حتى ينمو نموا حسنا متدرجا مــن مراحل الطفولة الى سنين المراهقة ثم الشباب والرجولة مدعمـا طوال الوقت برعاية اجتماعية ووقائية وعلاجية تقيه عوادى الزمن .

واذا تخيلنا أن نسبة وفيات الاطفال الرضع في جمهورية مصر العربية تبلغ حوالى ١٦٠ في الالف بينما هى في السويد مثلا ١٦ر٦ في الالف ، وفي هولندا ١٦ر٨ وفي الدينمارك ٢٢ر٤ وفي الولايات المتحدة الامريكية ٢٦ر٤ وفي انجلترا ٢٣ر١ وفي استراليا ٢١ر٥ وفي بولندا ٣٢ر٩ وفي اليابان ٣٣ر٧ ، وفي كندا ٢٨ر٤ ، وفي الاتحــاد السوفيتى ٤٠ر٦ .. لادركنا الخسارة الفادحة في الارواح التى ســلمتنا مصيرها وقمنا بمحاولات كثيرة في سبيل انقاذها ولن تــتم الرسالة حتى عملنا يقوم على أسس علمية سليمة نرجو ان تكلل بالنجاح فما حياة الطفل الا عنوان وفي الامم المتقدمة وفي بلاد مثل روسيا وتشيكوسلوفاكيا قد خططت كليات طب لدراسة مشاكل الطفولة وأمراضها مما يمثل الاتجاه العـــام في العالم المتمدين لضمان خلق جيل صاعد يمد الدولة بسواعد فتية تفيدها في كل نواحى النشاط سواء كان خلال السلم أو الحرب . ولا يكفى ان نحمى الطفل من المرض والجوع بل يجب ان ننظر الى الطفل كمواطن المستقبل فيجب احاطته بكل الضمانات الاجتماعية التى تحميه من أدران المجتمع وشوائبه التى تدفعه الى التشرد النفسى ثم الى الاجـــرام والانحراف . وليس أدل على أهمية ذلك من الموافقـــة الاجماعية التى حصل عليها تصريح حقوق الطفل في اجتماع الجمعية العمومية للامم المتحدة عام ١٩٥٩ .

ان الثالوث الخالد (الطفل) ، المجتمع ، الامة ، يتكون من عناصر ثلاثة يكمل احدها الاخر ويعتبر الطفل عمودها الفقرى فمتى شب سليما فهناك شاب يافع غير منحرف . ورجولة كاملة تدرك واجبها نحو الله والمجتمع والوطن .

لذلك نرى ونحن الحريصون على صالح الوطن وحمـــاية الطفل ورعايته اقتراح الاتى :

أولا : تنشأ وزارة تسمى وزارة صحة الطفل . أو مجلس أعلى للطفـــولة .

ثانيا : تهدف الوزارة أو المجلس الى تدعيم الاسرة ورعـاية الطفولة من الناحية الاجتماعية والوقائية والعلاجية بما يعود على الطفل وعلى الوطن بالنفع العميم ، وفي سبيل ذلك تقوم الوزارة بالاتى :ـ

مرحى للحيـــاة

ملء حياتنا افراح بلا عناوين ..

انها تلك الافراح التى تقدمها لنا اصغر الاشياء

مجرد الاعجاب بتعليق طائر جميل .. مجـرد تحية صباح لم يقتلها الملل .. مجرد ابتسامة نراها في عينين لا تكذبان .. مجرد (العرفان) بأن العمل الذى انجزناه ـ مهما يكن صغيرا ـ يستحق التقدير .

مجرد (دفء) العاطفة ، ونحن نفتح ذراعينـا لضيف قادم .. مجرد العذوبة في همسة الصوت .. وحفيف اوراق الشجر .

ان الحياة (اغنيـة) لو نعـــرف كيف نعزف الحانها .

واغنية الحياة (نهر) يتدفق بالافراح الحقيقية، كلما فتحنا صدورنا للامل ووجدنا متعة العمـــر في أن نفرح فرحة الاطفال بتلك الاشياء العـــادية ونقول صادقين : (مرحى للحيـــاة) .

(أ) الناحية الاجتماعية : وتشمل :

- رعاية الاسرة وتنظيم النسل ويوجد منها حاليا أربعون مركزا أو اكثر تتبع المجلس الاعلى لتنظيم الاسرة الذى سوف يضم الى وزارة الطفولة والاسرة .
- دور الحضانة ولها أهميتها البالغة في مجتمعنا الاشتراكي الذى تساوت فيه المرأة مع الرجل ويجب أن تكفل لها الراحة النفسية اذ ... وليدها في أيد أمينة خلال عملها بالنهار أو الليل .
- النواحي الرياضية واستكمال امكانياتها من نوادى ومخيمات بالمعاونة مع وزارة الشباب .
- التنسيق بين نشاط الهيئات الاهلية والحكومية المعنية برعاية الطفولة سواء السعيدة منها أو المشردة منها والمريضة كمرضى الروماتزم والسل وغيرها ، وربطها جميعا بسياسة عامة موحدة .
- أبداء الرأى في التشريعات الخاصة بحماية الطفولة وسلب رعاية الوالدين الذين تثبت عدم كفايتهم لرعاية أطفالهم واقتراح مشروعات القوانين التى تضمن حماية الطفل بما يكفل تنظيم سياسة الوزارة .

(ب) الناحية الوقائية وتشمل :

- مراكز رعاية الطفل بالجمهورية ويوجد منها حوالى ١٥٢ في بنادر المحافظات ومراكز المحافظات والف وخمسمائة ملحقة بالمجموعات الصحية والوحدات المجمعة والوحدات الصحية الريفية وسوف تزيد في الخطة الخمسية الثانية الى حوالى الضعف .
- الاشراف على برامج التطعيم الوقائى ضد مختلف الامراض بحيث لا يبقى طفل في الجمهورية من أقصاها الى أدناها لا يتمتع بالتحصين الواقي من أمراض الطفولة مثل الجدرى والدفتريا وشلل الاطفال والحصبة والانفلونزا وغيرها مما قد يجد .
- تقديم المعونة في شئون الصحة المدرسية ورفع مستوى العناية بالتلميذ في مدرسته وهو يتهيأ ليكون مواطنا صالحا خاليا من الامراض والعقد النفسية .
- المساهمة في مكافحة أمراض الاطفال .
- انشاء دور النقاهة ومعاونة الدور الموجودة في سبيل تأدية رسالتها على الوجه الاكمل كدور النقاهة من السل والروماتزم .

(جـ) الناحية العلاجية :

- تقديم المعونة العلمية والعلاجية وتدعيم أقسام الاطفال بالجامعات والمستشفيات العامة وذلك بتوفير وسائل العلاج والغذاء والتشخيص كالاجهزة المعملية ليفيد المرضى من التقدم العلمى والمعملى الذى لا غنى عنه في رفع مستوى العلاج .
- انشاء مستشفى أطفال نموذجي بمدينة القاهرة . وهى التى تنمو وتزدهر بحيث أصبحت عاصمة الشرق بحيث وجب انشاء مستشفى من هذا النوع يكون بمثابة مركز بحوث طبية تفد اليه حالات العلاج من كافة قطاعات الدولة ومركز علاج دولى للامة العربية جمعاء .ومنطقة شرق البحر الابيض المتوسط وما عداها . وسوف يشكل كل فروع التخصص الدقيق في طب الاطفال سواء في ذلك أطباء الدراسات العليا بالجامعات أو اطباء الاطفال الموفدين من وزارة الصحة ووحداتها المختلفة في مهمات تدريبية قد تطول أو تقصر .

رعاية الفئات الخاصة :

- الشلل بأنواعه بما فيه الخلقى والمكتسب .
- رعاية الصم والبكم من الاطفال .
- رعاية ضعاف العقول الذين تنقصهم رعاية الدولة وذلك بانشاء دور خاصة بهم تستوعب هذا العدد الهائل من الذين يلقون بأنفسهم كعبء على المجتمع ، لتأخذ بيدهم نحو مجتمع أسعد وأفضل وفي بيئة علاجية ارشادية .
- رعاية العميان من الاطفال .
- التشوهات الخلقية والوقاية منها ويوجد لدراستها مراكز بحوث في بعض المستشفيات وزارة الصحة وبعض مراكز رعاية الامومة والطفولة وجامعة القاهرة وعين شمس .

لقد نص الميثاق المصرى على أن الطفولة صانعة المستقبل ومن واجب الاجيال القادمة ان نهيىء لها ما يمكنها من تحمل مسئولية القيادة **بنجاح** :

الصحة والجمال لكي تكوني رشيقة اتبعي طريقة "جان باتون" في الغذاء

ما زالت المعركة مستمرة بين السمنة والرشاقة ** فايهما سينتصر الرشاقة والجمال أم الاكتناز والترهل ؟

لا شك ان منظر السيدة او الفتاة الرشيقة ، ذات القوام المتناسق اجمل بكثير في عيون الجميع من تلك التى تحولت الى كتل من اللحم والشحم ! ودائما يزداد اى شخص في فصل الشتاء بسبب عاداتنا الغذئية السيئة ** وحينما يبدأ فصل الصيف يسرع الكثيرون الى تخفيف أوزانهم باتباع طرق عديدة يطلقون عليها « الرجيم » منها الامتناع عن الطعام ، والاقلال من السوائل او بتعاطى الاقراص التى تحد من الشهية أو الاقراص التى تدر المياه من الجسم *

ولكن قد يكون هذا الرجيم انقاسى المتبع ضارا بالصحة . وقد يكون سببا في اختلال الغدد ونظامها في الجسم ، وقد يؤدى ايضا الى هبوط حاد بالقلب ، والنتيجة في النهاية فقد القليل من الكيلو جرامات ، وليس الوصول الى النتيجة المطلوبة *

ولكن ما هى الطريقة المثلى للاحتفاظ برشاقة الجسم وسلامته دون اية مضاعفات ؟

البعض يرى ان الصحة هى النحافة، والبعض يراها في النماء المتدفقة بحيوية في الوجنات وهناك من يشعر انه لو ارتاح لتمتع بصحة جيدة *

ولكن لا النحافة ولا النماء المتدفقة ، ولا الراحة هى التى تمنحنا الصحة والسعادة ، والجسد الرشيق كما يقول « جان باتون » المتخصص في دراسة التغذية والصحة : بل ان الصحة تنبع من المطبخ ، كيف ؟

يشرح « جان باتون » الطريقة السهلة للمحافظة على الصحة فيقول :



لو أن كل فرد وضع برنامجا لحياته الصحية ، لتجنب الكثير من الامراض والمتاعب ـ « فالصحة ليست بالوزن » *

● كيف تقاوم تلك الرغبة الملحة في تناول المزيد من الطعام الشهى ؟

يقول « باتون » : انك لو منعت نفسك عن الاكل او كل ما تشتهيه النفس ** فانك ستجدين صعوبة كبيرة ومشقة في تحمل هذا الجوع ** ولو حرمت نفسك من اكل وجبة فستاكلين أضعافها في الوجبة التالية *

ولكن بقليل من الحزم والنظام في تناول طعامنا سنتعود على العادات الصحية في الاكل *

فمثلا لو اكثرنا في طعامنا من اكل الخضروات ، والفواكه الطازجة ، والمواد المحتوية على البروتين كاللحم ، والسمك ، والبيض ، والجبن ، والزبادى (الروب) والبقول (كالفاصوليا ، والفول ، واللوبيا) والخبز المقدد الهش ، والكيك الخالى من المواد الدهنية ** فهذه المواد كلها غنية بامداد الجسم بما يحتاجه من مواد أساسية لبناء خلاياه دون ان تكون هناك اية أضرار على الجسم *

الافطار جيدا

وهناك أيضا عادة صحية جيدة لرشاقة الجسم ، وهى التعود على تناول وجبة افطار كافية ** تغنى الشخص عن تناول الطعام في الوقت الذى يتخلل الوجبات الثلاثة الرئيسية ** وتكون هذه الوجبة مشبعة بحيث لا تجعله ياكل كثيرا في وجبة الغذاء

وتوجد طريقة مبتكرة للاكل وهى تناول نصف « جريب فروت » قبل اى وجبة سواء في الصباح ، او في الظهر أو المساء * والحكمة في ذلك ان « الجريب فروت » له فائدة كبيرة لانه يحد من الاقبال على الطعام بشهية ، ويشبع كما انه ايضا يقوم باذابة الشحوم المتراكمة داخل الجسم *

والرياضة

وبالطبع مع كل هذه النصائح التى تكلم عنها « باتون » يضيف انه لابد من اتباع التمرينات الرياضية وافضلها المشى في الهواء الطلق مبكرا ، او السباحة ، فهما الشيئان اللذان

اعداد : ابتسام الحديدى



يستطيع كل فرد ممارستهما • واذا تعذرت السباحة فالمشى لمسافات طويلة ولمدة ساعات يوميا يؤدى نفس الغرض • كذلك لعبة التنس والاسكواش تكسبان الجسم اللياقة والرشاقة والمرونة ، وتجعل لاعبيها في حيوية دائمة •

برنامج لمدة خمسة ايام

وقبل ان ينهى « باتون » حديثه عن الصحة والطعام الصحى ، وضع برنامجا لمدة خمسة ايام متصلة •• لمن يريد ان يتبع نظاما غذائيا صحيا •• ولو كان هذا البرنامج يريح الكثيرين فليكرروه مرة ثانية وثالثة •• وخامسة حتى يتعودوا بعد ذلك الحياة الصحية ، وخلالها يتخففون من اوزانهم • فالصحة في رايه « لا يجب ان نجعلها تجرى من حياتنا » •• واليكم البرنامج •

● اليوم الاول :

الافطار :

فواكه ـ كوب من العصير (برتقال ـ جريب فروت ـ او طماطم) •

لبن غير دسم ـ خبز محمص هش ـ عسل ـ زبد نباتى • شاى او قهوة بدون سكر •

الغداء :

جبن ـ خبز محمص هش ـ طماطم ـ تفاحة •

العشاء :

شوربة خضار ـ او سوتيه ـ برتقالة •

● اليوم الثانى :

الافطار :

بيضتان مسلوقتان ـ طماطم ـ خبز محمص هش مارجرين وعسل •

شاى او قهوة بدون سكر •

الغداء :

دجاج (مشوى ، او مسلوق) سلاطة خضراء جزر سوتيه •

العشاء :

بيض مسلوق ـ سلاطة فواكه •

● اليوم الثالث :

الافطار :

كوب من الماء الساخن عليه قليل من الليمون ـ فاكهة طازجة ـ خبز محمص هش ـ زبد نباتى ، وعسل

شاى او قهوة بدون سكر •

الغداء :

دجاج مشوى ـ خضار سوتيه (جزر ـ بسلة ـ فاصوليا خضراء ـ كرفس) ـ فاكهة •

العشاء :

سمك بانيه ـ سلاطة خضراء ـ كوب عصير ليمون •

● اليوم الرابع :

الافطار :

كوب من الماء الساخن عليه قليل من عصير البرتقال زبادى • وعسل •

خبز محمص هش عليه قليل من الزبد النباتى • فاكهة ـ

شاى او قهوة بدون سكر •

الغداء :

عيش محمص هش عليه تونه ـ سلاطة خضراء ـ جبن ـ طماطم ـ فاكهة طازجة •

العشاء :

قطعة لحم مشوى خالية من الدهون

● اليوم الخامس :

الافطار :

نصف جريب فروت ـ مع عسل

بيض مسلوق ـ خبز محمص هش عليه قليل من الزبد النباتى •

شاى او قهوة بدون سكر •

الغداء :

سبانخ مسلوقة ـ لحم مشوى ـ

العشاء :

سلاطة خضراء ـ

فاكهة طازجة •

●●●

ولكن هناك ملاحظة هامة جدا لنجاح هذا البرنامج ، وهى عند طبخ هذا الطعام الصحى يجب مراعاة النقاط التالية :

● استخدام الزبد النباتى في تحمير او قلى الخضروات وفي عمل السوتيه لانه صحى وخفيف على المعدة •

● هناك مجموعة من الزيوت ملائمة صحيا (مثل زيت السمسم ، وزيت الزيتون ، وزيت الذرة وزيت فول الصويا) • وليكن استعمال هذه الزيوت متوفرا في الطهى لانها خالية من الدهن الذى يسبب السمنة ، وزيادة تراكم الشحم على الجسم •

● الاكثار من تناول المواد البروتينية لانها مادة بانية للجسم ، وتوجد بكثرة في اللحم والسمك والبيض واللبن والزبادى •

● الاكثار من شرب العصير كالبرتقال والليمون ، والطماطم لتوافر الفيتامينات التى تكسب الجسم صحة وحيوية ـ واستخدام الجريب فروت نظرا لفوائده المتعددة كالحد من شهية الطعام ، والتخلص من الدهون الزائدة بالجسم •

● تناول العسل في طعام الافطار لانه بديل عن السكر والحلويات التى يحتاجها الجسم ـ والحد من المواد السكرية نهائيا والحلويات •

وبعد •• لابد وانك الان يا سيدتى ستعيدين النظر من جديد في طريقة غذائك •• لتكسبى الصحة والرشاقة التى تحلمين بها لجسمك ••

الحديقة .. جزء من بيتك



في كثير من الاحيان ، يتصور البعض ان حديقة المنزل هى مجرد مكان يلعب فيه الاطفال •• او توضع فيه الاشياء القديمة •• بينما هى ـ في الحقيقة ـ مهما كانت صغيرة ، جزء هام من البيت ، يضيف اليه مزيدا من الجمال ويكسبه الحيوية والتالق ويمنح الاسرة مكانا للمتعة والراحة •

كيف يتحقق ذلك ؟

الامر في غاية البساطة ، كما يقول خبراء الديكور • فالمطلوب اختيار اثاث الغرفة المواجهة للحديقة ، بحيث يتناسب مع حجم الحديقة . والنباتات والازهار المزروعة فيها ، لان الاثنين يكملان بعضهما •

فبالنسبة لالوان الاثاث ، مثلا ، يقول الخبراء انه يجب ان يتميز بالوان الحديقة •• فيكون القماش زاهي اللون ، منقوشا بالورود والازهار في بساطة دون اللجوء الى الالوان الصارخة ، التي تفقد المكان هدوئه ورقته • اما السجاد فيفضل ان يكون بلون هادىء ، ودون اية نقوش او رسوم ، ومن الافضل ان يكون يوبرة طويلة ، شبيهة بارض الحديقة ••

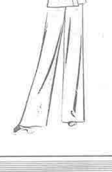
ويراعى في اختيار المقاعد ان تكون مريحة ووفيرة ، ومن نوع خفيف الوزن ، بحيث يسهل تحريكها في انحاء الغرفة •

اما الحوائط فيختار لهما لون هادىء ، يتمشى مع الالوان السائدة في الغرفة وكذلك بالنسبة للستائر ، التي تكون بدون نقوش او رسوم •

اما عن الحديقة نفسها ، فيجب ايضا ان يختار لها اثاث بسيط ، ذو الوان متناسقة ، ويفضل ان يكون ابيض ، لانه يكسب المكان منظرا جميلا •• بحيث يوفر التناغم بين الحجرة والحديقة •

وينصح الخبراء بان تكون النظرة الى حديقة المنزل او الاثاث الموضوع فيها وكذلك اثاث الحجرة المطلة على الحديقة ، نظرة واحدة •• حتى لا تتنافر الالوان وتسبب لك الازعاج• وهم ينصحون ايضا آن تختارى الوان زهور الحديقة واشكال نباتاتها بعناية ، فالشكل العام في النهاية سيكسب الجو هدوءا وبهجة تسعدك وتسعد اسرتك •

ان القاعدة الذهبية ، كما يقول خبراء الديكور ، هى توفير التناسق والتناغم بين كل الالوان بحيث يتحول المكان الى لوحة جميلة ، او سيمفونية لونية ممتعة •



اناقتك حتى في ثياب النـوم

المراة اليابانية بسحرها وجمالها ما زالت محط انظار الجميع •• وخاصة مصممو الازياء •• الذين اتجهوا في تصميماتهم هذه الايام الى تقليد الكيمونو اليابانى المشهور ، والذى ترتديه اليابانية ، في تصميم ملابس المراة الاوروبية •• وظهر هذا واضحا في عرض الازياء الذى قدم مؤخرا في لندن •• والذى كان يحتوى على اجمل وارق الالوان في ملابس النوم •

واتسمت خطوط هذه الموديلات ، بخط الكيمونو اليابانى •• بالوانه الساحرة البراقة خاصة في الارواب والبيجامات •• وامتازت هذه الموديلات بانها مصنوعة من اقمشة الساتان الناعم البراق واللانجرى الهفهاف •



لجمال شعرك

من المعروف ان تاج المرأة الجميلة هو شعرها وان اجمل انواع الشعر هو الشعر الطبيعي المتميز بلمعانه وتموجاته وبريقه •

وفي فصل الصيف حيث تؤثر الرطوبة وحرارة الشمس الشديدة على الشعر وتصيبه بالجفاف الامر الذى يجعل كل امرأة تبذل المزيد من الوقت للعناية بشعرها •• فافضل طريقة بل واسهلها يا سيدتي هي ان تجرى لشعرك (حمام زيت) فهي الطريقة المعروفة جدا في الشرق حيث تتوافر انواع عديدة من الزيوت الطبيعية كزيت جوز الهند وزيت اللوز وغير ذلك من انواع الزيوت الكثيرة التى تفيد الشعر وتغذيه وتقويه •• وتجعل خصلاته اكثر ليونة ونعومة في مواجهة هذا الحر الشديد •



وبالنسبة لطول الشعر هذا الصيف يقدم لنا « بير الكسندر » اشهر حلاقي انجلترا بعض التسريحات البسيطة ويبدو فيها الشعر قصيرا ومتوسط الطول او شعر قصير ومدرج من الخلف او طائر فوق الاذنين •• والخصلات مصففة الى الامام لتغطي جزءا من الوجه ـ او طائرة فوق الاذنين •• وهذه التسريحات تتميز بانها تبرز جمال الوجه وتضفي عليه انوثة ورقة •





اما عن الوان الشعر هذا العام فيقول « الكسندر » ان الوان الشعر تتميز بانها فاتحة حيث انتهت موضة الشعر الاسود الذى يحدد ملامح المرأة ويعطيها سنا اكبر من سنها •

والالوان الجديدة هي الوردى •• والاصفر الفاتح بلون رمال الشاطىء والاحمر الفاقع •• والبلاتين •• والبني بدرجاته •

وهذه التسريحات التى قدمها « الكسندر » تتميز كلها بانها تناسب المرأة في فصل الصيف وتجعل تصفيف الشعر شيئا سهلا للغاية •



كيف انتقل من دمشق الى المتحف الوطني في طشقند

أرسل الازهر برقيــة الى مدير المتحف الــوطني بأوزبكستان يطلب فيها موافاته بحقيقة المصحف المحفوظ بالمتحف ، وهل هو مصحف عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين ، والى أى عصر ينتسب هذا المصحف اذا لم يكن هو مصحف عثمان ، وتاريخ وصوله الى الاراضى الروسية، وأية معلومات أخرى تتعلق به •

ومصحف عثمان يثير عددا من القضايا ، أهمها مصير المصاحف التى أرسلها الخليفة الى الاقطــار الاسلامية ، وعدد هذه المصاحف ، ثم مصير المصحف الذى كان في حوزة عثمان نفســه ، وسقطت عليه قطرات من دمائه أثر مقتله •

واذا كان مصحف عثمان يثير مثل هذه القضايــا الهامة • فان وجود مصحف من مصاحف عثمان الستة في جمهورية أوزبكستان السوفيتية يكون أكثر أهمية وأشد اثارة •

وقد كان هذا الموضوع ضمن موضوعات بحثى عندما ذهبت الى اوزبكستان في صيف عام ١٩٧٣ وكتبت عن هذا الموضوع في حينه بمجلة روز اليوسف، الا أن ما تثيره برقيــة الازهر الى مدير المتحف الوطني بجمهوريــة أوزبكستان يجعل من المفيد عرض قصة مصحف عثمان المحفوظ هناك ••

ما وراء النهر ••

لقد انتشر الاسلام في هذه المناطق ـ آسيا الوسطى ـ في القرن الهجرى الاول • وذلك عن طريق اتساع سلطان الدولة الاسلامية على حساب أملاك الفرس الذين هزموا في عهد عمر بن الخطاب على يد النعمان بن مقرن الذى اقتحم نهاوند سنة ٢١ هجرية وهزم أكبر قوة فارسية حشدها يزدجرد ملك الفرس لمحاربة المسلمين ، واتجهت جيوش العرب بعد استيلائهم على نهاوند الذى سمى بفتح الفتوح الى الاراضى الشرقية لدولة فارس •• كهمذان وأصبهان • وتمكن عروة بن زيد من فتح الرى ، واستمر العرب في كسر شوكة الفرس ، ففى سنة ٢٢ هجرية غزا حذيفة بن اليمان أذربيجان وهى الآن احدى جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية ثم توجه الاحنف بن قيس الى خراسان ، وواصل القواد العرب التقدم في هذه البلاد وعلى الرغم من أن عمر بن الخطاب قد سره اتساع رقعة دولته في الشرق الا أنه مع ذلك كان لا يأمن ـ كما يقول الدكتور جمال سرور أستاذ التاريخ الاسلامى بجامعة القاهرة ـ انتقاض بعض البلاد ومن ثم خشى ان يتقدم قائده الاحنف بن قيس الى ما وراء خراسان من أرض المشرق فكتب اليه يقول : « أما بعد ، فلا تجاوز النهر ، واقتصر على ما دونه ، وقد عرفتم بأى شيء دخلتم عــلى خراسان ، فداوموا على الذى دخلتم به يدم لكم النصر واياكم أن تعبروا فتنفضوا » •

هذا هو اذن أول احتكاك اسلامى بهذه المناطق •• وتبعا لهذا نمت التجارة بينها وبين الاقطار الاسلاميــة عبر الطرق الرئيسية التى كانت تقطعها القوافل بين بلاد آسيا الوسطى والبلاد العربية وفارس • وهذا ما دفــع المسلمين الى التعجيل بنشر الدعوة بين سكان هذه البلاد ، ففى عامى ٥٥ و ٥٦ هجرية أوفد الخليفة معاوية ابن أبى سفيان قواته تحت قيادة سعيد بن عثمان لفتح البلاد ونشر الدين الاسلامى وتم له النصر عندئذ على أقوام السغدوساك القديمة ، واستشهد في تلك الحروب قثم بن عباس ابن عم رسول الله ، الذى دفن في سمرقند وهى احدى المدن الاسلامية الشهيرة في آسيا الوسطى ، وقد تابع الخلفاء الامويون ارسال البعوث الى هذه البلاد التى كانت تسمى بـ (ماوراء النهر)، وكانت هذه البعوث بهدف نشر الدعوة الاسلامية وتعليم القرآن واللغة العربية ، وفي عهد عبد الملك بن مروان أرسل قتيبة بن مسلم قائدا ومعلما فنجح في رسالته حتى أن الدعوة الاسلامية دقت أبواب الصين •

وقد تطور الاسلام فيما وراء النهر وخاصة في بعض البلاد مثل أذربيجان ، وأوزبكســتان ، وكازاخستان • ونحن مازلنا نذكر حركــة بابك الخرمى ببلاد البذ بين أذربيجان وآران شمال فارس ، والدويلات المستقلة مثل الاتابيكيين ودولة الشيروان بشاهين وغيرهــا •• وكيف قاومتها الخلافة ، وقد ازدهر الاسلام في هذه البلاد سواء في تبعيتها للخلافة أو استقلالها عنها وظهر عدد من العلماء والمفكرين المسلمين مثل ابن سينا ، والامام البخــارى والترمذى وأبو الخيثم كليب الشــاش ومحمد بهاء الدين النقشبندى وأبو بكر محمد بن اسماعيل •• كما انجبت بلاد ما وراء النهر علماء وفلاسفة وفلكيين وأطباء مثل النظــامى ، والخــوارزمى ، والفــارابى ، والفردوسي والوج بيك ، ونيزولى ، ناصر خسرو ، عمر الخيــام ، والبيرونى •

وفي القرن السابع عشر تمكن القيصر الروسى من القضاء على هذه الدول وضمها الى امبراطوريته •

هذا عن الاسلام في مناطق ما وراء النهر •• حيث يوجد مصحف عثمان •• فما هى قصة المصحف نفســه وكيف وصل الى هناك ؟

مصحف عثمان ••

يرتبط مصحف عثمان بالخليفة عثمان بن عفان وهو الخليفة الوحيد الذى ارتبطت خلافته بالالتزام علنا •• وليس ضمنا ـ بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، فقد اجتمع أهل الشورى لاختيار الخليفة الجديد بعد مقتل



مصحف عثمان

كيف انتقل من دمشق الى المتحف الوطني في طشقند

عمر بن الخطاب ودعا عبد الرحمن بن عوف ـ أكبرهم ـ على بن أبى طالب • وقال له : عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده ، وكان عبد الرحمن بن عوف يعلم أن عليا لا يرضى أن يتقيد بسياسة أبى بكر وعمر ، لذلك رأى أن يحرجه ليفسح المجال لاختيار عثمان بن عفان ، وسرعان ما تحقق غرضه ، فقد تحرج على من أن يعطى هذا العهد خشية أن تضطره الظروف الى عدم الوفاء به ، وعبر عن رفضه له بقوله :اللهم لا ، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى • ثم دعا عبدالرحمن بن عوف عثمان وقال له مثل ما قال لعلى، فقال عثمان : اللهم نعم ، فرفع عبد الرحمن رأسه الى سقف المسجد ويده في يد عثمان ، ثم قال : اللهم اسمع واشهد ، انى جعلت ما في رقبتى من ذلك في رقبة عثمان ، فازدحم الناس على عثمان يبايعونه ، وكان ذلك في المحرم سنة ٢٤ هجرية •

فالقرآن اذن هو جوهر اختيار الخليفة الجديد ، وعلى أساسه كانت البيعة له ، والثقة فيه •• ومن هنا كان اهتمامه الاول بالقرآن وجمعه ، وتدوينه ، ونشره ، وهذا لا يعنى أن القرآن لم يجمع ولم يدون في عهد النبى عليه الصلاة والسلام والخليفتين أبى بكر وعمر •• ، فالمعروف ان النبى (ص) كان حريصا منذ اللحظة الاولى على حفظ الوحى وتدوينه فور نزوله ، ويذكر الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق في بحثه الفريد عن « المصحف » أن هذا التدوين كان يتم تحت اشراف النبى ورقابته •

وعلى الرغم من أن التدوين والكتابة لم تكن من الامور الشائعة بين العرب في ذلك العصر ، وطغيان الامية ، والذين يعرفون القراءة والكتابة قلة ، على الرغم من هذا فقد كان حرص النبى عظيما على حفظ كلمات الله وتدوينها فور نزولها ، فاتخذ كتبة يكتبون آيات القرآن أولا بأول ، ويلازمون النبى حينما ذهب ومن أشهر هؤلاء الكتاب معاوية بن أبى سفيان في مكة ، وزيد بن ثابت في المدينة ، وقد كان التدوين يتم على عظام الحيوانات وقطع من الخشب ومن الفخار ومن الحجر ومن جريد النخل وجلود الحيوانات ، ومن الكتان •

وكما هو معروف كان ثلث القرآن نزل على النبى « ص » في مكة وثلثاه في المدينة أى ٨٦ سورة في مكة عدد آياتها ٤٦١٣ آية و ٢٨ سورة في المدينة عدد آياتها ١٦٢٣ وذلك خلال ٢٣ عاما منها ثلاثة عشر عاما في مكة وعشرة أعوام في المدينة •

وقد رأى الرسول الكريم أن المسلمين يختلفون في القرآن وتفسيره فاقسم الا يضع رداءه حتى يجمع القرآن ، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن فكان هذا أول تجميع للقرآن •

وعندما توفى الرسول الكريم ، وتولى أبو بكر الخلافة اقترح عليه عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن في صحف توضع بين دفتين وتكون أصلا محتويا للقرآن ، فاستدعى الخليفة زيد بن ثابت وأمره بنسخ القرآن في صحف ، فنسخه في صحائف من الرق ، متشابهة في الطول والعرض ، متفقة في النوع ، ومرتبة بين دفتين ، وقد حفظ ابو بكر هذه الصحف لديه مدة حياته ، وعند وفاته انتقلت الى عمر بن الخطاب وبقيت عنده حتى مقتله ثم انتقلت الى ابنته حفصة ام المؤمنين التى كانت تعرف القراءة والكتابة•

وأول من أطلق كلمة مصحف على القرآن الكريم سالم بن معقل ، ويروى الجاحظ ان الاحباش يقولون « ان العرب قد نقلوا عنهم فيما نقلوا « المصحف » الذى يحفظ محتوى الكتاب ، وييسر الانتفاع به ، ويصونه في تماسك وجمال » •

ويرى عدد من الباحثين أن سبب اهتمام الخليفة الثالث عثمان بن عفان بتدوين القرآن ونسخه هو الخلاف في القراءة ، ونحن نختلف معهم أن هذا هو الاساس ، انما قد يكون هذا ضمن أسباب شتى اهمها أن الخلافة والبيعة تمت ــ كما قلنا ــ لعثمان على أساس القرآن والالتزام به وليس على أساس اخر •• لكن من الاهمية أن نقدم الاسباب الاخرى التى يراها الباحثون أساسية ونراها فرعية ، فيقال أن معلمى القرآن اختلفوا في الحجاز فيما بينهم ، واختلف تلاميذهم ، وقد وقع مثل هذا الخلاف أيضا في ارمينيا (السوفيتية الآن) في جيش الفتح بين أهل

العراق وأهل الشام وتشاجروا بسبب اللهجات التى كان يقرأ بها القران والتى لم تكن معروفة لاهل البلاد جميعا في ذلك الوقت ، وقد تدارك عثمان الامر قبل أن يستفحل ، وبعد استشارة الصحابة اتفق على عمل نسخ من القرآن ترسل الى الاقطار وتكون أصلا لقراءة كتاب الله وكتابته يرجع اليها كلما دعت الحاجة ، وكان زيد بن ثابت هو الشخصية البارزة في هذا العمل الجليل ·

وكان هذا العمل يتلخص في اخراج نص مكتوب للقرآن الكريم من الاصل المحفوظ لدى السيدة حفصة أم المؤمنين ·

وقد قام زيد بن ثابت بالاشراف على هذا العمل ، وتم نسخ عدة نسخ من القرآن بالخط الكوفى على الرق ، ثم أعاد زيد بن ثابت الى السيدة حفصة مصحف أبى بكر الذى استند اليه في عمله ·

وهناك رواية أخرى تتلخص في أن الخليفة عثمان كان جالسا في بيته ينتظر أخبار المعارك الدائرة في أرمينيا وأذربيجان عندما دخل عليه حذيفة بن اليمان وقال له أدرك الامة قبل أن تختلف في القرآن ، وعلى الفور أرسل عثمان يطلب صحائف القرآن من عند حفصة ، وجمع كتاب الوحى الاربعة وأمرهم بنسخ المصحف ثم سأل : من اكتب الناس ؟ فقيل له : كاتب الرسول زيد بن ثابت ، فعاد يسأل : فأى الناس أعرب ؟ فقيل له : سعيد بن العاص ، فقال عثمان : فليمل سعيد وليكتب زيد ·

وهناك روايتان أيضا فيما يختص بعدد المصاحف وتوزيعها على المناطق الاسلامية ·

فالطبرى يذكر أن عدد المصاحف التى نسخت كانت ٦ مصاحف ، ويذكر اخرون أرقاما بين ٥ و ٧ مصاحف ·· ومن بينها مصحف اختص به الخليفة نفسه وهو الذى قتل عليه وقد سمى المصحف الامام ·

وتوزيع هذه المصاحف على المناطق الاسلامية قد يكشف لنا الطريق الذى وصل منه مصحف عثمان الى أوزبكستان بأواسط آسيا ··

يتذكر عدد غير قليل من الباحثين أن توزيع المصاحف كان كما يلى :

١ ـ مصحف الى المدينة وقارئه زيد بن ثابت ·

٢ ـ مصحف الى مكة وقارئه عبد الله بن السائب ·

٣ ـ مصحف الى دمشق وقارئه المغيرة بن شهاب ·

٤ ـ مصحف الى البصرة وقارئه عامر بن عبد القيس·

٥ ـ مصحف الى الكوفة وقارئه ابن عبد الرحمن السلمى ·

« وهكذا تلقت المناطق الاسلامية المصحف الشريف مكتوبا ومعه صحابى يتلوه على الناس ويبصر أهل كل منطقة بقراءته » ·

وهناك رواية أخرى تؤكد عدد المصاحف وتوزيعها وردت في مصحف حديث صدر عن دار الكتب المصرية عام ١٩٥٢ وروجع بواسطة شيخ الازهر ، جاء في مقدمة طبعته الاولى صفحة (ج) ما يلى :

« كتب هذا المصحف وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدى الكوفى لقراءة عاصم بن أبى النجود الكوفى التابعى عن أبى عبد الرحمن عبد الله حبيب السلمى عن عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التى بعث بها عثمان بن عفان الى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذى جعل لاهل المدينة والمصحف الذى اختص به نفسه » ·

فأى مصحف من هذه المصاحف هو الذى وصل الى أوزبكستان ·· ؟ وكيف ·· ؟

في طشقند ··

كانت هذه الاسئلة تحوم في رأسى عندما وصلت الى طشقند عاصمة جمهورية أوزبكستان في صيف عام ١٩٧٣ ·· وكان يسبق هذه الاسئلة سؤال أساسى وهو : هل يوجد هنا مصحف يرجع الى العصر الاسلامى الاول كما يتردد في الاوساط الوثائقية ؟ وهل هذا المصحف هو من المصاحف الستة التى أمر الخليفة عثمان بنسخها ؟ ·

كانت هناك حقيقة يغلفها الضباب ، هى أنه يوجد في طشقند العاصمة مصحف عثمان ·· وعلى مدى هذه الحقيقة كانت زيارتى الى طشقند ··

واسترعى انتباهى في احدى نشرات المتاحف اشارة الى التراث القومى للمسلمين ، فقررت أن أبدأ بزيارته ، وفعلا ذهبت الى المتحف ووجدت على بابه لافتة كبيرة « متحف تاريخ الشعوب الازبكية » ، وطلبت دليل المتحف ، ودارت عيناى على اسماء القاعات واستقرت على اسم قاعة بعنوان « المصحف » بالطابق الثانى من المتحف ، وهرولت صاعدا ، ودخلت القاعة وفوجئت بصفوف من الزوار يضعون أيديهم على فترينة ثم يقبلون أيديهم ، كانوا يتمتمون بكلمات بعضها عربى وبعضها باللغة الاوزبكية التى تعتمد في أبجديتها على اللغة العربية ·· وصرخ في أعماقى : هذا هو ما تبحث عنه ··

فعلا رأيت ما كنت أبحث عنه ·

كانت صفحتان من القرآن مكتوبتين بالخط الكوفى وتحت الفاترينة التى بها الصفحتان عبارة يفهم منها أن





متحف تاريخ شعوب اوزبكستان

هذه صورة لصفحتين من مصحف عثمان المحفوظ أصله في حجرة الوثائق بالمتحف ·· قابلت مدير المتحف ، رجوته أن يسمح لى برؤية المصحف ·· رحب بى ، وقادنى الى حجرة الوثائق ، حيث يسود جو خاص ، ومشلوة بأجهزة لتكييف درجة الحرارة طبقا لمقاييس معينة حتى لا تتأثر الوثائق النادرة والثمينة ومن أهمها المصحف ··

وكان المصحف محفوظا في صندوق زجاجى مطعم بالذهب والتقطت له بعض الصور ·· وتأكدت بأنه مكتوب على الرق وبالخط الكوفى ·· وقدم لى مدير المتحف ملفا خاصا بالمصحف لاقرأه ··

وتبينت من الملف أن مصحف عثمان المحفوظ بالمتحف يرجع تاريخه الى القرن السابع الميلادى ، وأنه قد وصل الى سمرقند خلال الحرب التى قامت في عهد الخليفة عثمان ابن عفان ··

على أن هذه الرواية ليست الوحيدة عن وصـــول المصحف ، بل توجد روايتان ·· واحدة تقول بأن المصحف وصل أولا الى سمرقند بواسطة العالم العظيم أبو بكر محمد اسماعيل المشهور بالقفال الطشقندى والذى يقع قبره في الحى القديم من طشقند ، والثانيـة تـقول بأن المصحف وصل الى هذه البلاد والى سمرقند بالذات أثنام هجـــوم تيمور لنك على الشرق الصغير (أى الشرق الاوسط) في القرن الخامس عشر ··

والرواية الاولى التى تقول بان المصحف انتقل الى هذه البلاد والى سمرقند خلال الحرب التى قامت في عهد الخليفة عثمان ·· رواية مرفوضة ، لانه من غير المعقول أن يرسل الخليفة مصحفا من مصاحفه الستة الى بـــلاد لم يستقر الاسلام فيها بعد ، هذا بالاضافة الى حقيقة هامة وهى أن هذه الحرب التى قامت في عهد عثمان كانت قبل عام كامل على اتمام نسخ المصاحف الستة ، لانه يقال ـ طبقا للوقائع التاريخية ـ أن الحرب كانت دائرة في أرمينيا واذربيجان ، وكان الخليفة ينتظر أخبارها عندما دخل عليه حذيقة بن اليمان وقال له أدرك الامة قبل أن تختلف في القرآن وعلى الفور أرسل عثمان يطلب صحائف القرآن· الخ ومعنى هذا أن هذه الحرب كانت دائرة ولم ينته العمل بعد في نسخ المصحف ··

أما اذا كان قد ارسل الى هذه البلاد بعد الحـــرب ·· فعلى يد من أرسل ومن كان قارئه ؟··

ومن هنا لا يصح الالتفات الى هذه الرواية ويبـقى بعد هذا روايتانواحدة تقول بوصول المصحف على يد العالم أبو بكر محمد اسماعيل المشهور بالقفــــال الطشقندي · والثانية تقول بوصوله أثناء هجـــوم تيمور لنك على الشرق الصغير ·· وكلا الروايتـــان تتعاصران زمنيا ، فهل هناك صلة ما بين العـــالم الطشقندي وتيمورلنك ؟··

وذهبت الى ضريح العالم الطشقندي في الحي القديم من طشقند وهناك التقيت بخادم الضريح واسمه يولداش وكان يقرأ القرآن ، فسألته اين تعلمت القرآن ، فقـــال لي في المدرسة الاسلامية هناك ، وأشارلي على بنـــاء كبير يواجه ضريح العالم الطشقندي ، ثم أضـــاف بفخر : وهناك رأيت مصحف عثمان ، قلت له : مـــاذا تقصد بمصحف عثمان ؟·· قال : المصحف الذي نقله العالم أبو بكر محمد اسماعيل المشـــهور بالقفـــال الطشقندي أثناء حروب تيمورلنك واحتفظ به ·

اذن فقد كان العالم أبو بكر مرافقا لتيمورلنك أثناء غارته الهمجية على الشرق ، وكان هذا المصـــحف ضمن الكنوز التي استولى عليها من بلاد الشرق فمـن أى البلاد جاء بالمصحف اذن ؟··

اننا نعرف أن تيمور لنك قد انقض بجيوشه عـــلى الشام واستولى على حلب في مظاهرة هائلـــة مـن التخريب وسفك الدماء (ربيـع الاول سـنة ٨٠٣هـ ـ ١٤٠٠م) ثم اخترق الشام جنوبا الى دمشق فسلمت له وعين ابنه شاه ملك واليا عليها ، وكان يصحبه في هذه المجزرة عدد كبير من العلماء ولكن ما جاء ذكره في حروبه هو الفقيه عبد الجبار بن النعمان من فقهـاء الحنفية بخوارزم ، وكان يجيد العـــربية فأستـعان به الطاغية للترجمة بينه وبين أهل بلاد الشـــرق ، وقد قام هذا الفقيه بالترجمة بين تيمور لنك وبـــين المفكر ابن خلدون عندما كان هذا الاخير في دمشـق ، وأراد أن ينجو بجلده فاسترحم الطاغية ودارت بـين الرجلين مناقشات رائعة كشفت عن حب تيمـــورلنـك للمصاحف حتى أن ابن خلدون عندما أهداه مصـحفا

« وضعه فوق رأسه بعدما عرف أنه القرآن الكريم » ٠

وكان مصحف عثمان محفوظا داخل خزانة الجامع الاموي في دمشق ، ومن الطبيعي أن ينهب تيمور لنك وأعوانه كل ما هو ثمين في البلاد التي يفتحونها بحد السيف ، وهذا ما كان متبعا في حروب العصور الوسطى بل وفي الحروب الحديثة ٠٠ وهكذا انتقل المصحف الى بطانة تيمور لنك ٠

وبطبيعة الحال انتقل المصحف بعدئذ الى سمرقند حيث كانت عاصمة احدى الدول الاسلامية التي أنشأها المغول في القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وكان يحكم سمرقند في ذلك الوقت ميرزا الوغ بك ابن تيمورلنك ، وكان ميرزا عالما فلكيا وفقيها بعكس والده وأجداده الذين اغرقوا العالم في بحار من الدم ٠٠ وكان يكرم العلماء والفقهاء ورجال الدين وقد رأيت في سمرقند ضريح القاضي زاده رومى أحد علماء الفلك وهو ضريح يضاهي أجمل الاضرحة في العالم الاسلامي وقد أمر بانشائه ميرزا ابن تيمور لنك تقديرا منه للعلم والعلماء ٠

وفي تقديرنا أن المصحف ظل في حوزة الحكام من اسرة تيمور لنك حتى عام ١٨٦٨ حيث احتلت القوات القيصرية سمرقند ، وانتزع القائد العسكري الذي احتل المدينة مصحف عثمان باعتباره يمثل التراث القومي والديني لشعب أوزبكستان وسلمه الى القيصر الذي أمر بايداعه المكتبة الامبراطورية في بطرسبرج ؟ وعندما قامت ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ اصدر لينين قرارا باعادة مصحف عثمان الى الشعب الاوزبكي ، وفعلا أعيد المصحف الى أوزبكستان وأستقر في متحف طشقند باعتبار طشقند هي عاصمة جمهورية أوزبكستان ، ثم حفظ داخل حجرة الوثائق بمتحف تاريخ الشعوب الاوزبكية منذ سنة ١٩٢٤ ٠

واذن فمصحف عثمان انتزع من دمشق ، ووصل الى سمرقند على يد العالم ابو بكر المشهور بالثقال الطشقندي الموجود قبره في طشقند ، وحفظ لدي حاكم سمرقند الذي ينتمي الى عائلة تيمور لنك ، ثم انتقل الى بطرسبورج عندما آلت سمرقند الى الحكم القيصري ثم أعيد الى الشعب الاوزبكي بعد ثورة اكتوبر وحفظ بعاصمة أوزبكستان وهي طشقند ٠

ولكن هذه الرواية يمكن ان تهدمها حقيقة واحدة ان وجدت ٠٠ وهي : أن يكون مصحف عثمان ما زال في دمشق ٠

فهل هو في دمشق ؟!٠٠

والجواب بالنفي : وطبقا لاقوال عدد من الثقات أن تيمور لنك قد نهب كل ما أستطاع نهبه من التراث الاسلامي وخاصة مصحف عثمان ٠

صفحتان من مصحف عثمان

مثل عربي قديم :

« عند جهينة الخبر اليقين »

خرج رجل يدعى الحصين مع رجل من بني جهينة يقال له الاخنس ، وكان كل منهما فتاكا غادرا ٠ فلقيا رجلا دعاهما الى طعام وشراب ، وبعد أن أكلا وشربا ، ذهب الاخنس لبعض شأنه ، ورجع ليجد الحصين قد قتل الرجل ٠ قال الاخنس « ويحك ، كيف فتكت بالرجل بعد أن أكلنا طعامه وشربنا شرابه ؟ » أجاب « اقعد ، فقد خرجنا لنقتل ... »

أحس الاخنس الجهيني أن الحصين يتربص به ليقتله فاخذ حذره ٠ وعندما قال له الحصين « يا أخا جهينة ، هل أنت زاجر للطير ؟ » ٠ وكان العرب يزجرون الطير بمعنى أن يطيرونه ، ويتفاءلون لو اتجه يمينا ، ويتشاءمون لو طار يسارا ٠ اجاب الاخنس « وما ذاك ؟ » ٠ قال الحصين « ما تقول هذه العقاب » ٠ اجاب « واين تراها ؟ » ٠ قال الحصين « هي هذه ٠٠ » ، ورفع رأسه الى السماء ، فدفع الاخنس سيفه الى رقبة الرجل وذبحه وهو يقول « انا الزاجر الناحر ٠٠ » ٠

استولى الجهيني على ممتلكات الحصين والرجل الآخر ، وانصرف ٠ فمر على امرأة تبحث عن الحصين ٠ سألها « من انت ؟ » ٠ قالت « انا صخرة ، امرأة الحصين » ٠ فمضى عنها وهو يقول :

تسائل عن حصين كل ركب

وعند جهينة الخبر اليقين

فذهب القول مثلا ، على من يعرف حقيقة الامر واصله ٠

د. محمد المنسى قنديل

شخصيات حية من الأغاني

أبو الفرج الأصفهاني



لو وجد ابو الفرج الاصبهانى في أيامنا ٠٠ هل كان يستطيع ان يؤلف « الاغانى » ؟٠ ناهيك عن ضيق الوقت ٠ وكثرة المشاغل ٠ واللهاث خلف لقمة العيش ٠ وعدم ملاءمة هذا النوع من المؤلفات الموسوعية لعصرنا ٠

وهل كان يستطيع أن يجد بيننا مادته الحية ؟

ذلك الكم الكبير من فرسان الصحراء ، والخلفاء ، والندامى ، والشعراء ، والجوارى ، وربات الخدور ، والقيان المغنيات ، وسلاطين الحيرة والصعاليك ، والشواذ، والظرفاء ، والمتادبين ، وعلماء الكلام ، ومثيرى الفتن ، والشعوبيين ، والعذريين ، والهازلين ، وقاطعى الطرق ٠

هل كان يستطيع أن يعيد انس الليالى الخوالى ٠ ويبعث الضوء في سماواتنا الخابية النجوم ٠

ام انه سوف يجدنا متعبين ٠ نادمين على اليوم الذى نعيشه ٠ خائفين من اليوم الاتى ٠ سوف يجدنا في ذيل القائمة بعد أن كنا في أولها ٠

لن يجد ابو الفرج في ليالينا مادة الاسمار الحية ٠ ولن يجد في اشعارنا ذلك الوضوح والرغبة الصريحة ولن يجد ايضا في قصص حبنا ذلك الهوى المستعر ٠ حتى اغانينا سوف تؤى اذنيه وهي لن تتكرر وتعيد نفس المعانى الركيكة كانها أسطوانة مشروخة ٠

ليبق ابو الفرج بعيدا ٠ ولتبق الاغانى كتابا فوق الرف ٠ فالايام لم تعد هى الايام ٠ ونحن لم نعد نحن ٠ هذا الكتاب الغريب يحمل من الاسى بقدر ما يحمل من المتعة ٠ كأن نوادره وأخباره وتراجم شعرائه مرثية طويلة لشمسنا الغاربة ٠

ذات ليلة أرق هارون الرشيد ٠ ظل يتقلب فوق فراشه ٠ لم تكن به رغبة في أى شيء ولم تكن المسكنات قد تقدمت لهذه الدرجة ٠ نهض ٠ أمر حجابه أن يحضروا كل ما في بغداد من مغنيين وندمام ٠ ولم يمر وقت حتى جاء جمعهم ٠ بعضهم يعانى من أثر النوم والبعض من أثر السمر كان الخليفة متجهما وأمرهم أن يختاروا احسن مائة صوت ترنم بها المغنون ٠ وتنفس الجميع الصعداء وأخذوا يرتبون له الاصوات حسب جودة الحانها وكلماتها ٠٠ ارتاح الخليفة قليلا وأمرهم بالانصراف ٠ حاول ان ينام لكن النوم ظل جافيا ٠ عاود النهوض والامر باحضار الجميع مرة اخرى ٠ جاءوا يرجفون وهم يظنون انهم اخطأوا في الاختيار ٠ لكنه أمرهم أن يختاروا من المائة صوت أحسن عشرة أصوات ٠ اختاروا وانصرفوا ٠ وللمرة الثالثة ظل النوم جافيا فاستدعاهم وكانوا عند باب القصر لم يغادروه فأمرهم أن يختاروا أحسن ثلاثة أصوات ٠ فاختاروا الصوت الاول من شعر أبي قطيفة وهو ليس



من الشعراء الفحول • وثانيهما عمر بن ابى ربيعة • وثالثهما الشاعر الاسود نصيب •• وهدأت نفس الخليفة وامتد حبل المجلس وهم يغنون الصوت الاول •

القصر فالنخل فالجماء بينهما

اشهى الى القلب من ابواب جيرون ••

حتى غارت النجوم •• وجاء الصباح •

هذا هو المنهج البدائى الذى وضعه **أبو الفرج** امامه قبل أن يقضى خمسين عاما يخطفيها موسوعته الضخمة « الاغانى » يرتب الاصوات المائة • الثلاثة فالعشرة فبقية المائة • يترجم للشعراء وللمغنين ويعقبهم بفصول فى غناء أولاد الخلفاء • ويتعرض من خلال ذلك لكافة جوانب العصر السياسية والاجتماعية • خمسون عاما كاملة وهو يفند الاخبار ويفاضل بين الروايات ويجهد في جمع الطريف والمفيد ، حتى استطاع أن يتم نسخة واحدة ذهب بها الى سيف الدولة الحمدانى فأعطاه الف دينار •

الاقدمون قالوا عن **ابى الفرج** انه عبقرى قد صنع مالم يصنعه أحد • وقالوا بل هو أكذب الناس • كان يذهب لسوق الوراقين فيحمل الى بيته ما يمكن حمله ويعكف في البيت على سرقة ما بها من أخبار وينسبها لنفسه • وحكى **الصاحب بن عباد** أنه كان يصطحب معه الى موسم الحج حمولة ثلاثين جملا من الكتب ، فلما ظهر كتاب الاغانى استغنى به عن كل الكتب والجمال • لكن ياقوت يتساءل شامتا •• اين هى هذه المائة صوت ؟ انها تسعة وتسعون فقط • ويضيف **طه حسين** بذوقه الادبى الراقى • ان اهم كتابين في التراث هما : **تاريخ الطبرى** وهو المرجع في تاريخ الاسلام السياسى • وكتاب **الاغانى** وهو أساس ايضا في وصف الحياة الاجتماعية والادبية والمزاج الحضارى الاسلامى •

ان رجال السياسة يتراجعون قليلا ليتقدم الشعراء • يخفض الفرسان سيوفهم حتى يعلو صوت الغناء • يتوقف صليل السيوف ويتواصل ايقاع اللحن والسمر • لغناء محبوبين • سهرة في الصحارى البعيدة حول عين ماء •• يجلس اعرابى حوله مجموعة من الفتيات لا يعرفهن ولا يعرفونه يسارهم ويروى لهم الاشعار •• ثم يذبح ناقته اذا أقبل الفجر فياكل وياكلن ويمضى دونما وداع • عشاق معذبون •• عندما يسمعون حداء القوافل يلفظون انفاسهم الاخيرة • ما بين حرارة اللقيا ومرارة البين • يؤرخ **أبو الفرج** لهؤلاء الصفوة من الناس الذين رفعهم جهدهم العقلى عن طبقتهم العادية وزرع داخلهم بذرة الطموح القلق • هكذا ظلوا يتارجحون بين الاحلام التى يقبضونها في الشعر والقصائد ، وبين قوانين الانساب الارستقراطية القائمة والتى لا ترحم ••

شخصيات حية من الأغاني
أبو الفرج الأصفهاني

ابن عصره

ولد على بن الحسن بن محمد القرشى الكاتب المعروف بالاصبهانى في اواخر القرن الثالث الهجرى وقضى شبابه وكهولته في بداية القرن الرابع الهجرى · ولد عام ٢٨٣هـ نفس العام الذى مات فيه البحترى الشاعر ·

وهو شاهد عصر مضطرب · مثل كل العصور التى تحمل مخاضا كاذبا بالتغير ولا شىء يتغير · كانت الدولة الاسلامية التى افتتحها الراشدون والامويون وسلموها للعباسين قد ذهبت شيعا · في بغداد استولى الفارسيون على الحكم · وفي دمشق قامت دولة سيف الدولة الحمد نى · وفي مصر كان الفاطميون · وفي المغرب والاندلس كان بنو امية وكل فريق يدعى الشرعية وأحقيته بحكم المسلمين اما بحق النسب الشريف أو بقوة السيف ·

في بغداد كانت الخلافة العباسية قد هزلت وتحولت الى صورة هشة كلما نفختها جماعة من الشيعة سقطت · ولعل أسماء الخلفاء في هذا العصر تعكس ما وصلوا اليه من هوان · مثلا ·· الخليفة المطيع لله · الخليفة المتوكل على الله · لكنها صفات حافلة بالخنوع والطاعة لله اسما · يكفى ان ينام الخليفة فوق سرير الخلافة ويأتى عليه الصباح فأما يجد نفسه نائما في السجن أو نائما في القبر ·

في عام ٣٣٤هـ اى في صدر شباب ابى الفرج اقتحمت عائلة فارسية من الديلم بغداد وتمكنت من الاستيلاء عليها ووصل قائدهم الحسن احمد بن بويه واجتمع بالخليفة المستكفى بالله وبايعه فرضى الخليفة عنهوهل كان يملك ان يرضى · وخلع عليه لقب نصر الدولة · واستقرت عائلة آل بويه · احتلت ما اعجبها من دور وقصور وسط بغداد · غيرت ما غيرت ونهبت ما نهبت · والخليفة راض تمام الرضى خاصة عندما رتب له نصر الدولة كل يوم خمسة الاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقات الخلافة ·

كان ابو الفرج ابن عصره بحق · عرف ان هناك اكثر من مائدة وان عليه ان يجلس عليها مخلصا لكل صنوف الطعام · منذ اللحظة التى اقتحم فيها آل بويه بغداد وهو يسير في ركابهم فينادمهم ويؤلف الرسائل استجلابا لرضائهم حتى حسبه معظم مؤرخى سيرته متشيعا · وظل فترة طويلة من جلساء الوزير المهلبى وزير آل بويه · ولم يكتف بتدعيم مركزه في بغداد لكن طموحه تعدى الحدود ، فاقام الصلات الوثيقة مع سيف الدولة ، وراسل بنى امية في بلاد المغرب ، وارسل لهم أكثر من كتاب لم يبق منها شىء غير فصول متفرقة من كتاب ادب الغرباء·

في بيت على شاطىء دجلة

زوال العصر العاثر ·· أين يمكن ان يكون الولاء · لاى دولة ولاى حكام ؟·· أمة مفتتنة ترقص رقصة الموت · تبنى القصور الباذخة ، وتغرق في الملذات · يزداد الاقطاعيون وحشية ويزداد حرافيش مدنها فقرا · تهب ريح الخطر من كل جانب · على الحدود الشرقية لدولة العباسيين تتخلق أقوام جديدة · تتجمع جحافل من البشر الحفاة الجوعى كان مقدرا لها ان تجتاح العالم المتحضر ـ وبغداد في المقدمة ـ اجتياح الجراد ولا تبقى خلفها الا الخراب · هؤلاء هم التتار يتكونون وسط شرنقة السهوب الباردة ·

دولة سيف الدولة تقيم نوعا من التوازن الخطر بين الروم في الشمال والصليبيين في الجنوب · وتدخل كل حين من الزمن في غزوة قصيرة لا ينتصر فيها احد ولا ينهزم فيها احد · معارك هدفها الوحيد فقط هو حفظ التوازن·

بنو امية ايضا في المغرب والاندلس تترصدهم قبائل القوط وتتأهب لطردهم عبر البحر ليذهب الاندلس الى الابد ويخرج العرب من فردوسهم المفقود ·

عن تلك البقية من الأمة اعتكف ابو الفرج خمسين عاما في بيت على ضفة دجلة يسمع غناء الملاحين والموالى

● لست أزعم انني اقوم بواجبي كاملا ، وعذري في ذلك ان احدا لم يقل لي ما هو ·

★★★

● لو أن حياتي مباراة لكرة القدم ، فان سني لا يمكن أن تزيد على خمس سنوات ·· بعد احتساب الوقت الضائع ·

وهم يرددون المواويل عما حل بالبرامكة من نكبات . عن عز الرشيد وذل شرلمان ويشهد راية العباسيين السوداء تخالطها نقوش الديلم والسلاجقة . ظل وحيدا كالسيف المفرد يبعث ليالى الاسمار على الورق ويحمى ريح الصحراء الدافئة .. تتحرك حوله القطط الكثيرة التي يهوى اقتناءها وتربيتها حتى ان رائحة البيت لم تكن تطاق ولا يقبل احد على زيارته . غير ذلك كما وصفه معاصروه كان وسخا الى حد مستقر لم يعرف الاستحمام قط رغم يعرف العرب بالصابون . كان يفصل الثوب ويلبسه فلا يخلعه من فوق جسده الا وقد بلى وتقطع . يخرج من بيته يتبعه سرب من القطط حتى اذا وصل الى مجلس الوزير المهلبى امسك الجالسون انوفهم ونثر الغلمان العطر في ارجاء المكان والوزير المهلبى يتحمل منه هذه الفظاظة لادبه وغزارة معلوماته . وكان اكولا نهما . يظل يغمس أصابعه في الاطباق التى امامه حتى ياتى عليها . في الوقت الذى كان فيه الوزير المهلبى رجلا شديد الاناقة. يقف غلام عن يمينه يحمل صينية عليها حوالى مائة ملعقة نظيفة . فيتبادل الوزير الواحدة ويأخذ بها من الصنف الذى امامه ثم يعطى الملعقة لغلام اخر عن يساره ويتناول واحدة أخرى ، ويظل يبدل الملاعق بعدد المرات التى تدخل فيها فمه . وأبو الفرج ياكل ويتجشأ ثم ينهى طعامه بان يزدرد مقدار خمس دراهم من الفلفل الاسود ليساعده على الهضم دون ان يبدو على وجهه أى تعبير

وحيـــداًمع الموت

خمسون عاما وهو يسود الصفحات دون كلل . يساعده على ذلك وحدته الممضة وغروره الشخصى ، وفقره الذى لا يوازى طموحه . ويساعده ايضا تقدم صناعة الورق حيث استطاع علماء بغداد أن يطوروا البادرة التى اخذوها من الصين ، وانتجوا انواعا جيدة لا تتشرب الحبر. وعندما انتهى من تاليفه اخيرا حمل الكتاب الى **سيف الدولة الحمدانى** فاعطاه الف دينارو هو يعتذر لان نفقات الحرب — كالعادة — لم تبق للمثقفين شيئا . وظل فرحا بالمبلغ حتى قابله احد الامراء ممن سمعوا بخبر الكتاب وقال له متاثرا . أنه لو اعطاه الكتاب بدلا من **سيف الدولة** لنقده الفين من الدنانير في الحال . وصدم**ابو الفرج** . لم يكن في مقدوره أن يخط الكتاب مرة اخرى . وأيامه الاخيرة تمضى حثيثا . فأصاب عقله الوهن . وامتلا البيت بالفئران بعد أن هجرته القطط ، واخذت تقرض خشب السقف طوال الليل فيحسبها خيول **المهدى المنتظر** جاءت ترفع رايات الخلاص . وأصابه الفالج ولم يعد يقوى على السير أو الحركة فاخذ يداوم الجلوس في نافذة بيته المطلة على نهر دجلة ، ويسب الجميع ، ويبشر بدمار مثل دمار سدوم وعاموره . وذات يوم اكتشف الجيران أن سبابه قد انقطع ، وأن رائحة العفونة التى تشع من البيت قد ازدادت فاقتحموا البيت . كانت جثته ملقاة جنب السرير والفئران تلعب فوقها وحولها . شيعوه في جنازة بسيطة لم يحضرها الا نفر قليل أقل من عدد مجلدات الاغانى ، ودفن في مقابر الصدقة على اطراف بغداد .

كان ابو الفرج يحب الامويين . لان اخبارهم كانت تحمل له — مثلما تحمل لنا الان — بعضا من الكبرياء . كانت ريح الصبا اذ تهب . تهب من دمشق . وسنابك الخيل اذ تنطلق وتفتح الامصار تنطلق من دمشق . صحيح أن دولتهم كانت حافلة بالفتن . وقتل أحفاد الانبياء والصحابة الاجلاء . وانتزاع عروش واغتصاب بيعات . وكان فيهم ذلك الصنف من الاعمام الذى ياكل حق أولاد أخيه قبل ان تبرد جثته .. فيهم كل جنون التراجيديات التى نعرفها . لكن أبا الفرج نفذ الى روح هذه الدولة الغريبة . شيء من رومانسية الانتصار والزهو . وبكارة اكتشاف العالم . كان القواد ينتصرون والشعراء يمدحون ويعشقون . وتتسع مساحة العالم الاموى ويزداد تلاصقه .

في كلمـــات

- ما أظلم من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك .
- ما من انسان ضل وهو يسلك الطريق المستقيم .
- الغرور ينفع صاحبه ولكن لا يرفعه .

كلمات لها معنى

- اذا اردت ان تكسب انسانا فاكسب قلبه .
- لايوجد انسان ضعيف ولكن يوجد انسان يجهل — في نفسه موطن القدرة .
- كي نحب الحياة يجب ان نعيشها وكي نعيش الحياة يجب أن نحبها .
- ستجني يوما ما غرست ولو بعد حين .. فانتظر
- الديون شرك كبير ينصبه الانسان ليصيد به نفسه .
- الشهرة الكاذبة كالاسفنج تنتفخ بماء الغرور وتجف بحرارة الاختبار .

أبو الفرج الأصفهاني

طابع الخرافة

أما حديثه عن العصر الجاهلي فيغلفه بطابع الخرافة • وهو يحاول الايهام بتحرى صدق الاخبار ويورد سلاسل من الاسانيد الطويلة حتى انه لا يتحرج في ان يسلسل نسب شخصية من شخصياته حتى يصل بها الى سيدنا آدم •• ويظل الطابع الاسطورى لا يفارق روح الخبر •• وفي كتابته من الدولة العباسية تقترب درجة السرد من التاريخ اليومى • ان الاخبار تصبح عادية والاقوال باهتة خالية من الحكمة • حتى أن نوازعه الشخصية تغلبت عليه فلم يذكر تراجم لشعراء مهمين مثل ابو الحسن ابن هانيء الشهير بأبى نواس ولا ابن الرومى وفي الوقت الذى افرد فيه الصفحات الطوال لاولاد الخلفاء وأغانيهم واشعارهم الركيكة •

ان الامر لا يخلو احيانا من فكاهة • حتى ولو كان الحدث سياسيا هاما •

« دخل اهل المدينة المسجد وأتوا المنبر وأعلنوا خلعهم يزيد بن معاوية • فقال عبد الله بن عمرو خلعت يزيدا كما خلعت عمامتى ونزعها عن رأسه • وقال اخر خلعته كما خلعت نعلى • وقال اخر خلعته كما خلعت ثوبى • وقال اخر قد خلعته كما خلعت خفى • حتى كثرت العمائم والنعال والخفاف •• » •

ولا يخلو من بعض الرومانسية • مثل حديثه عن عذاب المحبين العذريين • ويقابل ابو الفرج ذلك بنوع خفى من السخرية • كان حسيا بدرجة ما • لذا لم يسلم عاشق دنف معذب مثل مجنون ليلى قيس بن الملوح من لمزاته •• يقول :

« سالت بنى عامر بطنا بطنا عن مجنون بنى عامر فما وجدت احدا يعرفه •• » •

ويتحدث باحترام عن الاذكياء • يروى عن ابن عباس الصحابى ذى الذاكرة الحديدية أنه كان يسد اذنيه عن صوت النائحات حتى لا يحفظه • وأقبل عليه عمر بن ابى ربيعة فقال انشد • فأنشده •

تشط غدا دار جيراننا ••

تشط غدا دار جيراننا ••

وسكت • فقال له ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر : كذلك قلت اصلحك الله ـ أفسمعته •

قال لا : ولكن كذلك ينبغى ••

خلف كل هذه الاخبار يموج عالم الحركة والفعل • عالم حى له القدرة على الكسب والخسارة • لكن السؤال يطرح نفسه • هل اضاف جديدا اكثر من كونه الف كتابا ممتعا • لا شك انه فند الكثير من الروايات والاخبار • ولاشك انه كان اكثر صدقا ومنطقية من الكثير من الكتب لكنه اشترك في نفس العيب الذى يغلب على معظم كتب التراث العربى • وهو ما يمكن تسميته بالكتابة « اليقنية » او بتعبير « ادونيس » ان يتحدث الكاتب عما يعرف وأن يبتعد عما لا يعرف • من ذلك نشأ ذلك الاهتمام البالغ برواية الاخبار ، ورصد تلك السلسلة الطويلة من الاسانيد السخيفة عن فلان • عن فلان • عن فلان وهكذا حتى يصل : الى انه قال • ثم يروى خبرا اسطوريا لا يمت للواقع بصلة • هذا الاهتمام هو محاولة للايهام أن ما قيل حقيقة " لذا لا تكسب الكتابة طابعا وجدانيا بقدر ما تغلب عليها الصفة الموسوعية وعدم التخصص • وتتبدل الرغبة في الكتابة الحقيقية الى محاولة محاصرة العالم بدلا من الغوص خلف ظواهره المرئية واكتشافه •

ولكن تبقى شخصيات الاغانى واقعية كانت أو خيالية خليطا من الحب والجنون والرغبة تعلو للتحليق الصوفي ، وتهبط للبطولة الدون كيشوتية ولعل هذا أحد اسرار متعة هذا الكتاب الفريد •

- ابحث عن السعادة في عملك •• والا فانك لن تعرف ما هى السعادة •
- افضل جانب في حياة المرء •• نواحى العطف والشفقة والحب فيه •
- لم يتعلم من دروس الحياة •• من لا يتغلب كل يوم على ناحية من نواحى ضعفه •
- غضب الجاهل في قوله •• وغضب العاقل في فعله •

أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي

عبدالله الشيتي

أصدرت جمعية الخريجين - وجامعة الكويت مؤخرا كتابا ضخما يقع في حوالى ٦٠٠ صفحة بعنوان (ازمة التطور الحضارى في الوطن العربى) وهو خلاصة وافية لوقائع ندوة ثقافية فكرية هامة ذات أبعاد ومضامين قومية وانسانية شاملة * وكانت وقائع هذه الندوة ما بين ٧ - ١٢ نيسان (ابريل) من عام ١٩٧٤ واسهم فيها عدد كبير من رجال الفكر والثقافة وأساتذة الجامعات والمشهورين ، في الوطن العربى ، وسط جو من الحوار الهادف والمناقشات الحرة و (الحامية) في بعض الاحيان *

وقد أعد هذا الكتاب الضخم وأشرف على طباعته الدكتور شاكر مصطفى أستاذ التاريخ في جامعة الكويت والسفير والوزير السورى الاسبق *

وجاء في تقديم هذا العمل الفكرى الفذ ان امتنا العربية تمر بمرحلة حاسمة في صراعها من أجل النهوض وتجاوز التخلف * وبينما ترجع البدايات الاولى لحركة النهضة العربية الحديثة الى النصف الاول من القرن التاسع عشر * فاننا اليوم وفي الربع الاخير من القرن العشرين لا نزال نواجه تحديات كبيرة وصعبة تعارض طريق بناء نهضتنا الراهنة في حين تقف أمامنا شامخة تجارب أمم أخرى كاليابان والصين بنت حضاراتها الحديثة على الرغم من أن بداية تجربتنا الحضارية المعاصرة قد سبقت زمنيا بدايات نهوض اليابان والصين *

وتتعرض الندوة الى أن (**حرب التخليف**) بدأت بالغزو الصليبى ثم المغولى ، وتعززت بالاستعمار العثمانى ثم الاوروبى ، وانتهت بالصهيونى والامبريالى *

على « **ان ادراك حقيقة الدور الذى لعبته ولا تزال الظاهرة الاستعمارية في وطننا العربى لا يعنى اننا نلقى تبعة تخلفنا الحضارى عليها كعامل وحيد ، فاننا ندرك الاسباب الداخلية والذاتية النابعة من واقعنا الحضارى وندرك ضرورة تحليلها العلمي العميق وتجاوزها الحتمى** »

** وعلى هذا ، فان الرؤية الحقيقية التى راتها اللجنة التى حضرت لهذه الندوة التاريخية ، هى انه « **ليس أمام امتنا في هذه المرحلة الحاسمة سوى طريق التعبئة الشاملة لكافة امكاناتها وقدراتها المادية والبشرية والفكرية لحسم صراعها الحضارى والانطلاق نحو آفاق النهضة الحضارية المستقبلية** » *

ومما يعزز آمالنا في كسب معركة الحضارة، ان الوطن العربى اليوم بفضل ثرواته العظيمة من النفط وغيره من الخيرات ، يملك اداة حضارية هائلة ، توفر له دفعة تطوير ثورية ، شريطة أن يحسن السيطرة عليها وادارتها لخدمة أهدافه الحضارية *

وانطلاقا من أن للمفكر دور الريادة في بناء حضارات الامم فان المفكرين العرب مطالبون بتحمل مسئولياتهم كاملة لمواجهة قضايا تحرر ونهوض امتهم وما يعترضها من تحديات وعقبات وانارة الطريق بفكر علمى رائد *

ولقد تميزت الندوة التى شهدتها الكويت ، ونشرت وقائعها في هذا السفر الضخم ، بالصراحة والوضوح والجرأة الادبية والفكرية من مجموعة المفكرين والباحثين الرواد الذين ساهموا فيها ، في نيسان ١٩٧٤ فكان ان صدر الكتاب الذى نحن في صدده في هذا الشهر من عام ١٩٧٦ * وقد بذل الممد خلال السنتين مجهودات ملموسة يشكر عليها فعلا وعن تبرير سبب التاخير تقول اللجنة التحضيرية :

- لئن تأخر صدور هذه الوقائع بعض الوقت لاسباب تتعلق بالطباعة فانها لم تفقد ، ولعلها لن تفقد الى سنوات كثيرة قادمة حيويتها وحاجة الفكر العربى المعاصر اليها *

أما أعضاء اللجنة التحضيرية فهم من جامعة الكويت وجمعية الخريجين السادة : **الدكتور شاكر مصطفى ، الدكتور عبد الله النفيسى ، عيسى العصفور ، فيصل الحجى ، الدكتور محمد ربيع ، يوسف الجاسم** *

ومن أبرز الاسماء التى شاركت في كتابة الابحاث والتعليقات الدكاترة :

زكي نجيب محمود (الحضارة وقضية التخلف والتقدم) ونور الدين حاطوم (الابعاد التاريخية لازمة التطور الحضارى) وادونيس، وفؤاد زكريا ، وقسطنطين زريق ، ومحمود امين العالم ، وحسن صعب ، ونديم البيطار ، واسحاق القطب ، وبهاء ابولبن ، وعبد الله عبد الدائم (نظام التعليم العربى وازمة التطور الحضارى) وهشام شرابى (دور العائلة في التطور الحضارى) وزهير الكرمى (التخلف العلمي وابعاده الحضارية) وحسين مؤنس ، وبرهان الدجانى ، وعبد الجبار عطوى ، ومحمد النويهى ، ومحمد جواد رضا ، وحلمي مراد ، ويوسف الصايغ ، وعبد الكريم غلاب ، وأحمد بهاء الدين ، ومصطفى بعيو ، وخاشع المعاضيدى ، وانور عبد الملك ، وحامد عمار ، وسهيل ادريس ، وطيب تيزيني، ونيقولا زيادة ، وفيصل السامر ، وعثمان شبوب ، وعلى الوردى ، وعمار بوحوش * وغيرهم وغيرهم من مختلف انحاء الوطن العربى في مشرقه ومغربه *

وشارك حوالى خمسين مفكرا ومثقفا وخريجا وأساتذة جامعة من دولة الكويت من أبرزهم **ابراهيم الشطى ، احمد الخطيب ، جاسم القطامى ، عبد الرزاق البصير ، سيف عباس، انور النورى ، احمد بدر ، أحمد العدوانى ، عبد العزيز محمود ، ابراهيم صقر ، احمد الدعيج ، بدر العجيل ، عبد اللطيف البحر ، محمد الرميحى ، عزيز شكرى ، عبد الله النيبارى ، عبد اللطيف العمد** * وبينهم عدد من النواب **

ومما تقدم من اسماء نلاحظ ان هذه الندوة كانت كظاهرة ثقافية علمية على أعلى المستويات ** وقد جاء الكتاب الذى بين أيدينا ليدلل بصدق وواقعية على أهمية ومستوى هذه الندوة الحضارية - فكرا وبحثا ، وانجازا ذا أبعاد وأصداء ذات اعتبار ثقافى عالمى في ظروفنا العصيبة الراهنة التى تخوضها أمتنا ، مما يصلح ان تكون هذه الدراسة الشاملة ، مرجعا وثائقيا للباحثين والدارسين والمؤلفين *

لقد كان من جملة ماتناولته الندوة - والابحاث الحية والمناقشات الفريدة (الانسان العربى في متناقضاته) وعلى صفحة (٨٥) نجد خلاصة مكثفة :

- لعلنا اذا استعرضنا المدارس الفكرية الحديثة في الغرب ، منذ عصر النهضة الاوربية الى الآن وجدنا القسم الاكبر من جهودنا منصبا

على توضيح أمر واحد ـ هو هذا الانسان * فقد كان الانسان نسبيا جزءا صغيرا جدا من هذا الكون ، لا يبحث فيه أو يتحدث عنه الا من حيث أنه حجر من الحجارة الكثيرة المتنوعة التي يتكون منها الكائن الاكبر *

ـ والان يتحتم علينا أن نسأل سؤالا آخر (ص ۸۷)

هل الانسان العربي موجود اليوم ؟ هل يمكن الاشارة اليه بقولنا (هذا هو) ؟

الجواب :

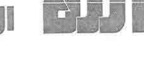
يبدو أن العربي المعاصر هو كمية مجهولة ! وشخصيته يكتنفها الكثير من الغموض * ولعلنا نحسن صنعا اذا نحن حاولنا ، قبل كل شيء أن نتعرف على أسباب هذا الغمـــوض الذي يكتنف الشخصية العربية المعاصرة ، فاذا عرفنا هذه الاسباب ، استطعنا أن نزيلها أو نزيل بعضها على الاقل ، ونحن واجدون أن في مقدمة هذه الاسباب اتصال هذه الشخصية العميـق المتين بالبداوة * فالعالم العربي ربع سكانه ، ان لم يكن ثلثهم ، بدو رحل أو هم قريبون من ذلك * وهذه البداوة وما نجدها معها من عقلية قبلية وعصبية عشائرية ، تؤدى بالجماعة البدوية الى أمرين : أولهما انعـــدام الولاء للجماعة الكبيرة ، اذ أن الولاء مقصور عـلى العشيرة أو القبيلة ، والثاني أنها تمحـو الحرية الفرديـة * واذا تجلت (فرديـة) الواحد في القبيلة أو العشيرة ، فانها تظهر فقط عندما يكون فيها مطمع أو فائدة لا عندما تكون القضية قضية شخصية حرة ، أو حريـة شخصية *

« ومعنى هذا ان نحو ثلث السكان في العالم العربي او ربعهم عـــلى الاقـل ، لا تبدو شخصيتهم افرادا على حقيقتها بما فيها مـن الكرامة الانسانية الفردية ، لانهم موجودون بسبب وجود جماعتهم الصغيرة » *

ولعله مما زاد الغمــوض والاضطراب في شخصية العربي هو ان القرن العشرين اخذ العربي اخذا عنيفا * اذ وضعه ، خاصة منذ الحرب العالمية الاولى ، في مهب رياح عاصفة هبت عليه من كل صوب ، فحملت اليه آراء متناقضة ، فاتجه افراد يسارا ، وسار آخرون يمينا *

وفي (نظرة الى الغد) يطرح سؤال نفسه :

ـ ولكن هل معنى هذا ان الانسان العربي يجب أن يعتبر في ذمة التاريخ البائد * وان وجوده والتحدث عنه يعتبر من أساطير الاولين؟ ام ان هذه (الشخصية) لا تزال موجودة رغم انها محجوبة ؟ هذا ما يجيب عنه هذا الكتاب الرائع الممتع في فصوله المتعددة الجوانب *



الله في العقيدة الإسلامية

كرم شلبي

كان لا بد وان يثير هذا الكتاب كل هـذا الجدل الذى يدور حوله الآن * وكان لابد وان يقابل بهذا القدر من التوجس والترقب والحذر والحماس الذى قوبل به *

فكتاب موضوعه « الله » سبحانه وتعالى * لا يمكن أن يكون من تلك الموضوعات التى تفتح فيها أبواب الاجتهاد دون ضوابط صعبة وقاسية * وكتاب هذا موضوعه لم يسبق ان اعتدنا على أن يكتب فيه من غير كبار رجال الدين والمتخصصين فيه أحد *

هذا هو الجديد المثير اذن * فموضوع الكتاب هو « الله في العقيدة الاسلامية » * أما كاتبه احمد بهجت فهو أديب وفنان وصحفي وليس واحدا من هؤلاء المتخصصين في أمور الدين والكتابة عنها * ومن هنا ** كانت نظرته لتناول هذا الموضوع الصعب * فهو يسلم بانه ليس رجلا من رجال الدين * ولكن الطريق الى معرفة الله يجب أن تفتح أبواب الاجتهاد فيه لكل من يجتهد ** وليكن « الثواب على قدر المشقة » *

وجاءت « المشقة » في هذا الكتاب دليلا على انه عندما تفتح أبواب الاجتهاد للبحث في شئون الدين والعقيدة ، امام جيل جديد من الباحثين ، فان ذلك من شانه أن يضفي عـلى موضوعات هذه الابحاث قدرة وحيوية وشبابا ، تثرى هذا الموضوع وتزيده عمقا واتساعا *

الامر الثاني في هذا الكتاب * انه يقـدم نفسه « نموذجا » جديدا أيضا لاسلوب الكتابة والصياغة ، يختلف كل الاختلاف عن تلــك الاساليب التقليدية « الجامدة » التى سبقت أن تناولت هذا الموضوع ، والتى كانت قد خصصت نفسها وكانها لغة الكتابة في شئون الدين ، وكان مادونها يعد خروجا على العرف وبادرة من بوادر « الخطر » *

فالكاتب يرى الاسلام و «العقيدة الاسلامية» عالما كاملا متكاملا من التشريع والاخلاق والقيم والمثل ** والحب ** والمحبة ** والرحمة ** والانسانية ** والفرح * ومن ثم فلا بد أن تكون الكتابة عن هذا العالم أو من خلاله مليئة بهذا كله * فكيف يكون أسلوب الكتابة اذن والموضوع هو « الله » سبحانه وتعالى ** والعقيدة الاسلامية هى الطريق الى معرفته ؟!

لا بد أن يكون الكاتب عاشقا مدلا في العشق * متوحدا مع كل ما تفيض به هذه العقيدة من رحمة ومحبة * ويمتلىء قلبـه ويفيض بنور الله وحب الله *

كان أحمد بهجت هكذا تماما * ولذا جاء كتابه هذا « الله في العقيدة الاسلامية » كتابا جميلا وجديدا ومثار حديث لم يتوقف بعد *
كان السؤال الواحد المحدد الذى وضعه احمد بهجت امامه ليكون موضوع بحثه ** هو :

ما الذى يجب على المسلم أن يعرفه عن ربه ؟

بدأ بحثه بهذا السؤال ، ومن نقطة الايمان الكامل بالله جلت قدرته * وبقى أن يبحث في هذا الذى ينبغى على المسلم أن يعرفـه عـن ربه * ولانه بدأ من نقطة الايمان الكامـل والمطلق بالله ، فلم يكن امامه بعد ذلك من طريق الى معرفته عز وجل ، الا طريق العقيدة الاسلامية وحدها ولا طريق سواه * وضع العقيدة الاسلامية هى الاطار الحاكم ، وفي قلب هذا الاطار غاص الباحث في كل ما تحفظه هذه العقيدة وتحويه من ضوء باهر يشـع نوره ليحدد معالم الطريق الى معرفـة الله * كـان القرآن الكريم هو مصدره الاساسى * وكانت اقوال الرسول عليه الســلام وأهل سنته والعارفين به واتباعه *

ومن خلال هذا الاطار الحاكم للبحث ، وهو «العقيدة الاسلامية » ** وبكل ما قدمته هـذه العقيدة من معارف امام الباحث * وجد نفسه امام السؤال الواحـد وقـد أصبح عشرات الاسئلة * ما الذى يجب على المسلم أن يعرفه عن ربه ؟ أصبح فيضا من الاسئلة التى لا يمكن أن يكون البحث مكتملا دون الاجابة عليها *

ما الذى يجب أن يعرفه المسلم عن عطاء الله، وعن ذات الله ، ورسل الله ، وكلمات الله ؟ ما الذى يجب أن يعرفه المسلم عن كلمات الله وعن يوم القيامة والبعث والحساب والجنـة والنار والقضاء القدر ؟

ما الذى يجب أن يعرفه المسلم عن قواعـد التوحيد وعن رحمة الله وحق الله وأيام الله ؟

عشرات الاسئلة كما قلت ـ فرضت نفسهـا على الباحث لكى يجيب عليها ، فالاجابة عـلى كل دقائقها وتفاصيلها هى التى تحدد ما ينبغى



أن يعرفه المسلم عن ربه •

فما هو اول الطريق الى معرفة الله عنـــد احمد بهجت ؟

انه يحدده هكذا :

« الطريق الى معرفة الله مفتوح للخلق • وفيه تتفاوت مراتبهم ، فليس من يعرف أن الله تعالى قادر عالم ، كمن رأى بعينيه عجائب أياته في السماء والارض • وليس من يعرف أن الله بارىء مصور ، كمن عاين بدائع صنعه وأطل على تفصيلات اعجازه » •

« ومثلما تتفاوت بصمات أصابع الخلـــق وعقولهم وحظوظهم من المشـــاعر ، تتفاوت معرفتهم بالله تعالى ، وعلى قدر المسافة التي تقطعها سفن القلوب في بحار المعرفة الالهيـــة تكون المعرفة » •

« يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه » •

أى انه اذا كان الطريق الى المعرفة يمتلأ بالمشقة والكدح • فان النتيجة هى «التلاقى»• هى الوصول الى ما تكشف عنه هذه المعرفـــة من كنوز • عطاء الله كنز • ورحمة الله كنز • وحب الله كنز •• وكل ما تكشف عنه معرفـــة الله لا يمكن أن يحدد أو يقدر •

ولكنه من الخطا ان نحدد « عطاء الله » سبحانه وتعالى في تلك الاشياء المادية المحسوسة وحدها • فهناك ما هو أبعد من ذلك وأعظم ذلك ما توصـــل اليه أحمد بهجت في طريق معرفته • فهو يرى عطاء الله وفضله في كـــل شيء :

« يعطى الله تبارك وتعالى للعبد كل شيء ، ابتداء من نعمة الخلق من عدم ، وانتهاء بنعمة القبول والادخال في الرحمة » •

فخلق الانسان من عدم هو عطاء من الله • والقبول عطاء من الله • والادخـــال في الرحمة عطاء من الله • بل والعبـــادة ذاتها فضل وعطاء من الله • لماذا ؟

لان « العبادة قمة المحبة • والمحبة قمـــة المعرفة • وليس بعد هذا الفضل شيء » !!

يمسك الانسان قلبه وهو يقترب من القراءة عن « ذات الله » •• يسال نفسه سؤالا قبل ان يقترب ليقرأ •• ما الذى يمـــكن لباحث أن يعرفه عن ذات الله سبحانه ، ومهما كان الطريق الى هذه المعرفة مضيئا ومهما كان ميسورا ، وهو بالطبع ليس كذلك ـ ؟

يقترب أحمد بهجت من هذا الموضوع كثيرا • ويحدد الحقيقة بدقة •• ليست حقيقة ذات الله جلت قدرته • بل حقيقة الباحث وهو يحاول أن يدنو من معرفة هذه الذات التي لا تحد :

« ان ذات الله تبارك وتعالى تتجاوز طاقة العقل البشرى ، وقدرة الفـــكر الانسانى ، يضيع العقل حين يحاول الدنو من تصورات الذات الالهى قبل خلق الوجـود أو بعده ، مثلما يضيع الطفل لو رسم مركبا على الورق وحاول بها عبور المحيط • ونهى النبى عليه الســـلام عن التفكير في ذات الله • قال : « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا » •• ليس هذا المنع حجرا على حرية الفكر ، ولا تضييقا على العقل ، ولكنه خوف عليه أن يقع في الهلاك او العبث ، اذ يعالج أمرا لا يملك أدوات علاجه ، ويبحث شيئا ليس مهيئا في الاصل للبحث فيه » •

يتحدث الكتاب عن رحمة الله وعطاء الله وحب الله •• ولكن ذلك ليس فقط هو الطرق الى معرفته • فعدالة الله واحقاقه للحق • الثواب والعقاب • الجنة والنار • الموت والبعث • أليست هذه كلها من معالم الطريق الى معرفة الله ؟

لو كانت الحياة مجرد « رحلة » ليس بعدها شيء • لكان الامر فـــوق القـــدر : الاحتمال والتصور • ولما كانت هذه الحياة نفسها قد استمرت • لولا هذا اليـــوم الآخر • لدمرت الحياة نفسها • لولا البعث الذى ينتظرنـــا جميعا• والمحاكمة التي تنتظرنا جميعا لاصبحت الحياة جحيما مقيما • فماذا عن هذا اليوم •• وماذا عن هذه المحاكمة الـكبرى ؟ انه يـوم « العدالة الكبرى » كما وجده أحمد بهجت فى العقيدة الاسلامية • اليوم الذى يلقى فيـه السؤال الحق : « لمن الملك اليوم » ؟

« وسيرد عن الكائنات لسان ذلها وانسحاقها قائلا : « لله الواحد القهار » •

ويحكم الله على عباده « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة » عندئذ يتحقق العدل ، يتحقق بشكل مطلق ونهائى وحاسم •• للمرة الاولى فى الوجود » •

ولكن تسليم الانسان بهـذا اليوم وهـذا الحساب لا يتم عفوا • فالمؤمن فقط هو الذى يسلم بذلك • ومن يعمر الايمان قلبه يصبح طريق المعرفة أمامه ميسرا ومعبدا • ذلك لان الايمان بالله تعالى كل لا يتجزأ • ذات الله ومعرفة الله وكلمات الله والموت والبعث والجنة والنار • الايمان بهذه الحقائق الثوابت ، جزء من الايمان بالله تعالى ، فمن يؤمن بنعم الله ، لا ينكر عقاب الله • لا ينكر الجنة والنار •

على هذا النحو •• يمضى الكتاب في رحلته الى الله ورحلته مع الله • ويقدر ما تفيض سطوره بالعـــلم العميق الذى استلهمـه ، الباحث من عشرات المراجع • فان هذا العلم لم يسطر تسطيرا مصفوفا جامدا لمجرد ابراز الحقائق او وضعها لينتهى الامر • وانمـــا وضعت الحقائق والمعارف في قالب من التاملات الهادئة الخاشعة ، فى محاولـــة من الباحث ليعيش ذرات ذراتها وبغية للوصول الى مرساها ومنتهاها • ثم نسج هذه التاملات فى النهاية بعاطفة من حرير ، تليق بأن تغلف كلمات تطمح فى الوصول الى معرفة الله •

وكان أحمد بهجت فى قمة وعيه لهذه الناحية تماما • ورغم أنه يمتلك امكـانيات التعبير والصياغة والقدرة على خلق جمال الكلمات ، الا ان احساسه « بعظمة » الموضـــوع الذى يتناوله • تجعلنا نحس أنه يرتجف وهو يفـكر ويرتجف وهو يكتب ، لا رجفة المضطرب • ولكن رجفة الاحساس بالمسئولية ، والمقدر لاهميـة ما يكتب •

فهو يسال نفسه عن كيفية « التعبير » عن الله تعالى أو وصفه • وباى حروف يكتب ؟

« فالحروف جزء من اللغة ، واللغة اشارة انسانية الى شيء ، والله ليس كمثله شيء » •

ومن هنا •• جاء الكتاب جهدا ومجهـــودا واجتهادا أمينا وصادقا وأضاف الى المكتبة العربية الاسلامية بحثا يفتح باب الاجتهاد امام جيل جديد من شباب الباحثين والمفكرين •

عن المرأة •• قالوا

● تجتاز المرأة في حياتها مراحل ثلاثا ، في الاولى تحلم بالحب ، وفي الثانية تختبره ، وفي الثالثة تندم عليه •

● متى اتيح للمرأة أن تتساوى مع الرجل ، اصبحت سيدته !

« سقراط »